

دكتور
أحمد زكي عبد الجبار
كلية الآداب - جامعة المنيا

مبادئ
علم الاجتماع

الناشر

مكتبة النهضة الشرق

جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تقطع علم الاجتماع شوطا طويلا ، حتى بلغ مرحلة الرشد والاكتمال ، فقد نشأ في أحضان الفلسفة ، ونمت كثير من مسائله وهو جزء منها ، وما أن برزت العلوم الأخرى حتى حاول علماءها أن يلحقوا مسائل الاجتماع بمسائلها كما حدث من جانب بعض مفكرى الطبيعة ، والبيولوجيا ، والتاريخ ، وعلم النفس وغيرها . ولم يرض الاجتماع بتلك التبعية ، وحاوله علماءه والمفكرون في موضوعاته ، أن يخلصوه من هذه التبعية ، وأعلنوا قيامه علما مستقلا بذاته بعد أن طبقوا عليه كل الخصائص العلمية الموضوعية من حيث : الموضوع والمنهج والقوانين . . . ولم يقتنعوا بذلك ، بل جعلوه منبعا لعلوم اجتماعية أخرى كالانثروبولوجيا الاجتماعية ، والاجتماع الاقتصادي ، والاجتماع السياسى ، والاجتماع التربوى ، والاجتماع الجمالى ، والقانونى ، والأخلاقى ، والدينى ، والسكان وغيرها وغيرها ، ولهذا فان لعلم الاجتماع صلات قوية سواء بالعلوم المنبثقة عنه ، وتفرعت منه ، أو بتلك التى نشأ فى مهادها ، ونمت موضوعاته فى كنفها .

وهكذا أضحت دراسة الاجتماع لا غنى عنها للأفراد والجماعات ، خصوصا أولئك الذين يهتمون به أو بأحد موضوعاته المتنوعة وما أكثرها اليوم ، ولهذا نراه يدرس فى كثير من أقسام كليات الآداب ، والتربية (الاجتماع — الفلسفة — اللغات — الجغرافيا) ، والشريعة ، واللغة العربية ، وكليات الخدمة الاجتماعية ومعاهدها وفى بعض الكليات العسكرية ، وتدرس فروع منه فى بعض كليات الهندسة والطب وغير ذلك . واعترافا من الحكومات بأهميته فقد أقام كثير منها مراكز علمية قومية وإقليمية للبحوث الاجتماعية .

والكتاب الذى بين أيدينا ما هو الا محاولة ، لالقاء الضوء على هذا العلم واستقلاله ، وأهم المباحث التى يحتاج الى التزود بها كل قارئ للاجتماع بصفة عامة ، وكل طالب يدرس مبادئ هذا العلم بصفة خاصة ، وقد جاء اختيار فصول هذا الكتاب وترتيبها ، وفقا لما رأينا انه يحقق المنشود على خير وجه ويعطى الجرعة المعرفية اللازمة بأسس العلم وأهم موضوعاته .

وقد اشتمل الكتاب على تسعة فصول : تناول الاول منها نشأة العلم منذ نلاسة اليونان حتى اكتماله عند دوركايم ، وأشرنا الى كيفية استقلاله : ببيان وضع علم الاجتماع بين المعارف والعلوم ، وخصائص ظواهره ، والقوانين الاجتماعية .

اما الفصل الثانى : فتناول موضوع العلم واتجاهات العلماء فى تحديدها ، ثم عرضا لأغراض علم الاجتماع نظريا وتطبيقيا ، وميادينه ، وأخيرا أوضحنا علاقة الاجتماع ببعض العلوم الأخرى كعلوم : النفس ، الجغرافيا ، الأثروبولوجيا ، التاريخ البيولوجيا ، الاقتصاد ، السياسة ، الإحصاء ، الخدمة الاجتماعية .

وفى الفصل الثالث : عرضنا أهم المناهج المستخدمة فيه ومنها : المسح الاجتماعى المنهج التاريخى ، المنهج التجريبي ، المنهج الإحصائى ، منهج دراسة الحالة ، ثم القياس الاجتماعى .

وفى الفصل الرابع : فتناولنا أهم عنصر من مكونات المجتمع وهو السكان : ودرسنا الموضوع من ثلاث جوانب رئيسية هى : الايكولوجيا الاجتماعية ، العلاقات العنصرية ، ثم النمو السكانى من حيث العوامل المؤثرة فيه (العوامل الطبيعية والاجتماعية) والهجرة .

اما فى الفصل الخامس : فكانت الثقافة من حيث عناصرها وتعريفها ، وتقسيماتها

وفى الفصل السادس : تناولنا نماذج للتفاعل الانسانى ، وتحدثنا فى هذا الاطار عن العمليات الاجتماعية الايجابية كالتعاون ، والنشئة الاجتماعية ، والتكيف ، والتمثل فى مقابل بعض العمليات السلبية كالتنافس والصراع وأنهينا هذا البحث ببعض المبادئ المستخلصة من دراسة تلك العمليات .

اما فى الفصل السابع : فكان الضبط الاجتماعى لتستقر أوضاع المجتمع وتستمر على أسس سليمة وأوضحنا أن الضبط ضرورة للمجتمع بأفراده وجماعته ، ثم أشرنا الى أهم طرقه ووسائله .

وفى البحث الثامن : كان لابد من الاشارة الى التغير الاجتماعى باعتباره سمة الحياة الاجتماعية فى أى مجتمع . وفى البحث الأخير : كان التخطيط الاجتماعى ، وارتباطه بفلسفة المجتمع ، ومقوماته ، واحتياجاته ، وصعوباته ، وضرورته خاصة للدول النامية ...

وبعد فهذه محاولة مع المجتهدين في هذا الميدان ، فان كنت قد وفقت فاني
للسعيد وارجو ان يتفرق بي زملائي واساتذتي لان ميدان العلم واسع يسمح بتضافر
كل الجهود ، والكمال لله سبحانه وتعالى وحده ، وما توفيقي الا بالله .

بريده : المملكة العربية السعودية

في ١ رجب ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٩٨٢

المؤلف

دكتور احمد رافت عبد الجواد

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

نشأة علم الاجتماع واستقلاله

اولا : نبذة تاريخية عن نشأته :

نشأ علم الاجتماع ، كغيره من فروع المعرفة الانسانية ، بين احضان الفلسفة ، وظل الفلاسفة يشيرون الى ظواهره وموضوعاته من خلال تناولهم لقضاياهم الفلسفية وبقي هذا شأنه حتى اكتمل عوده ، ووصل الى مرتبة العلم المستقل ، له مجالاته الخاصة ، وقوانين دقيقة كغيره من العلوم ، ومناهج دراسة علمية صحيحة قائمة على الملاحظة والتجربة ، ووضع الفروض ، ومحاولة اختبارها . واستطاع العلماء المحدثون الوصول الى نتائج وقوانين امكن صوغها في صور كمية ، بل ومعادلات رياضية ، ورسوم بيانية تعبر عن الحياة الاجتماعية بأدق النتائج .

ولذلك فان على كل باحث يود الوقوف على تطور التفكير الاجتماعى ، ويتعرف على بواصره عليه ان يعود الى الفلسفة ، يستعرض تاريخها ، ويحاول تتبع حقائق الحياة الاجتماعية فيها لدى طائفة من مفكرها الذين أسهموا بنصيب لا بأس به في هذا المجال . ولهذا فان كثيرا من المفكرين يرون ان بدء التأريخ للدراسات الاجتماعية يقترب بدراسة الفلسفة اليونانية باعتبارها اول صورة للتفكير الانسانى المنظم ، غير أن التسليم بهذا الرأى يهضم عظمة الفلسفة الشرقية ، وهى سابقة في ظهورها التاريخى على فلسفة اليونان ، فبلاد الشرق كانت التربة الخصبة والأصيلة التى نبتت فيها بذور الفلسفة ، ثم انتقلت الى بلاد اليونان حيث نمت وازدهرت (١) .

فالدارس لحضارات الشرق القديمة يعلم ظهور طوائف من الفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين الذين عالجوا موضوعات فى الفلسفة الاجتماعية لا تقل شأنًا عما عالجه

(١) دكتور مصطفى الخشاب : « دراسة المجتمع » ، مكتبة الأنجلو المصرية

فلاسفة اليونان : فنى مصر القديمة عرف الفراعنة أدق نظم الحكم ، ووضعوا من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكثير ، وفى الهند ظهرت صور مختلفة من العقائد والعبادات التى كانت لها تأثيراتها على أنماط السلوك ، وأساليب التفكير الاجتماعى والسياسى ، وفى الصين القديمة ظهرت طوائف من الحكماء والفلاسفة الذين درسوا موضوعات تمس صميم الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، وفلسفة « كونفشيوس » حكيم الصين لازالت من بين الفلسفات الانسانية التى تحاول أن تضع حلولاً عملية للمشكلات التى يعانى منها أفراد المجتمع .

غير أن هذه الأفكار الفلسفية للشرق القديم كانت أشبه بتأملات فلسفية ينقصها النزعة التحليلية ، كما أنها كانت مفككة غير مرتبطة بنظام معين . بعكس فلاسفة اليونان الذين استطاعوا فيما بعد أن ينظموا معارفهم تظفيها منهجيا موضوعيا ، فبدأ تفوقهم على فلاسفة وحكماء الشرق القديم .

ويكفى أن نلقى نظرة سريعة على الموضوعات الاجتماعية التى خلفها مفكران كبيران من اليونان كانت لآرائهما وزن كبير ، وتأثرت بهما مجتمعات غربية ومجتمعات اسلامية ، هذان المفكران هما افلاطون وأرسطو .

١ - افلاطون : (٤٢٨ - ٣٤٧ ق م)

ضمن افلاطون معظم آرائه الاجتماعية كتابه المسمى « الجمهورية » وكان الغرض الذى يهدف اليه افلاطون هو التخطيط الأمثل لقيام « مدينة فاضلة » لا شرور فيها ولا آثام ، مدينة فاضلة تظلها العدالة والمساواة ، وترفرر عليها الفضيلة فى كل جانب ، وتشرف عليها طبقة الفلاسفة ، حيث أن المجتمع عنده ينقسم الى ثلاث طبقات هى طبقة الفلاحين والصناع ، وطبقة الجند ، وطبقة الفلاسفة أو الحكام ، ومن رآه أن طبقة الصناع والفلاحين تأتى فى أدنى السلم الاجتماعى ، ومهمتها تأمين المجتمع وضمان حياة الطبقتين التاليتين وهما : الجند والحكام . وهذه الطبقة هى الوحيدة التى يحق لها التملك وتكوين أسرة ، أما طبقتى الجند والحكام فلا يصح لها ذلك حتى لا تتشغل عن مهمتها الاساسية فى ادارة شئون المجتمع وحمايته .

وواضح من هذه الآراء أنها آراء نظرية لا تتفق وطبيعة الحياة الاجتماعية ، وانها مستمدة من نظريات فلسفية لذلك تجد أن افلاطون نفسه يعدل عن بعضها فى كتابه « القوانين » .

٢ — أرسطو : (٣٨٤ — ٣٢٣ ق . م) :

وهو تلميذ لأفلاطون ، وقد جاءت كتاباته في الفلسفة الاجتماعية أكثر واقعية ووضعية ، وأدق طبيعة من استاذه ، بل يرى البعض أنها أدق ما احتوته الفلسفة القديمة بوجه عام . وقد ضمن أرسطو معظم آرائه الفلسفية والاجتماعية كتابه « السياسة » .

ومن أهم الأفكار الاجتماعية الجديدة التي أوردها أرسطو قوله بأن الإنسان مدنى بطبعه وأنه يستحيل على الإنسان أن يحيا ويعيش منفصلا عن المجتمع ، والدولة وجدت لتنظم حياة الناس في المجتمع وتشرف عليهم ، وتطبق التشريعات بهدف تحقيق العدالة والمساواة ، وأرسطو يقر الأسرة التي حاول أفلاطون أن ينفىها عن طبقتي الجند والحكام ، وهو يصنف الحكومات الى نوعين : حكومة صالحة وأخرى فاسدة .

وهكذا نجد أن أرسطو قد لمس أدق مسائل علم الاجتماع وعالجها منهجيا ، الا انه لم يدرس هذه المسائل بصورة مستقلة ، ولكنه كان يدرسها على اعتبار أنها مدخل لنظرية الدولة ، ولذلك يعتبر أرسطو أول من توصل الى ضرورة قيام علم السياسة ، رغم أنه بشر بموضوعات في صميم علم الاجتماع .

وانتقل ركب العلم والحضارة الى أيدي العرب والمسلمين مع بزوغ فجر الاسلام الذي كان له اكبر الأثر في دعوة المسلمين الى المساهمة في الكشف عن حقائق هذا الكون ، والتعرف على ناموس الحياة التي خلقها الله ، والوصول الى طبيعة العلاقات الانسانية والمبادئ التي تسير عليها المجتمعات في نشأتها ونموها وتحللها ، والقرآن الكريم زاهر بالآيات التي تحض على التفكير في جوانب المعرفة سواء كانت متعلقة بالكون أم كانت متعلقة بالإنسان . ومن هنا انطلق المفكرون المسلمون في الدراسة والتحصيل ، وكان الإنسان من بين الموضوعات التي اتجهوا اليها بالبحث والدراسة خاصة وأن الاسلام كرمه على سائر المخلوقات التي ميزه عنها بالعقل والفكر والعاطفة .

وانتهت الدراسة بالمسلمين من التوصل الى وضع أسس علم الاجتماع الحديث على يد العلامة ابن خلدون الذي أسماه « بعلم العمران البشرى » ، وقيل أن نوضح دور ابن خلدون في نشأة علم العمران يحسن أن نلقى نظرة على الأعمال السابقة عليه خاصة أعمال الفارابي الذي أسهم بفكره في دراسة الفلسفة الاجتماعية .

٣ — الفارابي : (٢٥٩ — ٣٣٩ هـ = ٨٧٢ — ٩٥٠ م) (١) :

ضمن الفارابي بحوثه الاجتماعية في كتابين هما : كتاب السياسة المدنية ، وكتاب اهل المدينة الفاضلة . تختلط فيهما افكاره الفلسفية مع آرائه الاجتماعية ، وقد حاول في كتابه الاخير ان ينشئ مدينة فاضلة على غرار مدينة افلاطون ويؤخذ عليه انه تأثر تأثيرا كبيرا بأراء فلاسفة اليونان افلاطون وأرسطو ، وانه حاول ان يخرج أو يوفق بين آرائهما وبين الآراء الاسلامية ، فجانبه الصواب في كثير من هذه المحاولات .

٤ — الدراسات الاجتماعية عند ابن خلدون : (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ — ١٤٠٦ م)

هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن محمد بن خلدون ، وقد ولد في مدينة تونس ، وتوفي بمصر وينتسب الى أسرة عربية يمنية بحضرموت . وقد تولى كثيرا من الأعمال السياسية ، واتصل بسلاطين المغرب وأسبانيا ، رفعته السياسة حتى وصل وزيرا ، وخفضته حينما حتى سجن ، فسئم العمل السياسي واعتزله سبع سنوات من ٧٧٦ هـ = ١٣٧٥ : ١٣٨٢ م . قضى أربع سنوات منها في قلعة ابن سلامة ، وفيها كتب مقدمته المشهورة في خمسة اشهر ، ثم نقحها وبدأ بكتابة تاريخه ، ثم رحل الى القاهرة وتولى القضاء فيها ، وظل بها الى أن مات .

مقدمة بن خلدون :

اشتهر بن خلدون بمقدمته التي هي جزء من كتابه الذي ألفه في التاريخ وسماه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر » وينقسم هذا المؤلف الى مقدمة وثلاث كتب ويمكن ان نصفها كما يلي :

١ — المقدمة : « في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، وأسباب أخطاء المؤرخين ، مرجعا أسباب هذه الأخطاء الى أنهم لم يحلوا دراسة المجتمعات وما يسودها من قوانين ، ولذلك وضع لهم أسس دراسة المجتمعات أو كما سماها « علم العمران » موجهها النظر الى ضرورة دراسة

(١) ولد في ولاية فاراب بتركستان ، وانتقل الى بغداد ليشغل فيها بالمنطق والفلسفة والعلوم ، ثم رحل الى دمشق وتوفي بها في سن الثمانين .

المجتمع وما به من وقائع « ظواهر » اجتماعية ، دراسة علمية تحليلية ، مع استخلاص ما تخضع له هذه الوقائع من قواعد وقوانين ، ومشيئاً إلى أن طبيعة علم العمران ليست إلا جزء من الطبيعة العامة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة اجتماعية للمجتمعات التي زارها أو قرأ عنها مستنبطاً بعض القواعد والقوانين التي سجل بها سبقه على مفكرى الغرب بعدة قرون .

٢ — الكتاب الأول : في العمران وما يعرض له من العوارض الذاتية وما لذلك من العلل والأسباب .

٣ — الكتاب الثانى : في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

٤ — الكتاب الثالث : في أخبار البربر ومن اليهم وأجيالهم ودولهم .
ويطلق على المقدمة والكتاب الأول ما نسميه اليوم باسم « مقدمة ابن خلدون » وهى التى تعيننا لأنها تشتمل على آراء ابن خلدون الاجتماعية .

أسباب تفكيره فى انشاء علم العمران :

لاحظ ابن خلدون أن المؤرخين يقعون فى أخطاء كثيرة نتيجة لأسباب متعددة
١ — تعصب المؤرخ لمذهب معين أو لطائفة معينة من الحكام أو لدولة ما ، لعل أهمها :

وهذا التعصب يقوده إلى تسجيل الوقائع التاريخية وفقاً لهواه ، ونزعة ميوله الشخصية ، وهذا يتنافى مع الحق والعدل .

٢ — أن كثيراً من المؤرخين لا يحكمون العقل والمنطق فيما يصل اليهم أو فيما يستجلونه من أخبار .

٣ — عدم قياس الغائب على الشاهد . بمعنى أن الحوادث الإنسانية تتشابه ، فما يكون منها قد حدث فى الماضى أو فى مجتمع آخر ، قد يحدث فى الحاضر أو يتكرر فى مجتمع ثان ، لهذا فإن من واجب المؤرخين أن يقيسوا الأخبار التى يسمعونها على الأحداث التى يشاهدونها ، فيتجنبون الوقوع فى الخطأ .

٤ — الجهل بالقوانين والنواميس الطبيعية التى يسير عليها الكون ، لأن

علمهم بها يعصمهم من الوقوع في كثير من الأخطاء .

هـ — الجهل بالقوانين الاجتماعية أو المبادئ التي يسير عليها العمران البشرى ،
فالعلاقات الانسانية تسير وفق قواعد محددة واضحة ، وليست بطريقة
عشوائية أو اعتباطية .

وابن خلدون لا يلتمس عذرا للمؤرخين الذين يقعون في الأخطاء الأربعة الأولى
لأن من واجبهم أن يكونوا على علم بها ، ولكنه يلتمس لهم العذر اذا وقعوا في الخطأ
الخامس لانه ميدان جديد عليهم ولم يكتشفه عالم من قبل ، ولهذا فالجهل به مغفور ،
وهو لكى لا يكون لمؤرخ حجة أو مبرر للوقوع في الخطأ في هذا السبب رأى ابن خلدون
ضرورة الكشف عن طبيعة الاجتماع البشرى وقوانينه وتطوره ، ومن هنا انطلق
ابن خلدون ليؤسس علم العمران .

يقول ابن خلدون مفصلا نشأة هذا العلم « فالقانون في تمييز الحق من الباطل في
الأخبار بالامكان والاستحالة . أن ينظر في الاجتماع البشرى الذى هو العمران ويميز
ما يلحقه لذاته وبمقتضى طبيعته ، وما يكون عارضا لا يعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض
له . واذا فعلنا هذا كان لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من
الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه » .

ويتابع ابن خلدون مبينا أن ما سيكتب فيه شيء مستقل بذاته فانه ذو موضوع
وهو - العمران البشرى والاجتماع الانسانى ، وذو مسائل وهى : بيان ما يلحقه من
العوارض والاحوال الذاتية واحدة بعد الأخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم
وضمعا كان أو عقليا . وأن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غزير الفائدة
أعثر عليه البحث وأدى اليه الغوص ... وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم أقف
على الكلام في مناه لأحد من الخليقة « (١) .

واذا كان أى علم يحتاج لنشأته : استقلال موضوعه ، وتحديد أغراضه
وميادينه ، وبيان منهجه أو طريقته العلمية . فان ابن خلدون قد أوضح كل ذلك .

فموضوع علم الاجتماع عنده ، هو « واقعات العمران البشرى » أو ما يسمى
اليوم بالظواهر الاجتماعية وابن خلدون لم يحاول تعريف هذه الوقائع نظريا أو بيان
طبيعتها وخصائصها ، ولكنه اكتفى بالتمثيل لها . فقال « أنه لما كانت طبيعة التاريخ

انه خبر عن الاجتماع الانساني الذى هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك كله من الملك والدولة ومراتبها وما يمثله البشر بأعمالهم ومعاشهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعته من الأحوال .

وأما عن أغراض العلم فقد حدد ابن خلدون أغراض علم العمران بنوعين :

(١) أغراض مباشرة : تتلخص فى ضرورة الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها ، والوقوف على القوانين التى تخضع لها (أغراض نظرية) .

(ب) أغراض غير مباشرة : تتلخص فى الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه فى حقائق التاريخ وتحليل الأخبار ، وتعليل الأحداث (أغراض عملية) .

وأخيراً فقد أوضح ابن خلدون الطريقة التى تمحض بها الوقائع العمرانية عندما قال « بوجوب البحث بطريقة نظرية عما اذا كانت واقعة من الوقائع ممكنة فى ذاتها ، وعما اذا كانت غير مناقضة لطبائع العمران ، وعما اذا كانت متفقة مع الزمان والمكان الذين حدثت فيهما » . أى أنه دعا الى الملاحظة ، ونقد الظواهر وتعليلها وتحليلها ، ودراستها تاريخياً ، والوقوف على مبلغ تطورها ، ومقارنتها ببعضها ، وهذه هى الطريقة العلمية السليمة .

وهكذا يمكن الجزم بأن ابن خلدون أول عالم يقرر فى صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد ، وأنه المنشئ الأول لعلم الاجتماع لأنه أول من استكمل الخصائص المنطقية التى يجب توافرها فى كل علم من حيث الموضوع والمنهج والأغراض التى يرمى اليها (١) . وقد كان هو أول من عرض لدراسة هذا الموضوع بهذه الطريقة ، فالفضل فى انشاء علم الاجتماع يرجع اليه ، لا كما يدعى الايطاليون الذين ينسبون فضل ذلك الى « فيكو » (١٦٦٨ — ١٧٤٤ م) ولا كما يدعى الفرنسيون بأن فضل ذلك يعود الى أوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧ م) ، وإنما الفضل يعود الى هذا المفكر العربى المسلم الذى ظهر قبل هؤلاء جميعاً بعدة قرون .

(١) د . مصطفى الخشاب : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

وقد اعترف بذلك بعض المنصفين من الغربيين خاصة بعد أن اطلقوا على دراسات ابن خلدون في المقدمة ، هذا وان كان عالما لم يوفق في جميع نظرياته وقوانينه التي كشفت عنها دراسة فانه يكفيه فخرا انه ارس قواعد علم الاجتماع على دعائم قوية (١) .

علم الاجتماع
أعمال

٥ - أوجست كونت O. Comte (١٧٩٧ - ١٨٥٧ م) :

تعتبر علم الاجتماع بعد ابن خلدون ، وعادت معالجة علم الاجتماع لا كعلم مستقل بذاته ، وانما مصطبغا بالصبغة الفلسفية في أغلب الأحوال ، وظل الحال هكذا حتى قبض الله العالم الفرنسي كونت في القرن التاسع عشر (الثاني عشر الهجري) ، وعلى يديه عاد المنهج العلمي في علم الاجتماع الى الظهور ، والى كونت ينسب المؤرخون الفضل في نشأة علم الاجتماع الحديث .

لقد كانت رغبة كونت في اصلاح المجتمع الفرنسي دافعا دعاه الى انشاء علم الاجتماع . فقد لاحظ الفوضى تضرب أطنابها في ربوع مجتمعه ، ولما حاول أن يتعرف على أسباب تلك الفوضى وجدها في الفوضى الفكرية ، فالفكر عنده أساس كل اصلاح أو فساد في المجتمع ، ورأى أن من أسباب تلك الفوضى أن الباحثين يسلكون منهجين مختلفين في تفسيرهم لكل من الظواهر الاجتماعية والطبيعية ، فهم يسلكون منهجا علميا وضيعا للتعرف على حقائق الطبيعة ، والكشف عن قوانينها وعلاقاتها ، بينما لا يسلكون المنهج نفسه في الظواهر الاجتماعية . وقد وجد كونت أنه لا فائدة في علاج الفكر الفاسد ، والقضاء على الفوضى الفكرية الا اذا خضعت الظواهر الاجتماعية للمنهج العلمي المتبع في الظواهر الطبيعية . وقال كونت أنه هو الذي سينشئ علم الاجتماع ليؤدي هذا الغرض .

ويرى كونت أنه لكي يمكن فهم الناس لظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي يجب أن يتوافر شرطان :

الشرط الأول : أن تخضع الظواهر (الواقعات) الاجتماعية لقوانين تسير عليها ولا تخضع للأهواء والمصادفات ، وذلك لأن فهم الظواهر الاجتماعية بطريقة وضعية هو عبارة عن القوانين التي تحكمها .

(١) دكتور على عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون : سلسلة أعلام العرب ، ص ٢٠٥ .

الشرط الثانى : ان يستطيع الافراد التعرف على هذه القوانين لكى يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع . وهو يرى أن الشرط الأول متوافر فى الظواهر الاجتماعية لأنها جزء من الطبيعة الكلية ، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها . وأما الشرط الثانى (معرفة الناس بهذه القوانين) فلا يمكن توافره الا اذا كشف الباحثون عن هذه القوانين ولا يمكن الكشف عنها الا اذا قام علم جديد وظيفته دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وضعية . وبقيام هذا العلم الجديد يتم القضاء على الفوضى الفكرية ، ومن ثم يتم اصلاح المنشود .

ويعتبر كونت أول من استخدم كلمة علم الاجتماع **Sociology** ، وهذا الاصطلاح مكون من كلمتين خليطتين من أصل لاتينى ويونانى وهما **Socio** وتعنى المجتمع ، **Logoy** تعنى علم أو بحث باليونانية ، وهكذا يعنى علم الاجتماع « دراسة المجتمع على مستوى عال من التعميم والتجريد (١) » . وقد سُمى كونت علمه الجديد باسم الطبيعة الاجتماعية فى بادئ الأمر الا أنه عاد فسماه علم الاجتماع وقد قسمه الى شعبتين رئيسيتين هما :

الشعبة الأولى : وسماها « الديناميك الاجتماعى » **Social Dynamic**
الشعبة الثانية : وسماها « الستاتيك الاجتماعى » **Social Static**

وتدرس الشعبة الأولى الاجتماع الانسانى من حيث تطوره ، وتغيره من حال الى حال ، وتهتم الشعبة الثانية بدراسة المجتمعات الانسانية فى حالة استقرارها ، وباعتبارها ثابتة فى فترة معينة من تاريخها ، والشعبة الأولى فى نظره لها أهمية أكثر مما للثانية ، وذلك لأن الستاتيك يعتمد كثيراً على النظريات الديناميكية ، ولا يمكن الوصول الى القوانين الستاتيكية الا بعد كشف القوانين الديناميكية فى المجتمع . ولهذا فان حديثه عن الشعبة الأولى يعتبر الجزء الجوهرى والأكبر فى مؤلفاته وفلسفته .

وبعد موت (كونت) انحرفت الدراسة فى علم الاجتماع عن الحدود التى رسمها للعلم الجديد ، فبعض الباحثين الحقه بعلم الجغرافيا كما فعل (راتزل) والبعض الآخر الحقه بعلم الحياة كما فعل (هربرت سبنسر) ، وبعضهم كان يدرسه داخل نطاق علم النفس ، وقد جنت هذه الاتجاهات على استقلالية علم الاجتماع ، وكادت تفقده شخصيته المتميزة .

٦ — اميل دوركايم E. Durkhiem (١٨٥٨ — ١٩١٧ م) :

وهو عالم اجتماع فرنسى ، وأحد تلامذة (كونت) ، ويعتبر زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع والتي لا تزال قائمة حتى وقتنا هذا . وقد اهتم هو ومدرسته بالدفاع عن كيان العلم ، والتصدى للمعارضين فى استقلاله ، ودرس معظم ظواهر المجتمع ونظمه ، ووصلوا فى هذا الصدد الى نتائج وقوانين على درجة عالية من الاهمية . وبذلك ازدهر العلم ، وانتشر فى كل البلاد .

وبقيام الحرب العالمية الثانية انتقل مركز الصدارة فى هذا العلم الى الولايات المتحدة الأمريكية وقد كان لضخامة الامكانيات بها ، وكثرة ما رصدته من مكافآت واعانات دراسية أكبر الفضل فى زيادة الاقبال على الدراسة فى الميدان الاجتماعى ، وفى اغراء كثير من العلماء الأجانب الى الهجرة اليها .

وقد عرفت كثير من البلاد العربية الدراسات الاجتماعية منذ أوائل القرن الحالى .

(١) د . عبد الهادى الجوهري وآخرين : دراسات فى علم الاجتماع ، مكتبة الطليعة بأسسيوط ١٩٧٩ . ص ٣ .

المعارف الانسانية ووضع علم الاجتماع بينها :

يمكن تقسيم المعرفة الانسانية الى ثلاثة انواع :

- ١ - معرفة حسية .
- ٢ - معرفة فلسفية .
- ٣ - معرفة علمية .

(ا) والنوع الأول يطلق على المعرفة التى تقتصر على مجرد ملاحظة الظواهر ملاحظة بسيطة ، معتمدين فى ذلك على حواس الانسان الطبيعية التى زودنا بها الله سبحانه وتعالى وهى (الابصار - السمع - اللمس - والشم - والتذوق) . فالرجل البدائى مثلا كان يتعرف على الأشياء بنظره أو بسمعه أو بيده فيدرك صفات الأشياء ، وبمرور الزمن ازدادت معرفته بالأشياء نتيجة خبراته من تجاربه الحسية وبذلك استطاع تدبير حياته ، والتغلب على مشكلاتها . بمعنى أن المعرفة لاي انسان هنا تقف عند مستوى الادراك الحسى العادى دون أن تتجه الى ايجاد العلل أو تسعى الى ادراك العلاقات القائمة بين المدركات (١) .

وهذا النوع من المعرفة تبدو قاصرة فى محيط التفكير النظرى ، فهى لا تستطيع تقديم تعليل للظواهر وتحتوى على تناقضات فيما بينها ، وعلى الجملة فهى بعيدة عن الموضوعية .

(ب) أما النوع الثانى وهو المعرفة الفلسفية : فهى مرحلة أرقى من السابقة لان الامور المكتسبة بالملاحظة البسيطة تحتاج الى تفسير أو تعليل فكري مقبول ، وتحاول الفلسفة دراسة العالم الطبيعى وما وراءه أى عالم « الميتافيزيقى » ، فتبحث عن الوجود وعن علته ، وعن صفات الوجود .. الخ . ومسائل الفلسفة يصعب حسمها بالتجربة ، لانه يتعذر الرجوع فيها الى الواقع ، كما أن الفلسفة تحاول تفسير الأشياء بالرجوع الى أسبابها ، وتهتم بالكلية لا بالجزئيات . ويعتمد منهج الفلسفة - خاصة اليونانية - على التأمل العقلى الذى انتهى عند أرسطو الى أنه يكون

(١) ليفى بريل : فلسفة أوجست كونت ، ترجمة الدكتورين : محمود قاسم ،

والسيد محمد بدوى ، القاهرة ١٩٥٣ ص ٦٥ .

القياس المنطقي **Logical Deduction** وظل القياس الأرسططاليسى (المنطق
الصورى) هو المنهج المتبع فى التفكير الفلسفى اكثر من عشرين قرنا من الزمان (١) .

(ج) **اما المعرفة العلمية** فهى تقوم على الأسلوب الاستقرائى **Induction**
الذى يعتمد على الملاحظة العلمية ، وفرض الفروض ، واختبارها بالتجربة ، وجمع
البيانات وتحليلها للتثبت من صحة الفروض أو عدم صحتها ، ولا يقف العلم عند
المفردات الجزئية التى يتعرض لبحثها ، وانما يحاول الكشف عن القوانين والنظريات
التي تربط بين الجزئيات ، والتي بواسطتها يمكن التنبؤ بما يحدث للظواهر مستقبلا
إذا توافرت نفس الظروف (٢) .

وتنقسم المعرفة العلمية بدورها الى ثلاثة أنواع هى :

١ — **العلوم الرياضية** : وهى علوم تبحث فى الكم المجرى الحسابى والهندسى
مثل علوم الحساب والهندسة والجبر ، والمثلثات ، والفراغية ... الخ .

٢ — **العلوم الطبيعية** : وهى علوم تدرس جميع الموجودات الكائنة فى الطبيعة
التي خلقها الله جلّت قدرته ما عدا الانسان وتنقسم الى نوعين :

(أ) علوم طبيعة حية : من أمثلتها علوم النبات ، والحيوان ، والحشرات ،
والطيور ، والأسماك وعلى الجملة تهتم بالمخلوقات التي تمتلك حسا ،
وقدرة على التأثير بعوامل البيئة .

(ب) علوم طبيعة جامدة : كعلوم الطبيعة ، والكيمياء ، والفلك ، والجيولوجيا
الخ .

٣ — **العلوم الانسانية** : وهى العلوم التي تدرس الانسان من مختلف وجوهه
ومن مختلف نشاطاته وتنقسم بدورها الى نوعين :

(أ) علوم تدرس الانسان من حيث هو كائن فرد ، كعلوم التشريح ، وعلم
النفس .

(ب) علوم تدرس الانسان من حيث هو كائن اجتماعى يعيش فى مجتمع وذلك
كعلوم الاجتماع ، الاقتصاد السياسة ، التاريخ ، الجغرافيا ، اللغة
الدين ، القانون ... الخ .

(١) د . عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ، مكتبة وهبة ،
القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

ومن هذا التصور لخريطة المعرفة الانسانية يتضح لنا ان علم الاجتماع هو احد العلوم الاجتماعية . وقد حدد العلماء الشروط الضرورية للعلم المستقل في ثلاثة شروط أساسية هي (١) :

اولا : وجود طائفة متميزة من الظواهر ، يتخذها العلم موضوعا للدراسة والبحث .

ثانيا : خضوع هذه الطائفة من الظواهر لمنهج بحث علمي .

ثالثا : امكان تعميم النتائج ، والوصول الى طائفة من القوانين والنظريات الخاصة بهذا العلم .

ولو قمنا بتطبيق هذه الشروط الثلاث على الاجتماع الانساني لانتبهنا الى تقرير انه علم مستقل بذاته تتوافر فيه هذه الشروط كلها .

فالشروط الأولى نجده كامن في علم الاجتماع حيث حدد علماءه مجال دراسته في الظواهر الاجتماعية فقد سماها ابن خلدون الواقعات الاجتماعية ، ومثل لها في كتاباته ، وان كان لم يحدد خصائصها — كما سبق الاشارة — ومن بعده دعا أوجست كونت الى دراسة الظواهر الاجتماعية ، ولكنه أيضا لم يهتم بتحديداتها ولم يعرفها كما عرف الظواهر الطبيعية والكيميائية والبيولوجية ، وذلك لان علم الاجتماع في نظره يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم السابقة على علم الاجتماع ، وأن من العبث تحديد الظاهرة الاجتماعية لان جميع الظواهر الانسانية بما فيها علم النفس هي ظواهر اجتماعية . ثم جاء دوركايم وفي عهده تم تحديد الظاهرة الاجتماعية تحديدا واضحا وجليا . وهذه الظواهر الاجتماعية هي التي يستأثر علم الاجتماع ببحثها ، ويتخذها مجالا للدراسة .

(١) د . عبد الهادي الجوهري وآخرين : مدخل لدراسة المجتمع ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٥ .

(٢) انظر — د . عبد الهادي الجوهري وآخرين — المرجع السابق ، ص ٦ — ٨ .

— د . مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ، مرجع سابق ، ص ٤٤ — ٤٦ .

— اميل دوركايم : قواعد المنهج في علم الاجتماع ترجمة د . محمود قاسم ومراجعة د . محمد السيد بدوي — النهضة المصرية ١٩٥٠ ، ص ٣٣ وما بعدها .

أخصائص الظواهر الاجتماعية :

وتتمتاز هذه الظواهر بأخصائص تميزها عن غيرها من ظواهر العلوم الأخرى

وأهم هذه الخصائص ما يلي (٢) :

١ - تعرف الظاهرة الاجتماعية بأنها نتائج تأثير شخص أو جماعة أو مجتمع على شخص آخر ، وينطوي هذا التأثير على كل نماذج السلوك الذي يحدث بين الناس (سواء كان فيزيقيا أو نظاميا) وعلى جميع المواقف الاجتماعية . وتعتبر الظواهر الاجتماعية بمثابة الوقائع الأمبريقية التي يمكن ملاحظتها في الحياة الاجتماعية (١) . فهي عبارة عن قوالب وأساليب للتفكير والعمل الإنساني .

٢ - أنها موجودة خارج شعور الأفراد ، بمعنى أنها أشياء خارجية تستلزم دراستها دراسة موضوعية لا على أساس تحليل شعور الفرد في الزمان والمكان .

٣ - أنها تمثل جانبا جديدا في حياة الإنسان ، فإذا كان الإنسان بمقتضى طبيعته النفسية يشعر ويحس ويتألم ويتلذذ ويتخيل ... ، وإذا كان بمقتضى طبيعته الحيوية أو البيولوجية يأكل ويشرب ويتنقل من مكان لآخر ، فإن طبيعته الاجتماعية (الجديدة) تفرض عليه أن يعيش في مجتمع ويتعامل مع أفرادها ويتفاعل معهم ، ويخضع للأوضاع السياسية والاقتصادية والتربوية واللغوية ... الكائنة بالمجتمع .

٤ - أن الظواهر الاجتماعية كما يقول دوركايم تركيب خاص ينشأ من الفعل ورد الفعل بين ضمير الفرد من جهة وبين العقل الجمعي من جهة أخرى ، فهي ليست من صنع فرد من الأفراد ، ولكنها من صنع المجتمع ومن خلفه ، وتنشأ بوحي من العقل الجمعي فيه .

٥ - تتمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها مترابطة ومتداخلة ، ويفسر بعضها البعض ، ويؤثر بعضها في البعض فلا يمكن دراستها منفصلة عن بعضها ، أو منفردة ، فالأسرة كظاهرة اجتماعية مثلا مرتبطة بالظواهر الاقتصادية ، والاقتصادية

(١) د . محمد عاطف غيث : « قاموس علم الاجتماع » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٢) انظر اميل دوركايم « قواعد المنهج في علم الاجتماع » ترجمة د . محمود هاسم ومراجعة د . محمد السيد بدوي مرجع سابق .

مرتبطة بالسياسية ... هكذا .

٦ — الظاهرة الاجتماعية تتصف بالعمومية والانتشار أى يشارك فيها معظم المجتمع .

٧ — الظاهرة الاجتماعية تاريخية بمعنى أنها سابقة فى الوجود على الوجود الفردى .

٨ — أنها تتسم بالجبر والقسر « أنها تمتاز بقوة آمرة قاهرة هى السبب فى أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد » (٢) .

٩ — الظاهرة الاجتماعية معقدة ، أى لا يمكن أرجاعها لسبب واحد لأنها تعود الى عوامل متعددة ، وقد أخطأ الكثيرون حين حاولوا تفسيرها بعامل جغرافى ، أو سياسى ، أو اقتصادى ، أو عنصرى أو نفسى ، فظاهرة الجريمة مثلا يمكن أن نجد لها محصلة لمجموعة من الاسباب النفسية ، والاقتصادية ، والتربوية ، والدينية ، والعلمية . ولهذا التعقيد كانت دراستها أصعب من دراسة الظواهر الطبيعية .

١٠ — الظاهرة الاجتماعية نسبية ومتغيرة من حيث الزمان والمكان . فالزواج مثلا يختلف من حيث تطور أشكاله على مر العصور ، كما أنه يختلف من مجتمع لآخر من حيث عدد الأزواج والزوجات ، ومن حيث تقاليد الأمراح ...

١١ — الظاهرة الاجتماعية مكتسبة فيتم تنشئة الأفراد عليها داخل الأسرة والمجتمع ، ومن تبادل الآراء واتصال وجهات نظرهم ، وانصهار رغباتهم واراداتهم .

١٢ — تمتاز الظاهرة الاجتماعية بصفة الجاذبية وهى صفة أضافها دوركايم ليرد بها على معارضة الذين اعتبروا أن وصف الظاهرة الاجتماعية بالجبر والالتزام يجعلها ثقيلة على الناس ، لأن هناك ارادة اقوى من ارادتهم تتحكم فيهم ، فرد دوركايم بأن الالتزام هنا له جاذبية وهذه الجاذبية نوعان :

(أ) لا شعورية : لأن الأفراد يعتقدون عليها ، ومتى اعتاد الفرد على شئ فإن هذا الشئ يصبح سهلا ميسورا على الفرد ، بل محبب الى نفسه .

(ب) شعورية : وهى تتردد من وقت لآخر ، فى مناسبات معينة كما هو الحال فى الاحتفالات والأعياد وغيرها .

هذه هى أهم الخصائص المميزة للظواهر الاجتماعية التى استأثر بدراستها علم الاجتماع ، وجعل منها ميدانا ومجالا لدراساته وبحوثه ، وبذلك نرى أن علم الاجتماع قد تحقق له الشرط الأول من شروط العلم المستقل .

أما عن المنهج وهو الشرط الثانى : فنجد أن لعلم الاجتماع مناهج متعددة تخضع لظواهره لها فى البحث والدراسة فكان المنهج التاريخى هو أول المناهج التى استخدمها علم الاجتماع فى بادئ الأمر ، تلاه مناهج أخرى منها المنهج التجريبي ، ومنهج دراسة الحالة ، والمسح الاجتماعى ، والاحصاء ، والقياس السسيومتري . وبفضل هذه المناهج أمكن الوصول الى طائفة غير قليلة من القوانين الاجتماعية (١) .

وأما عن الشرط الثالث والأخير . فقد توصل علماء الاجتماع الى مجموعة من القوانين فى مجال هذا العلم ، واذا كانت هذه القوانين لا زالت محدودة ، ولم تصل فى وقتها بعد الى مرحلة القوانين الطبيعية ، فإن ذلك لا يقلل من شأنها لأن علم الاجتماع يعتبر من العلوم الحديثة ، وأنه كلما مر به الوقت ، كلما أمكن تعميم كثير من مسائله وأمكن الوصول الى قوانين ونظريات أكثر تحديدا ودقة .

وقد أبان ابن خلدون وكذلك كونت ودوركايم وغيرهم أن ظواهر الاجتماع تخضع لفكرة القانون شأنها فى ذلك شأن غيرها من ظواهر العلوم لأنها جزء من الظواهر الكونية .

الاختلافات بين القوانين الطبيعية والقوانين الاجتماعية :

لكن هناك وجوها للاختلاف بين القوانين التى يتم التوصل اليها فى كل من الظواهر الطبيعية والاجتماعية وأهم هذه الاختلافات يمكن حصرها فى الآتى (١) :

١ — أن القوانين الطبيعية تمتاز بالدقة . أما القوانين الاجتماعية فهى مرنة ولم تصل بعد الى درجة دقة نظيرتها ، وذلك لأن الأولى تم دراسة موضوعاتها منذ أمد طويل ، بينما الثانية لازالت فى طور النشأة والتكوين .

(١) انظر الفصل الخاص عن مناهج البحث فى هذا المؤلف .

٢ — أن العلوم الطبيعية تعالج مسائل يمكن ضبطها والتحكم فيها وعزلها عن غيرها ،
ولذلك فالحقائق التي يتم التوصل اليها تصدق في كل زمان ومكان ، ويمكن
إعادتها والوصول الى نفس النتائج بنفس الدقة ، بينما الموضوعات التي يعالجها
علم الاجتماع موضوعات اجتماعية أى تختص بالانسان في المجتمع ، والانسان
قد يخادع أو يجامل أو ينافق أو يكذب ، وقد يكون مختلفاً في نوعيته من حيث
درجة التعليم ، وطبقته ، ودخله ، ومهنته .. الخ .

٣ — أن الموضوعات الاجتماعية متغيرة ، متداخلة ، مؤثرة في بعضها ، يصعب
فصلها ، ولهذا فهي نسبية بعض الشيء ، ونطاقها الزمانى والمكانى محدود ،
ولا يمكن بحثها بنفس الدقة التي تعالج بها مسائل المادة .

لكل هذه العوامل اتسمت القوانين الاجتماعية بشيء من المرونة ، ولكن هذا
لا يقلل من قيمتها بأى حال من الأحوال . بل على العكس سوف تزداد قيمتها كلما
اتسعت البحوث الاجتماعية واختبرت فروقها ، وأمكن اثبات صدقها من عدمه في
محاولة لتعميم النتائج والوصول الى القوانين الأكثر صدقاً وثباتاً .

الفصل الثانى

علم الاجتماع

(موضوعه — اغراضه — ميادينه — علاقته ببعض العلوم الأخرى)

(١) الاتجاهات المختلفة فى تحديد موضوع العلم

يكاد يجمع علماء الاجتماع على أن موضوع العلم هو دراسة المجتمع فى ظواهره ونظمه وبنيته والعلاقات بين أفراده دراسة علمية وصفية تحليلية ، الغرض منها الوصول الى الوظيفة الاجتماعية التى تؤديها هذه الظواهر — وقد سبق لنا أن أوضحنا ما هى الظواهر الاجتماعية التى يتخذها علم الاجتماع أساسا للبحث والدراسة .

ولكن ميدانا واسعا كهذه السعة قد يصبح من العمومية التى تقضى على شخصية العلم ، وتساء اليه ، وغنى عن البيان أن علم الاجتماع لا يمكنه أن يشق طريقه نحو الارتقاء ، اذا أقحم نفسه فى مجالات متعددة تتصل بجميع نواحي الحياة وشئون المجتمع . وهذا ما جعل علماء الاجتماع يحاولون تحديد ميدانه ، وتضييق موضوعاته ، فانقسموا فى هذا الخصوص الى ثلاث فرق (١) :

١ — **الفريق الأول** : ويذهب الى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية ، ويعرف رجال هذا الفريق بأصحاب « مدرسة العلاقات » ويتزعم هذه المدرسة المفكر الألماني « جورج سيميل » **G. Simmel** ومن أنصارها « ألفريد فركانت » **A. Vierkant** ، والعلامة ماكس **Maxweber**

ويبنى هذا الفريق رايه — بصفة عامة — على أساس الفصل بين شكل العلاقات الاجتماعية ومضمونها فاذا درست من حيث شكلها (أى طبيعتها الصورية) كانت موضوع علم الاجتماع ، أما اذا درست من حيث مضمونها كانت موضوعا لعلم آخر ، لأن العلاقات التى تنشأ بين الأفراد كالتنافس والخضوع ، وتقسيم العمل

(١) د . مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

والصراع .. موجود في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية ، فهناك تنافس وصراع في شؤون الاقتصاد والسياسة وبين المعتقدات الدينية ... الخ . وهناك خضوع في الأسرة ، وفي بيوت العبادة وفي دور القضاء ... الخ . ووظيفة علم الاجتماع هو تحليل هذه المظاهر المختلفة للعلاقات الاجتماعية حتى تتعرف على خصائصها ومقوماتها ، ثم محاولة تفسيرها في صورتها المجردة بعيدا عن مضمونها الاجتماعي .

وقد كانت آراء هذا الفريق في جملتها عرضة لانتقادات وجهت اليها يمكن تلخيصها في الآتي :

١ — أن تجريد العلاقات الاجتماعية من تجسدها الاجتماعية ، ومحاولة دراستها مجردة ينزع منها صفة الوجود المستقل « الشيئية » بحيث لا تصلح أن تكون موضوعا للدراسة والبحث .

٢ — ثم أن تجريد العلاقات من مضمونها ، وردها الى عناصر أولية مجردة يمزق وحدة العلاقات ، ويقطع أوصالها ، لأن من طبيعة العلاقات (كظواهر اجتماعية) المترابطة والمتداخلة وهي دائمة التفاعل والتغير وعلى ذلك فان العلاقات الاجتماعية لا تفهم الا بدراسة مترابطة .

٣ — ان دراسة العلاقات بشكل مجرد ، لا يتيح لنا الوصول الى قواعد أو قوانين عامة ، فالخضوع مثلا الموجود في الأسرة ، يختلف عن خضوع الأفراد للدولة ، كما قد يختلف عن خضوع الأفراد في دور العبادة فكيف يمكن الوصول الى قانون يحكم ظاهرة الخضوع في حد ذاتها ما لم يتم دراسة هذه الظاهرة في وسطها الجمعي ، وتبحث داخل الحالات التي تحدث فيها . أما دراسة ظاهرة الخضوع بصورة مجردة من الواقع فانها فكرة فلسفية خيالية لا تعبر الا عن وجهة نظر أصحابها أكثر من تعبيرها عن حقائق الحالات الاجتماعية .

وقد كانت هذه الانتقادات سببا في انقسام هذا الفريق الى اتجاهين اثنين هما :

(أ) الاتجاه الأول : أصر على الموقف العام ، ولازال يدرس العلاقات الاجتماعية مجردة .

(ب) الاتجاه الثاني : ونميز فيه رأيان : **أولهما** : يرى دراسة العلاقات الاجتماعية الثابتة والمنظمة فقط كما هي كائنة في الواقع . **وثانيهما** : يرى دراسة العلاقات الاجتماعية الثابتة وغير الثابتة ، المنظمة وغير المنظمة ، لأن مثل هذه الروابط غير الثابتة وغير المنظمة ستصبح في المستقبل مستقرة ،

وأصحاب هذا الراى يدرسون العلاقات أيضا كما هى فى الواقع أى دون تجريد .

٢ — **الفريق الثانى** : ويذهب هذا الفريق الى ضرورة قيام علوم اجتماعية جزئية بجانب علم الاجتماع ، يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، على أن تقتصر وظيفة علم الاجتماع العام على وضع المبادئ العامة ، وتصوير السمات العامة للحياة الاجتماعية ، وتنسيق النتائج ووضع مناهج البحث . ويشبه هذا الفريق « علم الاجتماع » بشجرة كبيرة جذورها فى أرض المجتمع وساقها هو « علم الاجتماع العام » وفروعها وأغصانها هى العلوم الاجتماعية الفرعية ، وثمارها هى القوانين الاجتماعية وعلى ذلك فإن علم الاجتماع يحقق وظيفتين رئيسيتين :

— دراسة كل ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، والتعمق فى بحث ظواهرها للوصول الى القوانين التى تحكمها عن طريق العلوم الاجتماعية الفرعية .

— دراسة المقومات الأساسية للحياة الاجتماعية ، والسمات العامة للعلاقات الاجتماعية والقوانين المنظمة لها ، والقوى المؤثرة فى تقدم المجتمع وتطوره .

ومن أعضاء هذا الفريق لفيف من كبار علماء الاجتماع من أمثال « دوركايم » **Durkheim** ، وجنزبرج **Ginsberg** ، سمول **Small** ، ووارد **Ward** وهوبهوز **Hobhouse** وغيرهم .

والحق أن آراء هذا الفريق أكثر واقعية وتعبيرا عن طبيعة علم الاجتماع ، وطبيعة الموضوعات التى يقوم بدراستها وبحثها .

٣ — **الفريق الثالث** : وعلماءه لا يمثلون اتجاها محدد ، ولكن آراءهم تعبر عن وجهات نظرهم الخاصة ، فمنهم من يذهب الى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة التغير الاجتماعى ، ومنهم من يذهب الى أن موضوعه هو دراسة النظم الاجتماعية ، ومنهم من يرى أن العلم يجب أن يدرس المقومات التى تدفع بالمجتمع الى التطور ، وتؤدى به الى الوحدة والتآلف بين أفراده .

والخلاصة التي يمكن أن نخرج بها — بصفة عامة — من وجهات النظر السابقة هي القول بأن علم الاجتماع علم وصفي تقريرى يرمى الى دراسة شئون الحياة الاجتماعية من ظواهر ونظم وعلاقات دراسة علمية تحليلية مقارنة لشرح ما هو واقع ، وليس لبيان ما ينبغى أن يكون (١) .

علم الاجتماع (ب) أغراض علم الاجتماع

يتصل منهج أى علم بالأغراض التي يحاول تحقيقها ، وأغراض العلوم انما تتحقق عن طريق المناهج التي تطبقها في ميدان دراستها . ولما كان علم الاجتماع علم نظري يتناول بالدراسة ظواهر المجتمع بنفس الطريقة الموضوعية التي تتناول بها العلوم الطبيعية دراسة الظواهر الخاصة بها . أى أن علم الاجتماع علم يهتم بالدراسة التقريرية الموضوعية ، وعلى هذا فان له أغراضا نظرية وعملية .

(١) الأغراض النظرية :

١ — دراسة الحقائق الاجتماعية ، وظواهر المجتمع للوقوف على عناصرها وكيف ومم تتكون وللمعرفة المبادئ العامة للحياة الاجتماعية ، والدعائم التي ترتكز عليها .

٢ — دراسة أصل الظواهر والحقائق الاجتماعية ، والتطورات التي مرت بها على مر العصور والعوامل التي أدت الى هذا التطور وساعدت عليه لأن الظواهر الاجتماعية متطورة متغيرة بتغيير الزمان والمكان ، وذلك على عكس الظواهر الطبيعية الثابتة تقريبا زمانا ومكانا .

٣ — دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية ، وتطور هذه الوظائف مع الزمان ، واختلافاتها مع المكان اذ أن لكل ظاهرة وظيفتها الخاصة فوظيفة الزواج مثلا تنظيم العلاقة بين الرجال والنساء والتكاثر ... الخ . ووظيفة السياسة تنظيم العلاقة بين الفرد والدولة ، وبين الدول وبعضها وهكذا .

٤ — بحث العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة ، والتعرف على مدى التفاعل الذي يحدث بين الأفراد وبعضهم ، وبين الجماعات وبعضها ، وعلاقات بين

الظواهر وبعضها ... الخ .

٥ — دراسة العلاقات والتأثيرات المتبادلة ما بين الأفراد والتجمعات الانسانية وبين الظروف البيئية والطبيعية والجغرافية ... ، بمعنى آخر دراسة العلاقات بين ظواهر المجتمع وما عداها من ظواهر تتخذها العلوم الأخرى ميدانا لدراستها .

٦ — ويهدف علم الاجتماع الى الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية سواء في أصلها ونشأتها ، أو في تغيرها وتطورها ، أو في تأثيراتها المتبادلة ، ولعل هذا الغرض هو الغرض الأهم الذي يسعى علم الاجتماع الى تحقيقه ، فمحاولة الوصول الى القوانين أو القواعد العلمية هي الوسيلة الوحيدة التي تضيء على العلم موضوعيته ، ولعل هذه النقطة هي التي أخرجت ظهور علم الاجتماع ، ونشأته كعلم مستقل ، لأن كثيرا من العلماء كان يرى صعوبة في خضوع الظواهر الاجتماعية لفكرة القانون كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ، ولكن عندما تم التوصل الى ذلك على يد منشئيه استقل علم الاجتماع في مسأله ومناهجه وأصبحت له قوانينه وقواعده العامة الخاصة به .

(ب) الأغراض العملية :

هذا ولعلم الاجتماع كما لمعظم العلوم الأخرى جانبه **العملي والتطبيقي** الذي يهدف اليه ، فكما تقوم دراسات الطب (وهي دراسة عملية) على أساس المعرفة النظرية لعلم التشريح ، وكما تستمد الهندسة التطبيقية من المعرفة الرياضية والهندسية ، وكما تعتمد التربية على نظريات علم النفس . فان نظريات علم الاجتماع ، والقواعد العامة التي يتم التوصل اليها في ميدان دراسة المجتمع ، تفيد عمليا مشاريع الإصلاح الاجتماعي ، والتخطيط الاجتماعي ، وجميع فروع الخدمة الاجتماعية تقوم على أساس من علم الاجتماع .

فعلم الاجتماع بكشفه عن الحقائق الاجتماعية يساعد بلا شك على توجيه الإصلاح المنشود ، وفق ما تتطلبه ظروف المجتمع ، ودرجة تطوره ، ولا شك أن خطط الإصلاح والتنمية القائمة على أساس علمي وبحوث مستقيضة تجنب المجتمع الكثير من الهزات العنيفة ، ويوفر كثيرا من المال والجهد والوقت ، ولا يترك مجالا للارتجال في إقامة المشروعات .

(ج) ميادين علم الاجتماع

بعد أن استقل علم الاجتماع ، وأصبح علما مستقلا ، تشعبت موضوعاته ، واتسعت آفاقه ، واستقر رأى العلماء تبعا لذلك على أن تقوم داخل علم الاجتماع طائفة من العلوم الفرعية ، تهتم كل منها بدراسة جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية ، وقد استقلت هذه العلوم بدورها عن علم الاجتماع ، وان ظلت باقية فى دائرة الدراسات الاجتماعية . فأصبح هناك علم الاجتماع العام ، مع عدد من العلوم الاجتماعية التى تعتبر من جهة أخرى فروعاً تابعة له .

ولكى ندرس تقسيمات علم الاجتماع ، يحسن بنا أن نلقى نظرة تاريخية على هذا الموضوع .

تصنيف ابن خلدون :

يعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع — كما أسلفنا — ولم يفته أن يفتن الى تقسيم موضوعات العلم (العمران البشرى) الى أقسام يضم كل منها طائفة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة ، وكان تقسيم ابن خلدون كما يلى :

- ١ — علم العمران البشرى على الجملة .
- ٢ — فى العمران البدوى والامم الوحشية والقبائل .
- ٣ — فى الدولة العامة ، والملك والمراتب السلطانية .
- ٤ — فى البلدان والامصار ، وقد تعرض فى هذا الباب الى نشأة المدن ، ومواطن التجمع الانسانى ، وما تمتاز به المدن عن غيرها من مختلف الوجوه العمرانية والاقتصادية واللغوية .
- ٥ — فى وجوه الكسب والضائع وما يعرض فى ذلك كله .
- ٦ — فى العلوم والصناعات ، والتعليم وطرقه وسائر وجوهه ، وما يعرض فى ذلك من الأحوال .

تقسيم كونت :

قسم كونت موضوعات الاجتماع الى قسمين هما « الاستاتيک » الاجتماعى ، و « الديناميك » الاجتماعى وقد سبق الاشارة الى ذلك (فى ص ٨) .

تبويب دوركايم :

فقد بوب دوركايم موضوعات علم الاجتماع كما يلى :

١ — المورفولوجيا الاجتماعية : **Social Morphology** وتحتوى على دراسة لجغرافية البيئة وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعى ، وكذلك دراسة السكان من حيث كثافتهم وتوزيعهم .

٢ — علم الوظائف الاجتماعى **Social Physiology** ، ويشمل الاجتماع الدينى والأخلاقى والقضائى والاقتصادى واللغوى ، والجمالى .

٣ — علم الاجتماع العام : **General Sociology** وهو فلسفة العلم ، ووظيفته جمع النتائج والقوانين العامة التى تصل إليها العلوم الجزئية ، ومحاولة التنسيق بينها ، كما يهتم بدراسة ماهية العلم وصلته بالعلوم الأخرى ، ومناهج البحث وطبيعة المجتمعات .

وقد رأى دوركايم أن دراسة علم الاجتماع للظواهر الاجتماعية أدى الى انقسام علم الاجتماع الى فروع بعدد الظواهر الاجتماعية ، الأمر الذى أدى الى ظهور علوم الاجتماع الخاصة كعلم الاجتماع السياسى ، والتربوى ، والدينى ، والقضائى ، والحربى ... الخ ، وتصبح مهمة علم الاجتماع العام حينئذ ربط النتائج العامة التى تصل إليها هذه الفروع ، والوصول الى القوانين التى تفسر الحياة الاجتماعية بصفة عامة .

التصنيف الحديث :

بعد ظهور الثورة الصناعية ، ونشأة المدن الكبيرة ، وتطور وسائل النقل والاتصالات فى العصر الحديث ، والتقدم العلمى والتكنولوجى كل هذا كانت له تأثيراته فى ظهور ميادين جديدة للدراسات الاجتماعية لم تكن مطروقة من قبل ، وبالتالي أملت على علماء الاجتماع اضافة أقسام جديدة .

وأصبحت أهم الفروع التى انبثقت من علم الاجتماع العام ، وأصبحت علوما تعد فى نطاق الدراسات الاجتماعية ما يلى :

١ — المورفولوجيا الاجتماعية : وتهتم بدراسة بنية المجتمع **Social Structure** وطبقات وقيام المدن ونموها وتخطيطها والوظائف التى تؤديها .

٢ — الأنثروبولوجيا الاجتماعية : (أى علم الانسان) ويدرس المجتمع من حيث اصوله البشرية وتفاعلها مع بيئة المجتمع ، وتطور وسائل التعبير والتفكير والثقافة بصفة عامة .

- ٣ — الديموجرافيا الاجتماعية : اى علم السكان ويبحث تركيب السكان وتوزيعهم وكثافتهم وتخلخلهم ، والهجرة ، والمواليد والوفيات ...
- ٤ — علم الاجتماع الثقافى : ويدرس مظاهر التخلف الثقافى ، وصراع الثقافات ، وعناصر الثقافة ومدى انتشارها .
- ٥ — علم الاجتماع الاقتصادى : ويدرس الظواهر والنظم الاقتصادية فى المجتمع .
- ٦ — علم الاجتماع الاسرى او العائلى : ويدرس الاسرة وما يتصل بها من ظواهر ونظم مختلفة .
- ٧ — علم الاجتماع السياسى : ويدرس الظواهر والنظم السياسية فى المجتمعات .
- ٨ — علم الاجتماع التربوى : ويدرس الظواهر والنظم التربوية فى المجتمعات .
- ٩ — علم الاجتماع اللغوى : ويدرس الظواهر والنظم اللغوية فى المجتمعات .
- ١٠ — علم الاجتماع الدينى : ويدرس الظواهر والنظم الدينية فى المجتمعات .
- ١١ — علم الاجتماع الجمالى : ويدرس الظواهر والنظم الجمالية فى الفنون والآداب والشعبيات .
- ١٢ — علم الاجتماع الاخلاقى : ويدرس الظواهر والنظم الاخلاقية فى المجتمع .
- ١٣ — علم الاجتماع الرفيى او البدوى : ويدرس شئون الريف والبدو ومشكلاتهم ، وتخطيط برامج التنمية الريفية .
- ١٤ — علم الاجتماع الحضرى : ويدرس المدينة فى نموها وتطورها وتخطيطها والمشكلات التى تعانيتها ويهتم برسم سبل الاصلاح الخاصة بها .
- ١٥ — علم الاجتماع الصناعى : ويدرس التصنيع ومقوماته ، والعلاقات الصناعية ، والتدريب المهنى والتلمذة الصناعية ، ومشكلات الصناعة الاجتماعية ، واثار الصناعة فى تغيير المجتمعات وتقدمها .
- ١٦ — علم الاجتماع التطبيقى : كعلوم الخدمة الاجتماعية .
- ١٧ — علم الاجتماع المهنى : وهو أحدث غروع علم الاجتماع ، ويهتم بدراسة العمل والمهن وعلاقة ذلك بالوظائف والادوار الاجتماعية ، وبالبناى الاجتماعى (١) .

(١) انظر د . عاطف غيث : « الموقف النظرى فى علم الاجتماع المعاصر » ، دار الكتب الجامعية بالاسكندرية .

د . السيد محمد بدوى : « مبادئ علم الاجتماع » دار المعارف بمصر . ١٩٦٨ .

د . حسن سعفان « اسس علم الاجتماع » دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

(د) علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى

يرتبط علم الاجتماع بكثير من العلوم التي تساعد على تحقيق أغراضه وأهمها الوصول إلى القوانين الاجتماعية ، فنجد أنه يرتبط بجميع العلوم الإنسانية كعلم النفس ، والتاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا ويرتبط من ناحية أخرى بالعلوم الاجتماعية الخاصة كعلوم الاقتصاد والسياسة والأخلاق واللغة والدين ... الخ . ويحسن بنا لتوضيح هذه الصلات بينه وبين تلك العلوم أن نشير إليها بكلمات موجزة .

صلته بعلم النفس : علم النفس من العلوم التي تدرس طبيعة الإنسان الفردية فيهتم بالغايات الإنسانية والملكات والاستعدادات التي تنطوي عليها طبيعة الإنسان والعمليات العقلية كالذكاء والتخيل والتصور ومظاهر السلوك الفردي . ولكن الإنسان اجتماعي بطبعه ، فلا وجود للإنسان الفرد ، ولكن الموجود في الواقع هو الفرد في وسطه الجمعي أي في مجتمع . ولهذا فإن جميع المسائل التي يعالجها علم النفس لا بد وأن تكون متأثرة بطبيعة المجتمع ، وعناصرها مستمدة منه ، فخيال الأفراد وتصوراتهم ومدرجاتهم الحسية لا يمكن أن تكون إلا صدى لبيئة الفرد ووسطه الاجتماعي ، ولا يمكن أن تصدر هذه العمليات النفسية عن فردية خالصة مجردة عن واقعها الاجتماعي ، فخيال ابن الصحراء يختلف عن خيال ابن المدينة ، وخيال ابن المجتمع الإسلامي يختلف عن خيال مجتمع الجاهلية والمتأمل في أدب وأشعار الأدباء المختلفين في نوعية الزمان أو المكان يلمس الفارق بين مخيلات هؤلاء الأدباء وتصوراتهم وتشعباتهم ، ويخرج بحقيقة مؤداها أنه مع وجود المواهب والملكات والفوارق الفردية فإن هناك أيضا أثرا واضحا لطبيعة المجتمعات التي عاشوا فيها .

وهكذا فأننا نجد أن عددا من الظواهر النفسية كالقيادة والزعامة والشخصية ، واتجاهات الرأي العام وغيرها ترجع في الأصل إلى دوافع وأسباب اجتماعية ، وإن كانت تبدو في ظاهرها أنها ظواهر فردية نفسية . لذلك قامت علوم ودراسات مشتركة بين علم الاجتماع وعلم النفس لدراسة تأثير العوامل الاجتماعية في شخصيات الأفراد وسلوكهم ، أو لدراسة التفاعل المشترك بين الوقائع النفسية والاجتماعية فنشأت دراسات مشتركة بين العلمين هي :

علم النفس الاجتماعى — علم الاجتماع النفسى — علم نفس الشعوب — علم النفس الجماعى — علم النفس الصناعى — علم النفس الجنائى — ودراسات رأى العام .

صلته بعلم الجغرافيا : يدرس علم الجغرافيا البيئة الطبيعية وما تحويه من موارد تحت الأرض كالمعادن المختلفة وما فوقها كالنباتات والغابات والجبال ، بالإضافة الى التضاريس والمناخ ولا يمكن لدارس ان ينكر أثر البيئة الطبيعية فى حياة الانسان ، ومدى تفاعله سواء مع غيره أو مع البيئة نفسها ، وبمعنى آخر فان نشاط الانسان الاجتماعى والاقتصادى مرتبط أشد الارتباط بنوع البيئة الجغرافية . ولعل تأثير هذه البيئة يبدو واضحا اذا تتبعنا قيام الحضارات الاولى حيث نجد انها قامت الى جانب الأنهار الكبيرة ، لما تبعته هذه الأنهار بمياهها وطبيعتها من عوامل الخصب والحياة والاستقرار على ضفافها . ولا شك ان هذه التأثيرات البيئية كانت ولا تزال قائمة فاكشاف آبار البترول فى الصحراء تحولها الى منطقة عمرانية واكتشاف معادن أو مناجم معينة يساعد على اقامة منشآت سكنية وبدء حياة فى المنطقة ، وقيام الزلازل والبراكين قد يدفع الناس الى الهجرة ، وتصبح المنطقة جرداء مجدبة . ونظرا لوضوح التأثيرات البيئية فى حياة الانسان الاجتماعية فقد غالى بعض المفكرين من أمثال ابن خلدون وميشليه وراتزل فى تقدير قيمة العوامل الجغرافية ، وبلغ تأثيرها فى شئون الحياة الاجتماعية ، غير ان هذه المغالاة والمبالغة فى تأثير تلك العوامل كانت تنطوى على خطأ بالغ لأن الانسان اذا كان يخضع فى تكيفه لظروف البيئة الجغرافية ، فانه أيضا هو الذى استطاع أن يوجد البيئة التى تلائمه وترضيه ، وهو الذى لا يكتف عن المحاولات تلو المحاولات ليسخرها وفق ارادته ويستغلها وفق حاجته ، ويخلق منها المكان المناسب لحياته بالتقليل من ضراوتها وصعوبتها . ومما لا شك فيه أن الانسان كلما تقدم فى مدارج النمو الحضارى ، وقطع شوطا فى العلوم والتكنولوجيا كلما أمكنه التخفيف من أثر العوامل الجغرافية ، وكلما أمكنه أن يتحكم فيها ويستفيد منها لخدمة الانسان ومنفعته .

صلته بعلم الأنثروبولوجيا : وهى الدراسات التى تهتم بدراسة الانسان من حيث السلالات والأجناس البشرية ، وأصولها وفروعها ، وعوامل اختلافها ، والثقافات الخاصة به وطرق انتقال تلك الثقافات ، وكذلك تهتم بدراسة المجتمعات البدائية لتكشف عن ثقافته ولغته وأساليبه فى التفكير والعمل وتطورها ، والبحث فى أصول النظم الاجتماعية ، وبلغ تطورهما من صورها البسيطة فى المجتمعات البدائية الى

صورها المعقدة في المجتمعات الحديثة . ويعتبر علم الأنثروبولوجيا أحد الفروع التي انبثقت من علم الاجتماع العام ، وأصبحت تدخل في نطاق العلوم الاجتماعية الخاصة .

٤٤١ علم الاجتماع

صلته بعلم التاريخ : التاريخ — كما هو معلوم — تسجيل لأحداث الماضي الحافل بمظاهر النشاط الانساني ، وعالم الاجتماع لا يمكنه دراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم ، ولا يستطيع أن يقف على حقيقة المسائل الاجتماعية وتطورها عبر الزمان ، وانتقالها من مكان الى مكان دون أن يرجع الى التاريخ ليختار من سجلاته ما يدعم أغراضه ، ويعينه على التحليل والتقليل . لهذا فان الفكر الاجتماعي يرجع الى مختلف فروع الدراسات التاريخية كتاريخ الآداب والفلسفة والقوانين والنظم والفنون ... لأن هذه الفروع تعكس لنا حياة الأمم ، وتصور لنا عاداتها وتقاليدها وأعراقها ، والعبادات والعقائد التي كانت تعتقها ، كما يحتاج عالم الاجتماع الى الرجوع الى تاريخ الوقائع الحربية والثورات والانقلابات وتاريخ الزعامات وذلك لأن الالمام بهذه المعلومات التاريخية تمكن الباحث من التعرف على القوى المحركة لقيام الحروب والثورات ، كما يستطيع أن يكشف عن الأسباب الحقيقية لطبيعة الحوادث السياسية . ومن جانب آخر فان المؤرخين يمكنهم أن يستفيدوا من النظريات الاجتماعية ويصححوا الوقائع في ضوء ما تقرره القوانين التي تسير عليها ظواهر الاجتماع الانساني .

صلته بالبيولوجيا والفزيولوجيا : وهي علوم تدرس طبيعة الانسان بصفته كائنا

حيا ، يتكون من خلايا وأنسجة وأجزاء حية ، كما تهتم بدراسة أعضاء جسم الانسان المختلفة وتطورها ووظائفها واثار هذا التطور في نشاط الانسان الاجتماعي . وقد تآثر علم الاجتماع بهذه الدراسات لدرجة أنه يمكننا أن نلمح اثر هذا في استخدامه لكثير من المصطلحات العلمية الخاصة بهذه الدراسات مثل : الأسرة اول خلية في المجتمع ، التشريح الاجتماعي ، التركيب العضوي ، المجتمع ذات حية ، وظائف وبنية المجتمع ... الخ . هذا وقد بالغ بعض العلماء من أمثال (هربرت سبنسر) في تقدير أهمية العوامل الحيوية في مجال المجتمع لدرجة أنهم فسروا ظواهر الحياة الاجتماعية في ضوء تفسيرهم لظواهر الحياة ، وذهبوا الى حد أنهم اعتبروا علم الاجتماع فرعاً من علم الحياة العام (١) .

(١) د . مصطفى الخشاب : دراسة المجتمع ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

صلته بعلم الاقتصاد : يدرس الاقتصاديون الثروة ومواردها المختلفة ، وكيفية الانتاج والاستهلاك والتوزيع ، والثروة لكى توجد لابد لها من مجتمع يقوم أفرادها بالبحث عنها وإيجادها وهى لكى توزع أو يستهلك المنتج لابد أن يتم ذلك فى مجتمع أيضا ، وأهم عناصرها الأيدى العاملة ، ولا شك أن كل هذه الأمور توضح الصلة القوية بين العلمين ، وقد نشأ علم جديد كواحد من فروع علم الاجتماع العام يسمى « الاجتماع الاقتصادى » ويعنى بدراسة أصول الانتاج والتبادل ومراحل تطورها والقوانين المتعلقة بهما ، ودراسة العملة ونشأتها وتطورها ووظائفها ، كما يعنى بدراسة النظم الاقتصادية كما يهتم هذا العلم بدراسة العلاقات بين أصحاب رءوس الأموال والعمال ... الخ .

صلته بعلم السياسة : يدرس علم السياسة الدولة وما يتفرع عنها من نظم حكومية إدارية وتشريعية وجددير بالذكر أن الدولة ما هى الا مجتمع قطع شوطا فى الاستقرار والتطور الاجتماعى ، ولا تدوم الدولة ولا تقوم أنظمتها السياسية فتستمر أو تتغير الا بفضل قوى ودوافع اجتماعية ، لأنها وليدة المجتمع ومظهر من مظاهر سيادته على نفسه ، وتدل على مدى استجابته لسياسته ، ومبلغ تمسكه بقوانينه ونظمه السياسية . وعالم السياسة لا يمكنه أن يكون ملما بأبعادها ، متعمقا فى فهم مسائلها ما لم يكن عالما بكثير من الحقائق الاجتماعية التى تساعد على فهم ظواهر السياسة ، فمثلا محاولة دراسة أسباب انقياد شعب لزعيم سياسى ، أو دراسات الرأى العام فى مجتمع ما ، أو القوى المؤثرة فى نفسية الشعوب ... الخ . مثل هذه الموضوعات لكى تدرس كظواهر سياسية لابد من فهمها فى محيطها الاجتماعى . ونظرا للصلة القوية بين العلمين فقد نشأ فرع من فروع علم الاجتماع العام يسمى علم « الاجتماع السياسى » وموضوع هذا الفرع دراسة الدولة باعتبارها وحدة سياسية واجتماعية تختلف عن أشكال التجمع الأخرى كالقبيلة أو القرية أو المدينة مع عنايته بدراسة العلاقات الاجتماعية السياسية والاقتصادية التى تربط هذه الوحدة بالعالم الخارجى (١) .

صلته بعلم الإحصاء : تحدث كثير من علماء الاجتماع عن أهمية استخدام المناهج الإحصائية فى دراسة ظواهر المجتمع ، فقد نبه الى ذلك العلامة البلجيكى « كتليه »

(١) المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٢) راجع ما كتبناه عن المنهج الإحصائى فى هذا الكتاب .

وأوجبت كونت ، ودوركاييم « وغيرهم وذلك لأن الظواهر الاجتماعية يمكن عدها وحصرها ويمكن التعبير عنها بالأرقام ، وأنه إذا كان للاجتماع أن يقترب من العلوم الوضعية الطبيعية فلا بد له من استخدام الطرق الإحصائية لقياس المسائل الاجتماعية . ولهذا نشأ فرع جديد يسمى « الإحصاء الاجتماعى » وهو أحد المناهج الأساسية للبحث فى العلوم الاجتماعية (٢) .

صالحته بعلوم الخدمة الاجتماعية : تعنى الخدمة الاجتماعية بدراسة الفرد ، والجماعة ، والمجتمع دراسة تطبيقية بمعنى أن فنون الخدمة الاجتماعية تهتم بإيجاد حلول للمشكلات التى تعن لهذه الفئات الثلاث (فرد — جماعة — مجتمع) وهى لكى تقوم بهذا فلا بد لها من أن تنبثق دراستها من حقائق علم الاجتماع وقوانينه ونظرياته ، فالأخصائى الاجتماعى يجب أن تتوافر له قاعدة اجتماعية نظرية يمكنه الانتفاع بها فى ميادين الإصلاح الاجتماعى وحل المشكلات بعد تشخيصها تشخيصاً قائماً على فهم لحقائق الاجتماع . وقد تقدمت علوم الخدمة الاجتماعية خاصة بعد تطور الحياة الاجتماعية ، وازدياد حركات التصنيع فى العالم ، ونشأة المدن الكبيرة الصناعية ، وأثر فى هذه التغيرات فى علاقات الأفراد والجماعات ، وتفككت كثير من أواصر الروابط الاجتماعية ، وظهرت الانحرافات بشكل أكبر ، ونشبت الخلافات بين الأفراد والطبقات . ولهذا نشط المصلحون فى محاولات لتصحيح الأوضاع ، ومعالجة ما اعتل من الأحوال ، وقد ساعد نمو هذه الدراسات فى تطورها ، وأخذت طريقها الى الاستقلال النسبى ، وأضحت دراسات علمية وعملية ، وأصبح علم الاجتماع بالنسبة لها علماً تحليلياً يمهدها بالأسس النظرية ، والقوانين العلمية .

وهكذا يتضح لنا أن علم الاجتماع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعظم فروع المعرفة ، وما أوردناه عبارة عن نماذج لأشكال تلك العلاقة وعمقها . على أنه من الأهمية بمكان أن نبرز حقيقة أن علم الاجتماع وإن كان يدرس مع العلوم الاجتماعية الخاصة التى بينه وبينها علاقات وطيدة ظواهر اجتماعية واحدة إلا أن طبيعة الدراسة تختلف فى علم الاجتماع عنها فى العلوم الاجتماعية الأخرى كالاقتصاد ، والسياسة ، والأخلاق ، والدين ، واللغة . . وبوسعنا أن نفرق بين دراسة علم الاجتماع لهذه الظواهر ودراسة بقية العلوم الاجتماعية لها على النحو التالى :

١ — أن وجهة النظر فى الدراسة فى كليهما مختلفة ، فعلم الاجتماع يدرس الظواهر دراسة كلية ، بمعنى أن عالم الاجتماع يعنى بدراسة التفاعلات والعلاقات

المختلفة بين الظواهر بغض النظر عن الأغراض التى حدث من أجلها من حيث كونها سياسية أو اقتصادية أو أخلاقية .

٢ — ان علم الاجتماع يدرس الظواهر على انها ظواهر متعددة العوامل أى تفسرها ظواهر اجتماعية أخرى فظاهرة الزواج مثلا تفسرها ظواهر المستوى الاقتصادى والديانة ، والثقافة ، وقد ترتبط بالظروف السياسية ... الخ . وذلك عكس العلوم الاجتماعية التى غالبا ما تعزل جزءا خاصا من الحياة الاجتماعية وتحاول أن تدرسه دراسة موسعة ، وبشكل منفصل عن سائر الجوانب الأخرى فعلم الاقتصاد مثلا يعزل الظواهر الاقتصادية ويحاول تفسيرها بعوامل اقتصادية بحتة ، وقد يهمل فى دراسة تفاعل هذه الظواهر مع الظواهر الاجتماعية الأخرى .

٣ — تتجه العلوم الاجتماعية الخاصة الى التخصص الدقيق ، الأمر الذى أدى الى اختيارها لموضوعات بريقة فى الحياة الاجتماعية على حساب باقى الموضوعات ، كما أدى من جانب آخر الى محاولتها تحقيق أغراض تطبيقية عملية بينما بقى علم الاجتماع علما نظريا يحاول الكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية وقوانينها وعلاقاتها السببية والوظيفية .

الفصل الثالث

مناهج البحث في علم الاجتماع

أوضحنا ان علم الاجتماع احتاج لى يحصل على استقلاله وانفصاله عن بعض العلوم التى لحق بها كالفلسفة وعلم النفس والبيولوجيا والسياسة وغيرها ، احتاج الى ثلاثة شروط أساسية مثله مثل باقى العلوم الأخرى ، وهذه الشروط هى : (المنهج — ميدان الدراسة — الوصول عن طريق التعميم الى طائفة من القوانين والنظريات) . وعلى ذلك تعتبر دراسة المناهج الخاصة بعلم الاجتماع أحد أركان هذا العلم الرئيسية .

والمنهج Method استخدمها كل من افلاطون وأرسطو بمعنى البحث .. وتستخدم الآن بمعنى الكشف عن الحقيقة فى العلوم عن طريق قواعد عامة تهيم على سير العقل ، وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة محددة (١) .

وسنشير فى هذا البحث الى أهم المناهج التى تستخدم بصفة غالبية فى علم الاجتماع .

Social Survey

١ — المسح الاجتماعى

تعريفه :

يستخدم المسح الاجتماعى فى البحوث الوصفية ، وقد تعددت تعريفاته ومن أشهر هذه التعريفات نورد تعريف هويتنى Whitney حيث يعرفه بأنه محاولة منسقة لتحليل وتفسير وتقرير الحالة القائمة لجماعة أو بيئة ما أو لنظام اجتماعى ،

(١) عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ، دار النهضة العربية مصر ، ص ٥ .

(٢)

(2) Whitney, F., The Elemento of Research, New York, 1945, p. 155.

(٣)

(3) Young, Scientific social surveys and Research, N. Y., 1947, p. 155.

وهو يتصل بالحاضر ولا يهتم بالماضي ، ويهدف الى جمع بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها وذلك للاستفادة بها في أغراض عملية تتعلق بالمستقبل (٢) .

وتعرف بولين يونج Young المسح الاجتماعي بأنه عبارة عن دراسة للجوانب المرضية للأحوال الاجتماعية الموجودة في موقع جغرافي محدد ، وهذه الأحوال لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأحوال أخرى تعتبر نماذج يمكن قبولها ، وذلك بقصد تقديم برامج انشائية للإصلاح الاجتماعي (٣) .

ويستخلص من تعريفات المسح السابقة على أنه :

- ١ — يتعلق بالحاضر ، لأنه يتناول أشياء موجودة بالفعل وقت اجراء البحث .
- ٢ — يدرس الظواهر الموجودة ، في كل جغرافي معين ، وجماعة محددة .
- ٣ — يهدف الى غاية عملية غالبا هي محاولة اصلاح الاوضاع المعتلة في المجتمع .

انواعه :

صنف المهتمون بمناهج البحث المسوح الاجتماعية الى عدة تصنيفات حيث أبعاد معينة أهمها :

(أ) من حيث مجال الدراسة :

- ١ — المسح العام : وعن طريقه يتم معالجة بعض أوجه الحياة الاجتماعية كالتهليم ، والصحة ، والاسكان ، والسكان ... الخ .
- ٢ — المسح الخاص : يختص بدراسة جانب واحد فقط ، أو زاوية محددة من قطاع اجتماعي محدد . ومن أمثله المسوح الخاصة بعمال الزراعة — أو عمال صناعة الحديد والصلب مثلا ، المسح الخاص بالجغرافيين .. الخ .

(ب) وتنقسم المسوح من حيث البعد الزمني الى ثلاثة انواع : مسوح قبلية أي قبل ادخال عنصر التغيير في المجتمع ، ومسوح دورية : تتم اثناء فترة تنفيذ وتشغيل المشروعات ، وأخيرا مسوح بعدية : أي يتم اجراؤها بعد ادخال

(١) راجع في ذلك د . عبد الباسط محمد حسن « أصول البحث الاجتماعي »

التغيير أو التعديل أو المشروع الى المجتمع ويهدف الى التعرف على مدى نجاح أو فشل تلك المشروعات وذلك عن طريق مقارنة نتيجة المسح القبلى بنتيجة المسح البعدى فى ذات المجتمع بعد انجاز المشروع .

(ج) وتنقسم من **حيث المجال البشرى** الى : مسوح شاملة لكل الافراد فى المجتمع عن طريق الحصر الشامل ، ومسوح بطريق العينة ، بحيث يكتفى بعدد من الحالات أو الافراد الممثلين للمجتمع فى حدود الوقت والجهد والامكانات المتاحة .

ويستخدم المسح الاجتماعى فى دراسة موضوعات مثل (١) :

- ١ — دراسة الخصائص الديموجرافية للسكان .
- ٢ — دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لجماعة من الجماعات .
- ٣ — دراسة الجوانب الثقافية المرتبطة بالعادات والتقاليد والقيم والمعايير السلوكية .
- ٤ — دراسة آراء الناس واتجاهاتهم ودوافع سلوكهم . ومن أمثلة ذلك دراسات الرأى العام ، ودراسات التسويق ، ودراسات اهتمامات الجمهور لبرامج الاذاعة والتلفزيون ... الخ .

خطواته :

اما عن خطوات المسح الاجتماعى فانه يمر بعدة مراحل هى (١) :

(١) رسم خطة المسح : وتتضمن تحديد غرض المسح — تحديد مفاهيمه وأدواته ، تحديد مجالات البحث الزمانية ، والمكانية ، والبشرية ، وأخيرا تحديد البرنامج الزمنى للمسح وتقدير ميزانيته ، ومطالب العمل الميدانى .

(ب) جمع البيانات من الميدان : وتتضمن هذه الخطوة ما يلى :

- ارشادات الباحثين الميدانيين .
- تدريب باحثى الميدان .
- عمل الاتصالات اللازمة بالبحوثين ، واعداد المجتمع لاجراء المسح .
- الاشراف الميدانى .
- مراجعة البيانات التى تجمع يوميا .

(١) المرجع السابق ، ص ص ٢٢٥ ، ٢٣٠ .

(ج) تحليل البيانات : ويتم ذلك فى خطوات هى :

- مراجعة البيانات التى جمعت ، والتأكد من كمالتها وصحتها ، وتسجيلها بطريقة منتظمة .
- تصنيف البيانات بتقسيمها الى مجموعات متجانسة .
- ترميز البيانات فى كل صحيفة ، أى تحويل البيانات الوصفية الى بيانات رقمية .
- مراجعة العملية السابقة (الترميز) ثم الاشراف على عمليات التصنيف
- جدولة البيانات الكمية .
- التحليل الاحصائى للجداول .

(د) عرض النتائج وكتابة التقرير النهائى .

حدود المسح الاجتماعى :

رغم ان المسوح لها فوائد مختلفة ، ولا يمكن الاستغناء عنها فى دراسة كثير من الموضوعات الاجتماعية — كما سبق الذكر — الا أن الاعتماد عليه كلية يصعب للأسباب — التى تحد من قيمته — التالية :

- ١ — أن جمع بيانات المسوح يحتاج الى توجيه عدد كبير من الاسئلة ، مما قد يؤدى الى تبرم الناس منها وهدم تعاونهم مع الباحثين .
- ٢ — أن المسوح الاجتماعية لا تصلح لأنواع الدراسات التطورية ، التى يستلزم بحثها الربط بين ماضى الظواهر وحاضرها .
- ٣ — أن الاعتماد على المسوح الاجتماعية ، لا يمكن الباحث من اصدار تعميمات واسعة تفيد النظريات العلمية ، اللهم الا اذا تكرر المسح عدة مرات ، وعلى فترات مختلفة ، وهذا شئ مجهود ومكلف .
- ٤ — أن صحة نتائج المسح واهميتها تتوقف على عدد أفراد العينة ، فكلما كان العدد كبيرا ، كلما كانت النتائج أضمن وأدق ، والعكس صحيح .

٢ - المنهج التاريخي

Historical Method

التاريخ بالنسبة لعالم الاجتماع كالمجهر بالنسبة لعالم الطبيعة ، فلكي يفهم باحث الاجتماع ظواهر هذا العالم ، عليه أن يتعقب هذه الظواهر منذ نشأتها ، والوقوف على التغيرات التي لحقت بها عبر الأجيال والأزمان ، لان الحاضر ما هو الا نتاج وتفاعل الماضي ولهذا قيل ان الظواهر الاجتماعية تاريخية أى معبرة عن تاريخ المجتمع وأوضاعه فى حقبة زمنية من تاريخ هذا المجتمع .

ومن الاهمية بمكان أن نفرق بين علم التاريخ ، وبين المنهج التاريخي ، فالاول يدرس الاحداث التى تمت فعلا فى الماضى بطريقة عقلية صرفة ، فعلم التاريخ لا يهتم بالحاضر ولا بالمستقبل ، ولهذا يطلب دائما من المؤرخين الا يدرسوا الوقائع المعاصرة وانما عليهم أن ينتظروا لفترة قدرها المختصون بنحو نصف قرن من الزمان . أما فى المنهج التاريخي فاننا نبحت تطور الظواهر لكى نفهم كيف تشكلت الظواهر الحاضرة فى الماضى ، وكيف تطورت حتى وصلت الى وضعها الحالى بمعنى آخر فاننا نتتبع نشأتها وتطورها من حيث البناء والوظيفة وذلك بقصد مبادئ وتعميمات تتعلق بالظواهر الاجتماعية موضع البحث (١) .

وقد استخدم هذا المنهج ونبه اليه العلامة المسلم ابن خلدون عندما طالب بتعقب الظاهرة الواحدة فى تاريخ الشعب الواحد على مر فتراته التاريخية المختلفة مع تحرى الأمانة والصدق . وجاء أوجست كونت فوضع المنهج التاريخي ضمن قواعد المنهج وقد أسماه « بالمنهج السامى » ويقصد به المنهج الذى يكشف عن القوانين الأساسية لقانونه المسمى « بقانون الأدوار الثلاثة » مما انتقد هذا المنهج عنده اهميته ، لانه ربطه التى تحكم التطور الاجتماعى للجنس البشرى ، واقام كونت هذا المنهج على أساس بمعنى فلسفى بعيد عن طبائع الأمور (١) .

واستخدم دوركايم هذا المنهج عندما أشار الى أن الدراسة فى علم الاجتماع يجب أن تكون دراسة تاريخية مقارنة ، فالدراسة التاريخية عنده ضرورية لفهم أصول النظم الحاضرة ووضع النظم المستقلة على أساس سليم (٢) .

خطوات البحث التاريخى :

- اولا : تحديد مشكلة البحث .
- ثانيا : جمع الحقائق والمعلومات المتعلقة بالمشكلة .
- ثالثا : تصنيف الحقائق وتحليلها ومحاولة الربط بينها .
- رابعا : كتابة التقرير وعرض النتائج .

٣ — المنهج التجريبي

The Experimental Method

يتضمن المنهج التجريبي كل خطوات المنهج العلمى (منهج الاستقراء) الذى يتمثل فى عدة خطوات تبدأ بـ : ملاحظة الظواهر واجراء التجارب ، وضع الفروض العلمية ، واختبار مدى صحة الفروض ، واخيرا الوصول الى القوانين العلمية .

ويرجع الفضل فى التنبيه الى هذا المنهج الى أوجست كونت ، الا أنه قد قصر استخدامه على الحالات الباثولوجية التى تصيب المجتمع . أما اليوم فقد اتسع استخدام هذا المنهج وذلك عن طريق :

١ — تاريخ النظم الاجتماعية ، والتشريعات والحروب والثورات وغيرها من أوضاع المجتمع التاريخية يمكن أن تكون معينا لا ينضب للتجارب الاجتماعية

٢ — المجتمعات المتخلفة ثقافيا أو المعزولة جغرافيا مثل هذه النماذج يمكن دراستها ومقارنتها بالمجتمعات المتحضرة وبذلك تصبح للتجربة الاجتماعية

٣ — اللجوء الى الميدان الاجتماعى ، واجراء تجارب فعلية فى نطاق محلى محدود تختار لها « عينات » تتمثل فى فصول دراسية ، أو جماعات معينة ، أو قرى ، أو أحياء صغيرة فاذا نجحت هذه التجارب المحدودة يمكن التوسع فى تطبيقها على نطاق أوسع .

-
- (١) د . مصطفى الخشاب : « علم الاجتماع ومدارسه » « تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره » ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٩ .
- (٢) نفس المرجع : ص ٣١٥ .

انواع التجارب الاجتماعية :

يمكن تصنيف التجارب العلمية التى يمكن تطبيقها فى علم الاجتماع الى (١) :

(١) تجارب صناعية واخرى طبيعية : فالتجربة الاجتماعية يمكن أن تكون **صناعية** اذا قام الباحث بالتحكم فى جوانب الظاهر وأمكنه تحديدها وضبط عواملها ، ويمكنه أن يعيدها فى نفس الظروف وفى أى وقت . ومن أمثلة هذه التجارب فى الاجتماع مثلا : امكان قياس تأثير برنامج معين على اتجاهات بعض الشباب مثلا ، فيمكن تحديد هذا البرنامج من حيث وقته ومكانه والقائمين عليه وطريقته ... الخ ، واختيار مجموعة من الشباب تعيش اتجاهاتهم قبل البرنامج ثم بعده فاذا حدث تغير فى الاتجاهات امكن القول بتأثير هذا البرنامج ، ويمكن اجراء هذه التجربة باستخدام مجموعة أخرى مماثلة فى ظروفها تماما لنفس مجموعة الشباب التى ستعرض للبرنامج ، دون حضور المجموعة الثانية الشبابية (جماعة ضابطة) لهذا البرنامج .

والتجربة الاجتماعية يمكن أن تكون **طبيعية** : بمعنى ألا يتدخل الباحث فى خلق ظروفها كما فى التجربة الصناعية ، وانما يتم اختبار الفروض بجمع المعلومات من الظواهر الموجودة فى الطبيعة بدلا من اصطناعها ، والقائم بهذه التجربة لا يتحكم فيها ، ولا يستطيع ان يوجدها فى أى وقت يشاء كما هو الحال فى النوع الاول .

(ب) تجارب ذات مدى قصير واخرى ذات مدى طويل :

فهناك بعض التجارب التى تحتاج الى مدى زمنى قصير لاجرائها ، وهناك تجارب تحتاج الى مرحلة طويلة من الزمن فمثلا لو أردنا أن نختبر اثر الدراسة الجامعية على زيادة وعى الطلاب الجامعيين ، فاننا لا نستطيع ذلك الا فى مدة طويلة فاننا لكى نختبر فرضا من هذا النوع لابد من قياس وعى الطلاب قبل التحاقهم بالجامعة ثم بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية حتى يتسنى لنا الوصول الى النتيجة .

(١) د . عبد الباسط محمد حسن « أصول البحث الاجتماعى » مرجع سابق ،

(ج) تجارب تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد ، وأخرى تستخدم فيها أكثر من مجموعة .

(د) تجارب تبدأ فيها بدراسة السبب ، وتجارب تبدأ فيها بدراسة النتيجة ، فمثلا إذا أردنا أن ندرس اثر الادمان وتعاطى المخدرات في الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية ، فاننا نستطيع أن تبدأ بالسبب (الادمان) فنختار عينتين من الأفراد ، احدهما مدمنة والأخرى لم يتعاطى افرادها اية مخدرات في حياتهم ، ثم نحسب نسبة المصابين بالأمراض النفسية والعقلية بين افراد المجموعتين ، وتستطيع أن تبدأ بالنتيجة (الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية) ، فنختار عينة من مرضى النفوس والعقول ثم تحسب نسبة المدمنين بين هؤلاء المرضى .

٤ — المنهج الاحصائي

Statistical Methods

يرى المختصون أن الاحصاء ، أداة علمية أصبحت الحياة الاجتماعية في حاجة ماسة اليها خصوصا كلما نمت المجتمعات ، وتعقدت في تركيبها ، وتداخلت المشكلات الاجتماعية ، وأصبح الآن من العسير تحديد هذه الموضوعات دون الاعتماد على الاحصاء .

خطوات المنهج الاحصائي :

يشتمل المنهج الاحصائي على عمليات يمكن حصر اهمها في :

(أ) جمع البيانات : وفي هذه العملية يجب مراعاة الاعتبارات التالية :

١ — تحديد مجال البحث جغرافيا ، وبشريا ، وزمنيا ، وتحديد مفاهيم البحث ومصطلحاته .

(ب) اختيار العينة : واختيار العينة المناسبة لتحقيق النتيجة أمر هام ، ويتم وفق قواعد ومبادئ عامة بحيث تكون العينة ، عينة ممثلة لجميع الوحدات أو الأقسام الجغرافية من أهم أنواع العينات : العينة العشوائية ، الطبيعية ، العينة المتعمدة ، العينة المنتظمة ، العينة المساحية .

(ج) طرق جمع البيانات : وأهمها :

١ — استمارات أو جداول الإحصاء **schedule** وهى عبارة عن استمارة أو نموذج لجمع بيانات معينة لموضوع الظاهرة المدروسة ، وتحتوى هذه الاستمارة على عدد من الأسئلة يطلب من المبحوثين الإجابة عليها . اذ يقوم الباحث بمقابلة كل فرد من أفراد العينة ويسأله الأسئلة حسب ترتيبها بالاستمارة ، ويسجل اجاباتهم أمام كل سؤال . ولكى تؤدى هذه الاستمارات دورها كاملا فان هناك الكثير من المبادئ التى يجب ان تراعى عند تصميم تلك الاستمارة منها **مثلا :**

- ١ — مراعاة صياغة الأسئلة بطريقة واضحة ومفهومة ، ويفضل أن تكون بلهجة المبحوثين السائدة ما أمكن ذلك .
- ٢ — ألا تكون الأسئلة جارحة للمبحوث ، فتنبذ عن مواطن الحساسية ، والأمور الشخصية .
- ٣ — أن تكون الأسئلة غير محتملة التأويل ، وانما تعنى شيئا واحدا معروفا ومفهوما .
- ٤ — يفضل أن تكون الأسئلة ذات اجابات مقتضبة او مغلقة حتى يسهل تفريغها تفريغا صحيحا فى جداول التفريغ .

٢ — صحائف الاستبيان : **Questionnaires**

- وهى عبارة عن استمارات كالمسابقة الا أنه يتم ارسالها بالبريد الى الأفراد الذين يصعب الاتصال بهم أو مقابلتهم وجها لوجه ويراد معرفة آرائهم ازاء ظاهرة معينة ولهذه الطريقة مزاياها التى تنحصر فى :
- (أ) أنها قليلة التكاليف ، ولا تحتاج الى جهد عظيم من الباحث .
 - (ب) تصلح هذه الطريقة للحصول على بيانات قد تكون سرية ، حيث لا يطلب من المشترك فى البحث أن يكشف عن شخصه .
 - (ج) بعدها وتحررها عن تحيز الباحثين .
 - (د) أنها تعطى فرصة للباحثين أطول بحيث يمكنهم قراءة الأسئلة أكثر من مرة .
- أما مساوئها فتتضمن فى :

- (١) انها تحتاج الى مبحوثين يجيدون القراءة والكتابة :
- (ب) لا يمكن التعرف على أفراد المبحوثين لاستكمال ما قد ينقص من بيانات .
- (ج) عدم وجود وعى احصائى بين كثير من المواطنين مما يجعلهم يهملون الرد بالبريد على الأسئلة .

٣ — جمع البيانات عن طريق المقابلة Interview . وتنقسم المقابلة الى نوعين :

- (١) مقابلة ايجابية : ويترك فيها الباحث الفرصة للمبحوث لكى يفضى عما عنده من معلومات عن نفسه واسرته ومشكلاته .. وبعد ان تنتهى المقابلة يكتب الباحث تقريراً عن العمل من واقع البيانات التى ادلى بها .
- (ب) مقابلة سلبية : وفي هذه المقابلة يقتصر دور العميل فى الاجابة على الأسئلة التى يوجهها الباحث ، وقد تسمى هذه الطريقة بالمقابلة الموجهة لان الباحث هو الذى يوجه المناقشة بطرح الأسئلة التى تخدم أغراض دراسته .

٤ — جمع بيانات من مصادر رسمية : كالسجلات والوثائق والنشرات والاحصاءات الرسمية ، والاطلاع على البحوث العلمية السابقة .

- ٥ — جمع بيانات عن طريق الملاحظة الشخصية المتعمدة أو العشوائية . ويقصد بالملاحظة المتعمدة أى تلك التى تتم عن طريق زيارات لمؤسسات أو روابط أو نوادى .. ليلمس الباحث بنفسه كيف تسير الأمور . وقد يحصل الباحث على بعض البيانات الهامة بمحض الصدفة دون أن يكون ذلك فى حسبانه أو تقديره .

- (د) مراجعة البيانات ونقدها : لأن بعض المبحوثين يسيئون النية ، ويدلون بمعلومات غير صادقة لعدة اعتبارات قد يكون من بينها : الخوف من زيادة الضرائب المفروضة ان هم صرحوا بقيمة دخولهم الكبيرة ، الخوف من الحسد ، عدم ارتياحهم للباحث . كما يمكن أن يتسرب الباطل الى المعلومات عن طريق الجهل بقيمة العمليات الاحصائية ، والاستخفاف بمن يقدمون بها .

(هـ) فرز البيانات وتصنيفها وجدولتها .

(و) تحليل البيانات : ويتخذ تحليل البيانات شكلين : التحليل الكيفي وفيه يحاول الباحث تنفيذ البيانات ونقدها وعقد المقارنات ، ووضع الفروض المفسرة للظاهرة المدروسة ، والاستشهاد بالقوانين والنظريات السابقة . الخ ، على أن يتم ذلك كله بصياغة لفظية معبرة . أما التحليل الكمي فيلجأ الباحث الى تفسير البيانات تفسيراً كميّاً مستخدماً في ذلك الطرق الرياضية كإيجاد المتوسطات والترابطات والرسوم الهندسية والبيانية . الخ .

(ز) كتابة التقرير النهائي عن موضوع البحث .

٥ - منهج دراسة الحالة

Case Study Method

تعريفه :

هو طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية من خلال التحليل المتعمق لحالة فردية ، قد تكون شخصاً ، أو جماعة ، أو حقبة تاريخية ، أو عملية ما ، أو مجتمعاً محلياً ، أو مجتمعاً كبيراً ، أو أى وحدة أخرى في الحياة الاجتماعية . ويقوم هذا المنهج على افتراض أن الحالة المدروسة يمكن أن تتخذ نموذجاً لحالات أخرى مشابهة ، أو من نفس النمط ، ولذلك فمن الممكن عن طريق التحليل المتعمق أن نتوصل الى تعميمات قابلة للتطبيق على حالات أخرى تندرج تحت نفس النموذج (١) .

ويمثل هذا المنهج أسلوباً معيناً في التحليل أكثر من كونه مجموعة من الاجراءات المستخدمة في البحث . ويعزى استخدام هذه الطريقة في البداية الى علماء التاريخ ، حينما اهتموا بتقديم دراسات وصفية عن الشعوب والأمم ، تبعها بحوث تفصيلية عن جماعات اصغر ، وقبائل ، وحالات فردية . ويرجع بعض المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعى شيوع استخدام هذا المنهج في السنوات الماضية الى ظهور نظرية الجشطلت Gestalt التي لفتت النظر الى ضرورة الاهتمام بالموقف الكلى الذى يتفاعل فيه الكائن الحى باعتباره جزء من الموقف ، لا ينفصل عنه الا بقصد التحليل

نقط (٢) . وبذا أصبح الاهتمام بالنظر الى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذى يحتويها .

استخداماته :

وعلى أى حال فان منهج دراسة الحالة يمكن أن يستخدم فى الظروف الآتية (٣) :

١ — حينما يريد الباحث أن يدرس المواقف المختلفة دراسة تفصيلية فى مجالها الاجتماعى ، ومحيطها الثقافى بما تشمله الثقافة من عادات وتقاليد وقيم وآراء وأفكار واتجاهات سائدة .

٢ — حينما يريد الباحث أن يدرس التاريخ التطورى لشيء أو شخص أو موقف .

٣ — حينما يريد الباحث أن يتوصل الى معرفة حقيقة الحياة الداخلية لشخص ما بدراسة حاجاته الاجتماعية ، واهتماماته ، ودوافعه ، على أن ينظر الى الفرد باعتباره عضواً فى الجماعة التى يعيش فيها ، ويتفاعل معها فى اطار ثقافتها الكلية .

٤ — حينما يريد الباحث أن يحصل على حقائق متعلقة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف اجتماعى ، أو فى التوصل الى معرفة العوامل المتشابكة التى يمكن استخدامها فى وصف وتحليل العمليات الاجتماعية التى تقوم بين الافراد نتيجة لحدوث التفاعل بينهم كالتعاون والتوافق والتكيف .

وسائله :

يستعين الباحث فى هذا المنهج بعدة وسائل لجمع البيانات أهمها :

— الملاحظة .

— المقابلة .

(١) محمد عاطف غيث : « قاموس علم الاجتماع » مرجع سابق . ص ص ٤٦

— ٤٧ .

(٢) عبد الباسط محمد حسن : « اصول البحث الاجتماعى » مرجع سابق ،

ص ٢٣٥ .

(٣) نفس المرجع ص ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

- الوثائق الشخصية : وتشمل السير الخاصة ، والمذكرات الشخصية ، والخطابات ، وتواريخ الحياة .
 - الإحصاءات الرسمية ، والمصادر التاريخية أو أى بيانات تعطى صورة واضحة عن الموقف أو المجتمع أو الوحدة المدروسة .
 - الخرائط والرسوم المختلفة .
 - ملاحظات كبار السن ، وقادة الجماعات والوحدات .
- وبعد تجميع البيانات بواسطة الأدوات السابقة أو بعضها فان الخطوات التالية هي (١) :

(١) تسجيل البيانات : أى تدوين المعلومات بطريقة منظمة تعين الباحث على استخلاص النتائج ويعتمد التسجيل أساسا على الوصف الدقيق للحالة بشرط أن يكون ذلك بأسلوب موضوعى ، فلا يدخل الباحث ارادة الشخصية أو اتجاهاته الخاصة .

(ب) تصنيف البيانات : حيث يقوم الباحث بتبويب تلك البيانات المسجلة ، بحيث يتم التصنيف بطريقة استقرائية (البدء بالمعلومات الجزئية ، ثم يضمها فى مجموعات كبيرة ، ثم فى مجموعات أكبر الى أن يصل الى التعميمات) أى أنه يبدأ بالجزئيات ليتوصل الى القضايا العامة . ويكون تصنيف الجزئيات الى مجموعات بحسب أوجه الشبه البارزة بينها ، وكذلك ما تتضمنه من انتظام وتتابع .

(ج) التحليل والتفسير : يحاول الباحث تحليل الحقائق المجمة والمصنفة تحليلا اجتماعيا علميا ويكشف العلاقات القائمة بين مجموعات الحقائق ، ويحدد نموذج الحالة الذى وصل اليه ومدى اتفاهه مع غيره من النماذج .

(د) استخلاص النتائج وتعميمها : وعند استخلاص النتائج يجب ألا تكون تعميماته واسعة وانما ينبغى أن تكون متمشية مع النتائج ، وفى حدود الحالات التى دخلت فى نطاق البحث . ومع أهمية هذا المنهج وضرورته فى الدراسة الاجتماعية . إلا أن الاعتماد عليه محاط بمعايير منها .

- ١ — صعوبة الحصول على بيانات يمكن التأكد من صدقها ، على أن بذل جهد أكبر من جانب الباحث وكذلك موضوعيته يمكن أن يقللها كثيرا من هذه الصعوبة .
- ٢ — قد تتشابه مواقف حالة مع غيرها من الحالات بالنسبة لعدد كثير من المتغيرات .
- ٣ — صعوبة التعميم بالنسبة للنتائج التي يتم التوصل اليها باستخدام هذا المنهج ، وذلك لاختلاف الحالات عن بعضها .
- ٤ — يحتاج هذا المنهج الى كثير من الوقت والجهد والتكاليف .

٦ — القياس الاجتماعي

SOCIOMETRY

علم الاجتماع
١٤١١

يهتم علم الاجتماع بدراسة العلاقات الاجتماعية (تفاعل فرد مع أفراد آخرين مؤثرا فيهم ومتأثرا بهم) دراسة علمية لمعرفة الاسس التي تقوم عليها ، والعوامل المؤثرة فيها .

والقياس الاجتماعي هو طريقة خاصة تستخدم في قياس العلاقات الاجتماعية داخل جماعة محدودة خلال فترة زمنية معينة ، وتكشف هذه الطريقة عما يسود داخل الجماعة من جذب متنافر ، وانحلال وتماسك ، كما تكشف عن التنظيم غير الرسمي للجماعة وكذلك المكانة الاجتماعية للأفراد .

ويرجع الفضل في اكتشاف هذه الطريقة الى الطبيب « يعقوب موريفو وشريكه هيلين جينفر » وقد أمكن تطبيقها في كثير من المواقع والوحدات الاجتماعية كفصول الدراسة ووحدات الجيش والسجون والمصانع وأمكن الوصول عن طريقها الى الكشف عن وظائف تلك الجماعات والظواهر المرتبطة بها كظاهرة القيادة والاختباء .

ولابد لنجاح تطبيق هذه الطريقة من عدة عناصر نلخصها فيما يلي :

- ١ — وجود مجموعة متشابهة لاجراء الاختبار .

- ٢ — أن تتوفر السرية التامة في الاختبار .
- ٣ — أن يحدد محك الاختيار أو النبذ ، كما ينبغى أن يكون النشاط الذى يطلب الى الفرد أن يشارك فيه محددا ، وذا أهمية بالنسبة له .
- ٤ — أن يعرف المشتركون في القياس ، أن اختياراتهم الايجابية أو السلبية سوف تستخدم في اعادة بناء الجماعة مستقبلا ، ولهذا فان اختياراتهم سوف تحدد الأشخاص الذين يشاركونهم في المستقبل ، ويتم على أساسها تحديد أدوارهم وأعمالهم في الجماعة .
- ٥ — أن يسمح باختيار عدد معين من الأشخاص في مقابل نبذ عدد مماثل .
- ٦ — أن تكون أسئلة الاختبارات متمشية مع مستوى فهم الجماعة .
- وبعد اجراء الاختبار السسيومتري ، والحصول على بياناته ، يتم تحليل هذه البيانات وتتبع عدة طرق لتحليل نتائج الاختبار منها (١) :

(١) تفريغ الاختيارات التى يتلقاها كل فرد في الجماعة في جدول يسمى « جدول تفريغ الاختبارات السسيومترية أو مصفوفة العلاقات الاجتماعية Sociometric Matrix » ، وتفيد هذه المصفوفات في رصد استجابات الجماعات الكبيرة نوعا ، كما أنها تلخص العلاقات في صورة رياضية تجعلها قابلة للتحليل الدقيق .

(ب) رسم العلاقات الاجتماعية بطريقة « السسيوجرام Sociogram » ، بعد تفريغ الاختبارات يمكن عمل رسم تخطيطى يسمى بالسسيوجرام ، وليست هناك طريقة محددة لرسمه فمثلا يمكن أن نرسم لأفراد الجماعة بدائرة تحمل رقم الفرد (١) ، ونرسم للاختبار بخط يصل ما بين كل فردين ونرسم الاختبار بسهم في نهاية كل خط ، ثم نرصد هذه الرموز المختلفة رصدا يوضح تكوينها فاننا نصل الى السسيوجرام ويمكن أن يمثل للذكور بمثلثات وللانات بمربعات .

(ج) تتفسير البيانات السسيومترية : تعطينا مصفوفة العلاقات الاجتماعية ، وكذا السسيوجرام معلومات عامة عن بناء الجماعة فهناك :

١ — علاقات مركزية : وتبدو في اختيار عدد كبير من الجماعة لشخص واحد منها ، ويعرف الشخص الذى تلقى عدد كبيرا من اختيارات



الجماعة باسم « النجم » لأن له شعبية كبيرة بين الأعضاء .

٢ — علاقات متبادلة : تبدو في تبادل الاختيار بين فردين ، ولا شك أن انتشار هذا النوع من العلاقات الى انعدام التماسك بين الجماعة وتقص التعاون بين أفرادها .

٣ — علاقات متتابعة : وتبدو في الاختيارات (مثلما يختار محمد عليا ، ويختار علي نائلا) وتساعد تتابع العلاقات على انتشار الاشاعات وسرعة انتقالها ، وذلك لأن محمد ينقلها الى علي ، وعلي سينقلها الى نائل وهكذا .

٤ — علاقات دائرية : وهي التي تبدأ من فرد معين ثم تعود الى نفس الفرد .

٥ — علاقات منفردة : وهي التي تبدو في فشل بعض الأفراد في اجتذاب الآخرين اليهم ، رغم أنهم قد يختارون غيرهم بينما هم لا يختارون من أي منهم .

والخلاصة أن الطريقة السسيومترية تفيد في دراسة العلاقات الاجتماعية داخل جماعة معينة وتكشف خصائص الجماعة ومايرتبط بها من ظواهر كالقيادة ، والصداقة ومكانة الأفراد الاجتماعية بالنسبة لغيرهم ، ومدى تماسك الجماعة . ويمكن أيضا عن طريق اعادة الاختيار السسيومتري في مراحل مختلفة التغيرات التي تحدث في تنظيم الجماعة ، وفي مراكز الأفراد واتجاهاتهم . غير أن القياس السسيومتري لا يكفى وحده لاعطاء بيانات متعمقة عن العلاقات بين الأشخاص . لهذا يحسن الاستعانة الى جانبها ببعض الطرق والدراسات الأخرى التي تفيد في دراسة العلاقات الاجتماعية المختلفة .

الفصل الرابع

السكان في المجتمع

ملف
ملف

يهتم علم الاجتماع بدراسته للسكان ، نظرا للأهمية البالغة التي ينظر بها هذا العلم الى السكان في المجتمع ، فبدون السكان لا يوجد مجتمع في الحقيقة والواقع ، وأن المجتمع اذا كان يتكون من عدة مكونات كالمكان ، والبيئة الثقافية ، والعلاقات الاجتماعية ، والنظم وغيرها فان أساس المجتمع وكل مكوناته هو الانسان .

وتهتم دراسات الاجتماعيين بالسكان من عدة جوانب رئيسية يرون أنها تشكل علاقة الانسان بالمجتمع من زاوية رؤيا علم الاجتماع وهذه الجوانب الأساسية هي :

أولا : علاقة السكان بالجانب البيئي الجغرافي الذي يشكل حدود المجتمع ورقعته المكانية ، والتأثير المتبادل بين المكان الطبيعي وبين السكان (أى ما يسمى : الايكولوجيا الانسانية) .

ثانيا : التمييز العنصرى بين الجماعات الانسانية ، والمشكلات التي تنجم عنه ، وموقف علم الاجتماع من التقسيمات العنصرية السكانية التعسفية .

ثالثا : أهمية دراسة حجم السكان وتركيبهم وتوزيعهم وعلاقة ذلك بظروف المجتمع مساحة ومواردا ومناخا وتقدما وتخلفا .

وفى هذا الفصل سوف نتناول بالدراسة هذه الجوانب الثلاثة ، بشئ من الإيجاز وفقا لطبيعة هذا الكتاب الذى يعتبر مدخلا وتمهيدا فى علم الاجتماع .

أولا : الايكولوجيا الانسانية

تشير كلمة « ايكولوجيا » فى علم الحياة الى الطريقة التي تتوزع بها النباتات والحيوانات على منطقة معينة ، واعتمادها بعضها على البعض ، وعلى هذا النحو تعنى الايكولوجيا البشرية ، توزيع مختلف الجماعات والوظائف والمنظمات فى بيئة معينة ، وما يرتبط بهذا التوزيع من عمليات ، ويرمز ذلك الى توافق الكائن الحى (الانسان) مع بيئته ومكانه . وتعنى الايكولوجيا بعناصر ثلاث يكونوها هي (السكان — المكان — التفاعل) .

ولقد أدت معرفة الانسان المتزايدة بطرق الاستفادة بموارد البيئة ، تلك المعرفة التى تتلخص فى كلمة ثقافة ، فقد ساعدت الثقافة الانسان على أن يتحكم فى البيئة ويعديلها لصالحه . وأدى تكيف الانسان بالبيئة الطبيعية ، وتوافقه معها الى أربع صور أساسية للتنظيم الايكولوجى هى :

- ١ — صورة الالتقاط والرعى .
- ٢ — فلاحه البساتين والزراعة .
- ٣ — نشأة القرى والمدن الصغيرة المستقرة .
- ٤ — صورة المدن الكبرى الرئيسية .

وقد تميز كل نوع من هذا التنظيم بطرق فنية خاصة فى استغلال موارد الطبيعة الموجودة فى البيئة الخاصة ، وارتبط كل نوع منها بمرحلة معينة من تطور التاريخ الانسانى .

وفى محاولة الانسان لاستغلال موارد الطبيعة لاشباع حاجاته المختلفة ، نمت علاقاته بالبيئة وموجوداتها ، وأحدث تراكيب اجتماعية مختلفة فى الزمان والمكان ساعدته على أن يعيش ويعمل فى مجموعات ، تراوحت بين المدن الكبرى ذات الملايين من السكان الى القرية الصغيرة ، والمزارع الأسرية الخاصة .

ولم يعيش الناس فى تلك المجموعات المتباينة منعزلا ، وانما عملت شبكة المواصلات السريعة المتقدمة من برية وبحرية وجوية ، وعلاقات السوق التجارية الاقتصادية والاجتماعية . اذ تتكامل الوظائف الاقتصادية فى المجتمعات الحديثة حول السوق . وتنشأ المدن كنتيجة للتفاعل التنافسى بين الناس ، والتخصص فى أداء الوظائف ، والخدمات ، وتوزيع الموارد المختلفة ، فى بيئة عنها فى أخرى ، ثم وسائل المواصلات والاتصالات . وكلما زاد المجتمع تصنيعا زاد تمدنا ، فيهاجر سكان الريف الى المدن فى أعداد كبيرة ويصبح الاتجاه الى اتساع المدن أهم ظاهرة بعد الانفجار السكانى (١) .

ومما لا شك فيه أن ظاهرة التمدن أصبحت مشكلة ضخمة تواجه المجتمعات على

(١)

اختلاف أنواعها ، وإن كانت تزداد حدة ووضوحا في المجتمعات النامية ، ومقارنة سريعة لعدد السكان في مدن مجتمع ما نامى خلال حقبة زمنية من تاريخه الحديث تكشف لنا عن مدى زيادة حجم السكان في تلك المدن بصورة أكبر مما عليه معدلات النمو السكاني في القطاع الريفي أو البدوي من ذات المجتمع — رغم ارتفاع معدلات الزيادة السكانية في قطاع الريف بكثير عما عليه الحال في قطاع الحضر . ولا شك أن مرجع ظاهرة النمو الحضري مرتبط أساسا وبالدرجة الأولى الى ظاهرة الهجرة من الريف الى الحضر (١) .

ثانيا : العلاقات العنصرية

العنصر السلالي مسألة بيولوجية أصلا ، ألا أن اتصال هذا الموضوع اتصالا وثيقا بالتفاعل الاجتماعي حتى في أرقى المجتمعات ، وأكثرها تمدنا (كالولايات المتحدة الأمريكية) وبالرغم من أن معظم علماء دراسة الانسان كالأنثروبولوجيا ، والبولوجيا والانتولوجيا والاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي .. قد أثبتوا عدم تفوق جنس بشرى أو سلالي على آخر ، إلا أن هذه الفكرة لا يزال لها تأثيرها الكبير في حياة معظم المجتمعات ويفضل تأثير هذه الفكرة تحدث التفرقة والتمييز في المعاملة ، وفي الحقوق المدنية ، وغيرها من المشاكل الاجتماعية الناجمة عن التفرقة العنصرية للجنس أو اللون أو الدين .. وما ثورة الزوج في ديترويت بأمریکا التي حولتها الى خراب نتيجة العنف والقتل والحريق ... ببعيدة عن الأذهان ، وكذلك حكم الأقلية البيضاء في روديسيا ، ودعاوى التفوق العنصري للنازية والصهيونية .

والحقيقة أنه لا يوجد في عالم اليوم سلالة أو جنس نقي ، وأصبح الحديث الآن عن ذلك حديث خرافة ، ولا يمت الى الواقع الكائن بصلة يستند إليها . فاشترك الناس في اللغة أو الدين وأسلوب الحضارة ، ونمط الحياة يكفل وحدة في فكرهم ، وفي الوعاء المتضمن لهذا الفكر ، ومن جهة أخرى فإن الاختلاط بين البشر وعلى أوسع نطاق بحكم تقدم المواصلات والهجرات ، والمصاهرة ... الخ قد أزال كل احتمال للنقاوة

(١) للمزيد من معرفة أبعاد الانفجار الحضري وأبعاده يرجع الى الفصل الذي كتبه المؤلف بالاشتراك بكتاب « مدخل لدراسة المجتمع » بعنوان التنمية الحضرية ومشكلاتها في مصر .

(٢) مرجع سابق ، ص ص ٥٧٠ — ٦٢٧ .

فى الجنس الخالص . وهنا يبرز سؤال : ما هو اذن السبب فى تجسيد رابطة الجنس أو السلالة طالما أنها خرافة ؟ والاجابة تتلخص فى أن العنصرية توجد لدى الجماعات الانسانية التى بينها متشابهات يمكن أن تجمع بينهم ، وأن من ليس مشابها لها فهو خارج عنها ، وهذه المتشابهات ليست سمات جسمية فحسب كلون البشرة ، أو شكل الشعر أو الأنف ... الخ وانما هى — بالاضافة الى ذلك — شعور بالنوع قد تمتد لتشمل آية سمات أو رابطة مشتركة : كالقريه ، والدين ، والأصل الجغرافى ، واللغة ... (١) .

ويضاف الى هذا السبب (التشابه والشعور بالنوع) سببا آخر — يعتبره علماء الاجتماع الآن أساسا للتجمع البشرى خصوصا فى المجتمعات الحديثة ذات الجماعات المختلفة كالنقابات ، والاتحادات ، والأحزاب ... والتى تجمع بين أنواع من الناس لا تشابه بينهم — هذا السبب الآخر هو تبادل المنافع ، وتوافق المصالح ، وعظم الانجازات تلك الأمور التى لا تتحقق الا فى التجمعات الانسانية .

ونظرا للخطورة التى تنطوى عليها التفرقة والتمايز العنصرى ، وما تلعبه فى التفاعل الاجتماعى ، والعمليات الاجتماعية — التى سبق لنا دراستها — فقد اهتم كثير من علماء الاجتماع بالعلاقات العنصرية داخل المجتمع سواء فى داخل الجماعة الواحدة ، أو بين مختلف الجماعات التى يتكون منها المجتمع الأكبر بمنظّماته وهيئاته .

ولكن اذا كان الله (سبحانه وتعالى) لم يجعل فرقا بين الناس فى الخصائص البيولوجية ، وأوضحت علوم التشريح ، وقياسات الذكاء وغيرها عدم التمايز ، فلماذا يعكس التعصب تراكيبا اجتماعية مختلفة تتمثل فى نظام الطبقات ، والأدوار المخصصة لكل طائفة دينية أو عنصرية أو اسلامية ، وأنماط القيم التى تبرر علاقات هذه التراكيب الاجتماعية ؟ وببساطة فان الناس يكتسبون الاتجاهات العدائية من الجماعات الأخرى ، والأجيال السابقة عليهم ، بمعنى آخر ان هذا التعصب غير موروث وهناك عدة ظروف اجتماعية تساعد الأفراد على اكتساب العنصرية والتمايز والتعصب عن

-
- 1) Giddings, principles of sociology, Mcmillan, N.Y., 1913, P. 17.
 - 2) David Krech & Richard S., Theory and problems of social psychology, McGraw Hill Book, N.Y.; Toronto, London, 1948, PP. 443 — 529.

طريق التعلم والاكتساب وهذه الظروف هي (٢) .

١ — المشكلات التى تنشأ عن التغير الاجتماعى الذى هو سمة من سمات المجتمعات ، يقوى التعصب العنصرى بما يصاحب التغير من تصنيع وقلق وحراك اجتماعى ، وهوات ثقافية .

٢ — الاختلافات البيولوجية الطبيعية الظاهرة بين السلالات التى ترى بالعين دون انتظار لعمليات التشريح أو القياس .

٣ — الميزات التى كانت تضى على غئات معينة من حيث الفرص ، والحقوق ، والواجبات والمظهر الاجتماعى .. مما تذكى روح الفرقة فى المجتمع .

٤ — انقسام المجتمع الى طبقات مختلفة من حيث النفوذ والمراكز والأدوار والمهن التى يمارسوها فباستمرار هناك الأغنياء والفقراء ، هناك العبيد ، هناك الأمراء ...

٥ — نقص وسائل الاتصال ، والعزلة النسبية الجغرافية ، وسيادة النظام الريفى والقبلى كل ذلك يؤدى الى سيادة الجماعات الأولية المتناسكة ، والتى غالبا ما تكون جامدة من التغير ، مقاومة للتجديد .

٦ — سيادة نوعين من القيم فى المجتمع الواحد ، قد تتصارعان اذا ما تجاوز اعتقاد الأفراد بهما مرحلة الفكر الى مرحلة العمل .

٧ — التنشئة والتربية وما تفرسه من قيم التعصب أو التسامح من جيل الى آخر ، سواء كان ذلك فى المدرسة أو قبلها فى المنزل أو فى الجماعات الأخرى التى يتفاعل معها الفرد .

ومما لا ريب فيه أن المضطهد نتيجة التعصب ، تكون له شخصية تميل به الى العدوان والعنف ، والشعور بالمرارة والضيق ، كما يشعر المضطهد بعدم الانتماء للمجتمع فلا يشارك فى أعماله ، ولا يمثل لقوانينه ومعاييره ، ويشعر بالغربة الاجتماعية التى قد تدفعه الى اللامبالاة بأى شئ ، والاستعداد على المجتمع كلما حانت له فرصة .

ثالثا : النمو السكاني

يرجح العلماء الزيادة السكانية في أى مجتمع الى سببين أساسيين :

(١) زيادة عدد المواليد على عدد الوفيات ، بحيث يصبح الفرق في زيادة المواليد الأحياء هو ما يسمى بالزيادة الطبيعية .

(ب) الزيادة التى تتم باضافة عدد من السكان الى سكان مجتمع ما لأسباب مختلفة وذلك عن طريق الهجرة وهو ما يسمى بالزيادة غير الطبيعية .

والملاحظ لمعدل الزيادة السكانية بين سكان العالم اجمالا يرى أن هذه المعدلات في ارتفاع مستمر ، ففي سنة ١٧٥٠ كان سكان العالم نحو ٧٣٠ مليونا بمعدل حوالى ٢٩٪ في العام ثم ارتفع العدد عام ١٨٥٠ الى نحو ١١٧٠ مليونا بمعدل حوالى ٥١٪ ، وبعد قرن ارتفع العدد الى ٢٤٠٠ مليونا بمعدل زيادة حوالى ١٪ ، وقد وصل معدل الزيادة في عام ١٩٧٠ الى نحو ٢٨٪ (١) .

وبطبيعة الحال زيادة السكان ومعدلاتها تختلف من مجتمع الى آخر في العالم ، وفقا لظروف وأوضاع هذا المجتمع الاقتصادية والاجتماعية ، فبينما نلاحظ أن البلاد الصناعية قد انخفضت بها نسبة المواليد بشكل ملحوظ ، تجد الدول النامية بصفة عامة لم تنخفض بها نسبة المواليد ، وانما انخفضت فيها نسبة الوفيات نتيجة استفادتها بالتقدم الطبى العلاجى والوقائى وما يصاحبه من حد لنسبة الوفيات — رغم أن مصدر هذا التقدم الطبى هو الدول المتقدمة — الأمر الذى أدى الى ارتفاع الزيادة الطبيعية في تلك البلاد المتخلفة .

ونتيجة للزيادة السكانية الهائلة السائدة في معظم الدول النامية يميل مستوى المعيشة فيها الى الانخفاض ، بينما يميل مستوى المعيشة في الدول الصناعية الى الارتفاع ، وهكذا يمكن القول بأن هناك ارتباطا عكسيا بين زيادة السكان ، وارتفاع

(١) عبد الحميد لطفى ، حسن الساعاتى : « دراسات في علم السكان » دار المعارف ، الطبعة السابعة ، ١٩٨١ ، ص ٣٩ — ٤٥ .

مستوى المعيشة أى كلما زاد السكان ، انخفض مستوى المعيشة ، وكلما نقص عددهم كلما ارتفع ذلك المستوى وقد لمس كثير من المفكرين الاجتماعيين أثر الزيادة السكانية منذ بداية الثورة الصناعية في أوروبا مما كان سببا في ظهور كثير من الآراء والنظريات .

ولا غرابة ان شغلت مشكلة الزيادة السكانية — أو كما يسميها البعض لعظمها بالانفجار السكاني — بأن المفكرين من علماء الديموجرافيا والاجتماع ، والاقتصاد والتنمية وغيرهم ويرجع الفضل في ذلك الى توماس روبرت مالثس عالم الرياضيات الانجليزى والقسيس الشهير الذى كان له فضل توجيه الأنظار لدراسة السكان دراسة علمية وبطريقة احصائية ، وذلك عندما نشر مقاله الأول عن السكان في سنة ١٧٩٨ دون أن يذكر اسمه فيه ، وقد اتهم بالاحاد والتشاؤم — مما دعاه أن يعيد التفكير وأن يتعمق في الدراسة مدة خمسة أعوام ، زار خلالها أوروبا مرتين ، وجمع مادة غزيرة ضمنها مقاله الثانى المنقح .

نظرية مالثس في السكان :

تقوم **نظرية مالثس** على مبادئ عامة أهمها :

١ — أنه يحاول أن يبحث الأسباب المهمة « التى عاقت تقدم البشرية الى السعادة » ويرى أن السبب الرئيسى يرجع الى زيادة السكان — مثل باقى الكائنات — زيادة هائلة لا يمكن أن تتمشى مع نسبة الزيادة فى غلة الأرض (الغذاء) ، ويضرب مالثس المثل الآتى « اذا أخذنا كل الأرض ... وفرضنا أن سكان العالم الحاليين يعادلون ألف مليون نسمة ، فان الأنواع البشرية سوف تتزايد (كل ٢٥ عاما) حسب متتالية هندسية ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ١٢٨ ، ٢٥٦ ، ٥١٢ ، ١٠٢٤ وهكذا ، بينما يزداد الغذاء حسب متتالية حسابية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ وعلى ذلك فخلال قرنين من الزمان يكون عدد السكان بالنسبة للمواد الغذائية كنسبة ٢٥٦ : ٩ وبعد ثلاثة قرون كنسبة ٤٠٩٦ : ١٣ » .

٢ — أنه مهما بذلت من جهود لتحسين غلة الأرض ، فان قوة تزايد السكان سوف تظل أكثر علوا ولا يمكن خفض الزيادة السكانية الى مستوى وسائل المعيشة الا عن طريق الضبط .

٣ — وفى رأيه أن عوائق زيادة السكان ، الضابطة لعددهم بحيث يتمشى مع
مواردهم الغذائية فهو عائق رئيسى يتمثل فى « الحاجة الى الغذاء » لكن
هذا العامل لا يحدث أثره مباشرة الا فى المجاعات . أما العوائق المباشرة
فهى متفرعة عنه وقسمها الى نوعين :

(أ) عوائق ممانعة (ب) عوائق ايجابية

أما الممانعة فتعمل على تخفيض نسبة المواليد وتشتمل على : الرذيلة —
الضبط الأخلاقى ويقصد بالرذيلة كل العلاقات الجنسية غير المشروعة ،
ولعدم مشروعيتها فانها تتم دائما بصفة خفية ، والنتائج المترتبة عليها
يتم التستر عليها واخفاؤها . أما الضبط الأخلاقى فانه فى رأيه الامتناع
عن الزواج مع الاحتفاظ بسلوك عفيف طول مدة الامتناع . وبهذا تصبح
الرذيلة — والضبط الأخلاقى مانعين لزيادة السكان .

أما العوامل الايجابية فهى البؤس ، وكل عوامله التى تنقص عدد
السكان عن طريق رفع نسبة الوفيات : كالحرف المضرة بالصحة ،
والأعمال الشاقة ، وتشغيل الأطفال ، وتربية الاطفال السيئة ، واكتظاظ
أماكن السكنى غير الصحية ، والأمراض ، والمجاعات ... الخ .

٤ — يتلخص مبدأ مالش العام فى السكان فى مسائل ثلاث هى :

(أ) يحدد عدد السكان ضرورة بالغذاء .

(ب) يزداد عدد السكان بشكل ثابت ، حينما تزداد وسائل المعيشة
(الغذاء) ، ما لم يعيق ذلك عوائق قوية جدا وواضحة .

(ج) ان أهم المواقع التى تضبط قوة السكان العظمى ، وتجعلها فى
مستوى وسائل المعيشة ترجع كلها الى : البؤس ، الرذيلة ،
الضبط الأخلاقى .

وقد تعرضت آراء مالش لكثير من النقد ، وانقسم المفكرون ازاءها بين قابل
ورافض ومستحسن لها ، أو ناظم عليها ، واذا كانت تلك الآراء المالتسية عليها مأخذ
الا أن قيمتها الأكبر ، أنه كان أول من وجه الأنظار الى دراسة السكان دراسة منظمة
علمية ، كما أن رأيه كان سببا فى قدح هم الآخرين ، وتوجيه اهتمام المفكرين نحو
ارتباط التزايد السكانى بوسائل المعيشة وما ينتج عن ذلك من آثار .

وبعد ما لثس حاول كثير من العلماء دراسة النمو السكانى . ومحاولة استخلاص نظريات أو قوانين تفسر ذلك ، الا أن هذه المحاولات كلها لم تصل بعد الى نظرية يمكن أن تنطبق على جميع حالات المجتمعات من حيث نموها السكانى . ذلك لأن كل مجتمع له ظروفه الطبيعية والاجتماعية . التى قد تختلف من جماعة لأخرى ومن مكان لآخر ومن فترة زمنية الى فترة زمنية لاحقة وهكذا .

ومن هذا المنطلق ، فان الدراسات الحديثة للسكان تهتم بالعوامل المختلفة التى يمكن أن تؤثر فى نمو السكان ، وهى العوامل التى يمكن أن تؤثر فى نسبى المواليد والوفيات زيادة أو نقصا . سواء كانت هذه العوامل طبيعية أم اجتماعية .

العوامل المؤثرة فى نمو السكان :

يمكن أن نقسم هذه العوامل الى قسمين :

(أ) عوامل طبيعية (ب) عوامل اجتماعية .

(أ) **العوامل الطبيعية :** هى تلك العوامل التى تعود الى الوسط البيئى الذى يعيش فيه الانسان ويصعب على الانسان أن يتحكم فيها بسهولة كأن يمنع وقوعها أو يؤجله .. وان كان هذا لم يمنع الانسان من المحاولة فى التدخل للتخفيف من حدتها أو على الأقل علاج أثارها ومن العوامل الطبيعية التى يمكن أن تتدخل فى نمو السكان :

١ — خصوبة الأرض أو جذبها : فالأرض الخصبة تربط الانسان بها ، وتجعل حياته مستقرة ويدعوه هذا الى الاقبال على تكوين الأسر ، والأسرة الريفية لها نمط حياة مختلف تماما عن الأسرة الحضرية ، فهى تقدر الأطفال ، وتنتظر اليهم على أنهم خير وبركة ويحتاج الفلاح الى عدد من الذرية للمساعدة فى فلاحه الأرض ، وتربية الحيوان ، بالإضافة الى نظرة القرويين الى الأولاد على أنهم قيمة فى حد ذاتهم حيث يحملون اسم الأب (العائلة) وهم عزوة وجاه ، فاذا أضفنا الى ذلك سهولة تربية الأطفال فى الريف ورخصها ، والظروف الاجتماعية الأخرى التى يعيش فيها أهل الريف .. لأمكنا أن نستخلص أن خصوبة الأرض أحد الأسباب الهامة فى ارتفاع نسبة المواليد وزيادة السكان .

وخصوبة الأرض لا تعنى بها جودة التربة وصلاحيتها للزراعة فحسب ،
وانما أيضا ما تكتنزه فوقها أو في جوفها من معادن وخامات أخرى تدفع بالناس
الى عمارة المكان الغنى بخيراتها المكتنزة : ومثال ذلك حقول البترول ، ومناجم
التعدين الغنية وغيرها .

وعلى العكس اذا كانت مجدية ، فانها تطبع سكانها بطابع البؤس والشقاء
والفقر وتدفعهم الى النزوح عنها ما تيسر لهم ذلك . وكما أوضح مالش في فان
البؤس يوقف نمو السكان عن طريق رفعه لنسبة الوفيات بدرجة تفوق نسبة
المواليد .

٤ — وفرة المياه أو ندرتها ، وهو عامل مرتبط بالسابق ، فالماء أساس كل حياة
وندرته من عوامل الشقاء وقد تؤدي الى الهجرة ، ووفرته تحول الصحارى
الجرداء الى جنان خضراء ، وكفانا مثلا على ذلك أن سكان مصر كلها يعيشون
في مساحة لا تزيد على ٤٪ من المساحة الكلية لأرض الجمهورية ، وهذه المساحة
الضئيلة التى يعيشون فيها هى ضفاف نهر النيل ودلتاه ، على حين أن باقى
المساحة خالية أو شبه خالية من السكان لعدم توافر المياه .

٣ — كوارث الطبيعة : كحدوث الزلازل والبراكين ، والسيول ، والفيضانات وغيرها
وهذه الكوارث تسبب كثيرا من الضحايا والقتلى أى أنها تؤدي الى زيادة نسبة
الوفيات ، علاوة على أن تكرارها في مناطق معينة كالمناطق البركانية يدفع
الناس الى البعد عنها الى أماكن أخرى .

Fecundity

٤ — العقم الطبيعى : من المعلوم أن قدرة المرأة الفسيولوجية على الانجاب
تصل الى نحو ٣٥ عاما ، حيث تعارف الديموجرافيون على اتخاذ المدى العمرى
١٥ — ٤٩ كمجال طبيعى لحمل المرأة اذا توفرت شروطه ، الا أن هناك نسبة
من النساء يبقين عقيمات عقما طبيعيا لعدم توافر المقدرة الفسيولوجية على
الحمل . وحتى الآن لم يصل العلم بعد الى تحديد هذه النسبة ، الا أن بعض
الدراسات أثبتت أن هناك نموذجا افتراضيا للقدرة على الانجاب يدل على أن

نسبة النساء القادرات على الانجاب ترتفع من ١٪ عند سن ١٤ لتصل الى قممتها وهي ٩٣٪ عند السن ٢٢ عاما ثم تبدأ في الهبوط التدريجى لتصل مرة أخرى الى ١٪ فقط قبيل سن ٥٠ عاما (١) .

(ب) العوامل الاجتماعية : التى تتدخل أيضا فى نمو السكان بالزيادة أو النقص

فهى كثيرة ومتعددة فمنها الزواج ومدى الاقبال عليه فى سن مبكرة ، القيم التى ينظر بها المجتمع الى الأطفال ، مدى ممارسة وسائل تنظيم منع الحمل ، التعليم ، توزيع السكان حسب فئات السن ، توزيع السكان حسب المهن ، تركيب السكان بين ريفيين وحضرين ، التركيب السلالى الجنسى لسكان المجتمع ، تركيب السكان حسب دياناتهم ، الحروب ، نسبة الأفراد المعزولين عن المجتمع بحكم نظمته وقوانينه . وتضيق الدراسة هنا من أن نتناول كل عامل من تلك العوامل بالتحليل لنتبين أثره فى زيادة السكان أو نقصهم فى المجتمع ، ولهذا سنقتصر بدراسة بعضها كأمثلة توضح الهدف المنشود .

١ — تركيب السكان من حيث النوع Sex Composition

تختلف المجتمعات فى نسبتي الذكور والاناث من مجتمع لآخر ، فقد يزيد عدد الذكور عن عدد الاناث كما فى الكويت والبحرين ، وقد يقل عدد الذكور عن عدد الاناث كما فى المانيا والاتحاد السوفييتى ، وقد يتساوى النوعان الذكور والاناث تقريبا كما فى استراليا وهولندا . وترجع الاختلافات فى المجتمعات بين نسبتي الذكور والاناث الى عدة عوامل أساسية أهمها :

(أ) الحروب : حيث تؤدي الحرب الى زيادة نسبة الاناث على الذكور ، وذلك بسبب

الخسائر التى تقع فى الأرواح بين المقاتلين وفى معظم الأحوال يكونون من الذكور الشبان . كما تؤدي الحرب بصفة عامة الى ارتفاع نسبة الوفيات فى صفوف الجنود والمدنيين على حد سواء كخسائر مباشرة فى الأرواح . ومن جانب آخر فان نشوب المعارك يعمل على تأجيل فرص الزواج بسبب انشغال الناس بالحرب وخوفهم من آثارها مما يساعد على تقصير مدى فترة سن الحمل لدى النساء وبالتالي تقل خصوبتهن الفعلية Fertility ، كما تؤدي الحرب من جانب ثالث بالنسبة للمتزوجين فعلا الى عدم اتاحة الفرصة كاملة للمعايشة الجنسية اما لاشتراك الزوج كمجنّد فى الحرب ، واما للعوامل السيكولوجية

التي تحيط بالناس في تلك الظروف كالخوف ، والقلق ، والحزن ، والتشويه . الخ . ولا تزال أثر الحروب واضحة جدا في بعض البلاد التي عانت من ويلاتها خصوصا في الحربين العالميتين الأولى والثانية .

(ب) **الهجرة الى المجتمع من خارجه :** اذ أن الهجرة الخارجية — كما هو معلوم — تتم عادة وفي مراحلها الأولى من جانب الشباب الأكثر مغامرة ، والذي يضيق من ظروف معيشته الرتيبة ، والذي لا تقف في وجهه تقاليد تعوق حركته وانتقاله . كما يحدث في كثير من المجتمعات بالنسبة للاناث فيها . فاضافة عدد من الذكور المهاجرين الى سكان مجتمع مهاجر اليه ، لا شك أنها سترفع نسبة الذكور به .

(ج) **انتشار ممارسة وسائل منع الحمل :** أثبتت معظم الدراسات أن نسبة الذكور الى الاناث أكبر بين المواليد عموما حيث تقدر هذه النسبة بنحو ١٠٥ من الذكور لكل ١٠٠ من الاناث ، واقبال الناس في مجتمع ما على استخدام وسائل منع الحمل ربما يؤدي الى زيادة نسبة الذكور على نسبة الاناث وذلك اذا اكتفت معظم الأسر بالمولود الأول واحتمال كون هذا المولود ذكرا أكبر من احتمال كونه أنثى .

ولا شك أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية في أى مجتمع تتأثر بطريقة أو بأخرى باختلاف نسبة الذكور الى الاناث ، ويمكن أن نلمس ذلك في النقاط التالية :

١ — اذا كانت نسبة الذكور في مجتمع ما أعلى خاصة في الفئات العمرية من (٢٠ — ٦٠ سنة) كان معنى ذلك وفرة الأيدي العاملة المنتجة في كل المجالات في ذلك المجتمع .

٢ — أنه اذا تساوت نسبة الذكور : نسبة الاناث وصف المجتمع بأنه مجتمع طبيعي .

٣ — اذا زادت نسبة الذكور على الاناث (خاصة بين الفئات المناسبة للزواج) فان المتوقع هو انخفاض نسبة المتزوجين من الذكور بالنسبة لمجتمع تكون فيه نسبة الاناث أعلى .

٤ — يمكن أن يؤدي اختلاف النسبة بين النوعين الى انتشار انحرافات خلقية .

٥ — تتأثر عملية الزواج باختلاف النسبة بين النوعين ، ولهذا تأثيره في الخصوبة والمواليد .

٦ — اذا زادت نسبة الاناث عن نسبة الذكور في مجتمع ، فقد يعنى ذلك ارتفاع متوسط الأعمار ، وبالتالي نسبة أقل في الوفيات ، وذلك لأن المرأة — كما ثبت علميا — تتمتع عادة بحياة أطول من الرجل ، لأسباب كثيرة .

وبطبيعة الحال فان الاختلافات بين نسبة الذكور ونسبة الاناث لها تأثيراتها الواضحة على جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، واذا كانت تختلف من مجتمع الى آخر ، فانها أيضا غير ثابتة في المجتمع الواحد بل انها تتغير من تعداد لآخر .

٢ — تركيب السكان من حيث السن Age Composition

. لا يمكن أن نتصور مجتمعا دون أن يكون تركيبه السنى مشتملا على جميع فئات السن الا ان تقسيمات المجتمع الى فئات عمرية مختلفة ، تختلف من مجتمع الى آخر ، فبعض المجتمعات نرى أن فئات السن الصغيرة تسود بها ، بينما تسود فئات السن الشبابية في مجتمع آخر ، وتسود عناصر كبار السن في مجتمع ثالث ، وسيادة فئات عمرية بينها في مجتمع ما ، ترتبط بنمو السكان وتفسر لنا نقصهم بالوفيات أو زيادتهم عن طريق الخصوبة ، فارتفاع نسبة صفار السن خاصة في سن الزواج تعمل على ارتفاع نسبة الزواج وبالتالي على ارتفاع نسبة المواليد . بعكس مجتمع تمثل نسبة كبار السن فيه نسبة عالية . وهكذا .

وبوسعنا أن نميز عددا من نواحي الاختلافات بين المجتمعات بسبب تركيب السكان المختلف من ناحية فئات السن :

١ — أن ارتفاع نسبة صفار السن في مجتمع ما تعنى أولا ارتفاع نسبة الافراد العاملين في المجتمع وثانيا ارتفاع نسبة الزواج .

٢ — تعنى ارتفاع نسبة الصفار في مجتمع ما أيضا ، وازدياد تبعات الدولة بالنسبة للخدمات التي تقدمها لرعاية الاطفال والصفار كخدمات الامومة والطفولة ، ودور الحضانة والرعاية النهارية ، وصحة الطفل ، والتعليم الأولى وما شابه ذلك .

٣ — تعنى ارتفاع نسبة الكبار فى مجتمع ما ، ضرورة مراعاة الدولة لشئون هذه الفئة العريضة ويكون لهذا أثره فى تمويل المشروعات التى تتولى أمورها كالمعاشات ، والتأمينات ، والإعانات ودور المسنين والمستشفيات وغيرها .

٤ — يتأثر ازدهار بعض الصناعات أو اختفائها على فئات الأعمار : فمثلا صناعات الألبان تعقيمها وتجفيفها ، وصناعات لعب الأطفال ، وملابسهم وكتبهم ، وأدواتهم .. وغير ذلك مما يحتاجه الأطفال يتأثر بنسبة الأطفال فى المجتمع ، وما يقال عن الأطفال يمكن أن يقال عن الكبار ، وما يقال عن الذكور صغارا أم كبارا يقال عن الإناث صغارا أم كبارا .

وأبرز وسيلة يمكن أن تعبر عن تركيب السكان سنيا ، ونوعيا ، على فترات زمنية — جرى العرف السكانى على اعتبارها خمس سنوات — هى الهرم السكانى Population Pyramid وهى عبارة عن رسم بيانى يأخذ عادة شكل الهرم من حيث القاعدة المتسعة التى تضيق عندما تبلغ للقيمة . ويختلف رسم هذا الهرم من مجتمع الى آخر حسب فئات السن التى تبدأ من (أقل من سنة — ٥) حتى (متوسط أعمار السكان فى ذلك المجتمع فما فوق) ، كما يختلف ذلك الهرم أيضا فى نسب تمثيل كل من الذكور والإناث فى المجتمع .

وفى ضوء الاختلافات التى تكشف عنها دراسة الهرم السكانى فى مجتمع ما بالهرم السكانى لمجتمع آخر ، يمكن أن نخرج بكثير من النتائج التى تحدد كثيرا من المشكلات والأوضاع الاجتماعية التى تواجه المجتمع ، أو يمكن أن تواجهه فى المستقبل .

٣ — مدى انتشار وسائل منع الحمل بين سكان المجتمع :

مما لا شك أن العامل المباشر والمؤثر فى خفض نسبة المواليد فى العصر الحديث هو بلا منازع استخدام الوسائل المانعة للحمل وأهمها الموانع الطبية (كالحبوب — والوالب والرغويات والقناعات العازلة وغيرها كاستئصال المبيض والإجهاض) .

ولقد تطرقت دول الغرب وأمريكا فى ممارسة وسائل منع الحمل خلال القرن

الماضى بالدرجة التى تأثر نمو السكان فيها تأثرا بالغا ، خاصة بعد أن صاحب هذه الظاهرة استمرار انخفاض نسبة الوفيات بسبب التقدم الطبى ، وانخفضت تبعا لذلك الزيادة الطبيعية بشكل ملحوظ ، بل لقد بلغ الأمر أن ارتفعت نسبة الوفيات على نسبة المواليد فى بعض السنوات كما حدث فى النمسا من ١٩٣٥ — ١٩٣٧ ، ومن ١٩٣٤ — ١٩٣٩ فى فرنسا ، وانخفض فعلا عدد السكان فى هذين البلدين تبعا لذلك (١) . ويمكن أن نلاحظ انخفاض نسبة المواليد فى كل من إنجلترا ، وأمريكا ، والاتحاد السوفيتى .

ولقد ثبت بالبحث أن هناك ارتباطا بين ممارسة هذه الوسائل المانعة للحمل وبين الوضع الاقتصادى للأسرة ، حيث تميل النساء الثريات بدرجة أكبر من الفقيرات الى استعمال وسائل منع الحمل . كما يرتبط ذلك أيضا بدرجة تعليم المرأة ، وبعدد الأطفال المنجبين فعلا فى الأسرة ، وبعمر الزوجة .

وبهنا بصدد الحديث عن وسائل منع الحمل أن نشير الى ظاهرة الاجهاض Abortion على اعتبار أنها وسيلة تمارس فى كثير من المجتمعات ، بقصد تحديد النسل أو التخلص من الجنين لسبب أو لآخر ، ونظرا لأنها فى بعض المجتمعات تعتبر خروجا على القانون أو على الشرائع الدينية فان امكان الاعتماد على الاحصائيات التى تبرز حجمها تكون مضللة وغير سليمة .

على أن حجم هذه الدراسة حسب المتاح عنها من البيانات يشير الى تعاضد حجمها هفى بريطانيا تمثل هذه الظاهرة عام ١٩٥٠ ٧٪ من مجموع المواليد فى إنجلترا ولا شك أنها نسبة كبيرة تؤثر فى نمو السكان ، وفى ألمانيا وصلت نسبة حالات الاجهاض الى حالات التوليد سنة ١٩٦٢ ١ : ٥ . ومن الدول الأوربية الاشتراكية ، وضعت تشريعات تعطى للأسرة الحق فى التخلص من الحمل غير المطلوب ، على أن تتم عمليات الاجهاض تحت رقابة الدولة فى المستشفيات وكانت نتيجة ذلك انخفاض نسبة الوفيات بسبب الاجهاض الذى كان يتم سرا ، ثم ارتفعت نسبة الاجهاض بعد أن أصبحت هذه النسبة خاضعة للتسجيل بفضل صدور قوانين اباحته . وقد أخذت إنجلترا بنفس اتجاه الدول الأوربية الشرقية وقتنت الاجهاض فيها ، وكذلك الحال فى السويد وقد

(1) United Nation, Demographic yearbook, 1948, New York, 1949.

بلغت حالات الاجهاض القانونية فيهما عام ١٩٧١ م ٩٤٥٧٠ حالة ، ١٦٠٠٠ حالة على الترتيب (١) .

٤ — تركيب السكان حسب الناحية الزوجية :

ينقسم السكان في أى مجتمع من الناحية الزوجية الى خمس فئات هى : المتزوجون — العزاب — الأرامل — المطلقون وأخيرا المنفصلون . وتتفاوت نسبة كل فئة الى الأخرى ، كما تتفاوت من مجتمع الى آخر . ولا شك أن نسبة المواليد تتأثر الى مدى كبير بنسبة المتزوجات خاصة من كن في الفئة العمرية من ١٥ — ٣٠ سنة . كما تتأثر نسبة الوفيات بالارتفاع فى المجتمع الذى ترتفع فيه نسبة المطلقات والأرامل وتنخفض فيه نسبة المتزوجات وهكذا . ويمكن أن يختلف المجتمع الواحد فى تركيب سكانه زوجيا من تعداد الى آخر حسبما يحدث فيه من تغيرات اجتماعية أو اقتصادية . . فقد تسود المجتمع عادات الزواج فى سن مبكرة كما هو الحال فى القطاعات الريفية لمعظم المجتمعات ، وكما هو الحال أيضا فى الدول النامية اذا ما قورنت بالدول الصناعية . وتؤدى هذه العادات الى ارتفاع نسبة المواليد لسببين :

أولهما : أن زواج الاناث بالذات فى سن مبكرة يتيح لها فرصة اطول من سنوات الحمل (١٥ — ٤٩ سنة) الأمر الذى يترتب عليه امكانية انجاب عدد اكبر من الأطفال « خصوبة مرتفعة » .

ثانيهما : أن خصوبة المرأة الفسيولوجية مرتبطة بنموها العمرى ، فهى تبدأ بنسبة ١٪ مع بداية سن الحمل (١٥ سنة) لتصل الى أوجها فى سن ٢٢ سنة ثم تبدأ فى الهبوط مع كبر السن حتى تصل أدنى معدل لها قبيل سن ٥٠ عاما (سن اليأس) .

فاذا ما تزوجت الفتاة صغيرة أمكنها انجاب عدد اكبر من الأطفال ، على عكس الثقافات التى تتزوج الفتاة كبيرة كاليابان مثلا حيث تنخفض الخصوبة ، ويقل الانجاب .

وبالمثل يمكن أن نستطرد مع باقى العوامل الاجتماعية لنستخلص فى النهاية أن هناك عوامل مختلفة تؤثر بشكل واضح على نمو السكان بالزيادة أو النقص .

(ج) حلول لخطر الانفجار السكاني :

لو قمنا باستخراج أهم الحلول التى تضمنتها آراء المفكرين والمصلحين من الاجتماعيين والاقتصاديين لأمكن لنا أن نحصر هذه الحلول فى أربعة يمكن أن تخفف كل منها منفردة أو مجتمعة من مشاكل تضخم السكان ، وقلة الموارد الغذائية وهذه الحلول هى :

- (أ) زيادة الوفيات .
- (ب) خفض نسبة المواليد .
- (ج) الهجرات من دولة مكتظة بالسكان الى دولة مخلخلة الكثافة مع توافر الموارد بها .
- (د) التنمية لانتاج المزيد من الموارد الغذائية .

والحل الأول غير ممكن لأنه ضد ارادة الحياة ، فلا أحد يجبذ ازدياد الموتى كحل ارادى لمشكلة الانفجار السكانى ، علاوة على أن كل المبادئ الانسانية ، والأديان السماوية الراقية تحرم قتل النفس دون ما جريرة « لا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم » « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » .

والحل الثانى المتمثل فى خفض عدد المواليد فهو أيضا حل مرفوض من جانب كثير من الثقافات والديانات : كالاسلام والمسيحية (أرثوذكس وكاثوليك) كما يعارضه الماركسيون لأن الفقر أو الجوع لا ينشآن نتيجة زيادة المواليد بل لسوء التوزيع فى الانتاج والخدمات . وحتى أكثر العلماء تشاؤما بالنسبة لنمو السكان والموجه الأول للمشكلات الناجمة عن نقص الغذاء وزيادة السكان وهو مالش لم يبح تحديد النسل وانما اكتفى بالموانع الايجابية المتمثلة فى البؤس ، والضوابط الأخلاقية المتمثلة فى تأخير سن الزواج مع الالتزام بالعفاف الخلقى . وعلى ذلك يتضح صعوبة تطبيق هذا الحل وان كان هو أكثر الحلول تأثيرا فى الاقلال من حدة هذه المشكلة بشكل مباشر وفعال . ومع ذلك فان بعض المجتمعات قد نجحت فى الأخذ به ، لكن تبقى المجتمعات التى تشكل جوهر المشكلة وأساسها وهى المجتمعات النامية مترددة ، ومعظمها رافض لهذا الحل والى أن يتم تقبلها للفكرة ، أو يتم الاتفاق دينيا على تسويتها ، فان هذا الحل سيظل دون الاساسى لمواجهة مشكلة التزايد السكانى فى العالم .

أما الحل عن طريق الهجرات الخارجية : فانه حل جزئى ، بمعنى أنه يمكن أن يخفف من غلواء المشكلة فى مجتمع ما . . لكن اذا نظرنا اليه نظرة كلية فان النتيجة واحدة ، الا لأن أعداد السكان فى العالم ، وان تم تنقلها من مكان الى آخر ، فان هذه الأعداد تظل باقية على حالها ومعدلاتها ، وسيظل أيضا انتاج الغذاء فى جملته كما هو فى العالم ، أو على أحسن تقدير ، سوف تصل غلة الأرض الى أقصاها بعد فترة من الزمن . هذا بالإضافة الى المعوقات التى تضعها الدول الآن على الهجرات والقيود المختلفة التى ترجع الى القوميات ، والسيادة ، والجنسية . . وعلى ذلك فان هذا الحل لا يحقق كل الغرض .

أما الحل الرابع : فهو أفضل حل يتواءم مع ظروف البلاد النامية ، خصوصا اذا بدأت بالتنمية الاقتصادية . . فالتحول من مجتمعات رعوية أو ريفية يحل الأسرة النووية الصغيرة العدد محل الأسرة الممتدة ، فى الوقت الذى يزداد فيه دخل الأسرة نتيجة تحول المجتمع ، مما يرفع من مستوى المعيشة . ونظرا لأهمية هذا الحل ، ومناسبته لأوضاع الدول النامية التى تتجسم فيها مشكلة الزيادة السكانية ، فسوف نفرده له — باذن الله — مؤلفا آخر يتناول هذه القضية بالدرس والتحليل . وسنكتفى هنا بدراسة موضوع الهجرة .

الهجرة :

تعتبر الهجرة عنصرا رئيسيا من عناصر الدراسة السكانية ، ذلك لأنها تعد — بعد الزيادة الطبيعية — المصدر الوحيد لتغير حجم السكان . واذا كانت الهجرة عاملا مؤثرا فى نمو السكان ، فانها تؤثر بالتالى فى تركيبهم وخصائصهم الاقتصادية والاجتماعية .

وهناك كثير من الأسباب التى تدفع الناس الى الهجرة ، والانتقال من مكان الى آخر بغية تحقيق بعض الأهداف أو اشباع بعض الحاجات التى يعز أو يتعذر تحقيقها أو اشباعها فى المكان الاصلى (المهاجر منه) ويتوقع المهاجر أن يبلغه فى المكان المهاجر اليه . بمعنى آخر هناك عوامل طاردة فى المكان القديم فى الوقت الذى تتوافر فيه عوامل جاذبة فى المكان الجديد ، وتتسم عوامل الطرد بعدم الرضا Dissatis faction من جانب بعض الأفراد عن بيئتهم الأصلية ، فيحفزهم ذلك للانتقال لبيئة أخرى أكثر ملاءمة .

أنواع الهجرة :

تنقسم الهجرة من حيث المدى الزمنى الى ثلاثة أنواع :

Life-time migration	(أ) هجرة دائمة
Temporary Migration	(ب) هجرة مؤقتة
Rhythmic Migration	(ج) هجرة دورية

كما تنقسم من حيث الاتجاه المكانى الى نوعين :

- ١ — هجرة دولية و أو خارجية .
- ٢ — هجرة داخلية أو محلية .

وأخيرا تنقسم الهجرة من عوامل الاجبار عليها الى :

- ١ — هجرة اختيارية .
- ٢ — هجرة اجبارية (تهجير) .

قياس الهجرة :

نظرا لتعدد أنواع الهجرة ، فان مقاييسها أى تقدير حجمها قد تعدد أيضا وعلى العموم فهناك عدة مقاييس يمكن بواسطتها التعرف على حركة السكان عن طريق الهجرات ، وتقدير حجمهم ، والتعرف بالتالى على المناطق الجاذبة ، والمناطق الطاردة وأهم هذه الطرق والمقاييس ما يلى (١) .

(١) سجلات الهجرة عن طريق جمع البيانات من جوازات سفر المسافرين والقادمين عند حدود الدول أو فى مطاراتها وموانئها ، وتتم دراسة الهجرة الدولية بناء على ذلك . وهى طريقة لأبأس بها وان كانت بعض الشوائب تعلق بها .

(ب) أما الهجرة الداخلية فيمكن تقدير حجمها واتجاهاتها بثلاث طرق تعتمد هذه الطرق على مصدرين أساسيين هما : التعداد — الاحصاءات الحيوية وهذه الطرق هى :

- ١ — طريقة محل الميلاد : ومصدرها تعداد السكان وتستخدم جداول محل الميلاد مقارنة بمكان الإقامة وقت التعداد (فالذين عدوا فى المنطقة (أ) مثلا وليسوا من مواليدها فانهم يعتبرون مهاجرين من الجهات التى ولدوا فيها

الى هذه المنطقة ، والذين عدوا في مناطق أخرى وكانوا من مواليد المنطقة
(١) هذه فانهم يعتبرون مهاجرين منها الى المناطق الأخرى التى عدوا فيها .
وتوضح هذه الطريقة معرفة تطور الهجرة الداخلية فى البلاد .

٢ — طريقة معادلة التوازن : وهذه الطريقة تعتمد على الاحصاءات الحيوية من
جهة ، وبيانات التعداد من جهة أخرى ، حيث يكون من السهل تقدير الزيادة
الطبيعية ، ومقارنتها بالزيادة الكلية فى الفترة التعدادية ، ويمثل الفرق
بينهما الهجرة الصافية سواء كانت موجبة (وافدة) أو سالبة (مغادرة)
فى المكان الواضح . ومن مصاعب هذه الطريقة أنها تتطلب توفر تعدادين
لا يفصلهما عدد كبير من السنوات ، كما أنها لا تتيح التعرف على مكان
القدوم لأى فئة من المهاجرين ، بالإضافة الى تسرب أخطاء الاحصاءات
الحيوية اليها(٢) .

٣ — طريقة نسبة البقاء : وبهذه الطريقة يمكن التعرف على حجم الهجرة علاوة
على خصائص المهاجرين مثل العمر والنوع . . وتعتمد على ما يعرف بنسب
البقاء ، أى احتمال البقاء لفوج من السكان فى فئة عمرية فى تعداد معين الى
التعداد التالى .

نتائج الهجرة :

ان التغير الذى يحدث فى حجم وتوزيع وخصائص السكان نتيجة للهجرة اثارا
واضحة تحدث فى منطقتى المغادرة والوصول ويمكننا ان نحصر أهم نتائج وآثار
الهجرة فى :

(١) عبد المنعم شوقي : « الاجتماع الحضرى » مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة

١٩٦١ ، ص ١٠٥ .

(٢) فتحى أبو عيانة : « جغرافية السكان » ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر

بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥١ .

(١) تغير حجم السكان :

وهو من أبرز نتائج الهجرة ، وتتضح ملامح هذا التغير في اتجاهين عكسيين يتمثل أولهما في زيادة عدد السكان في الأماكن التى تتم إليها الهجرة ، وهى الأماكن التى تتصف بمظاهر الجذب ومن أهم هذه الأماكن فى الوقت الحاضر المدن بصفة عامة ، خاصة عواصم البلاد ومناطقها الادارية . وتتفق معظم الدول النامية فى تلك الظاهرة والتى تبدو فى تدفق أعداد كبيرة من سكان الريف الى المدن ، وأدى ذلك الى ارتفاع معدل النمو السكانى بتلك المدن ارتفاعا يفوق متوسط معدل النمو فى البلد أو القطر . ولعل مصر تعطينا مثلا واضحا على ذلك حيث يصل معدل النمو السنوى فى حضرها أكثر من ٣٪ ويزداد ارتفاعا كلما كبر حجم المدينة وازدادت أهميتها الادارية (القاهرة ٤٥٪) الاسكندرية (٣١٪) أما المحافظات الريفية فان معدلها يتراوح ما بين ١٥٪ : ٢٥٪ سنويا . ومن المناطق التى يهاجر اليها الناس أيضا — بعد المدن — المناطق الزراعية حديثة العهد بالاستيطان وتؤدي الهجرة من مناطق معينة الى تناقص سكانها depopulation بسبب مغادرة الناس لها . وينتج عن هذا التغير عدة آثار مختلفة منها :

- ١ — الاحتكاك والتلاقح والتمثل والتكيف . . . الثقافى والاجتماعى .
- ٢ — زيادة الاتصالات ، وتقوية الروابط بين سكان الريف والمدن ، وانتشار الأنماط الثقافية عن طريق انتقال الناس بين المناطق المختلفة ، والتقليد والمحاكاة .
- ٣ — تحسن مستوى المعيشة ، الذى ينعكس على الأفراد والجماعات المهاجرة
- ٤ — الهجرة عامل فعال من عوامل تخفيف الضغط السكانى لمنطقة ما .
- ٥ — قد يتبع الهجرة الى الأماكن الجديدة بعض المشكلات الناجمة عن الضغط السكانى كمشكلات الاسكان ، وارتفاع الأسعار ، وازدحام المواصلات ، وصعوبة أداء المرافق لمهامها بكفاية ويسر .
- ٦ — اذا فشل المهاجر فى عملية تكيفه مع البيئة الجديدة المهاجر اليها ، فقد يؤدي به ذلك الى عودته الى موطنه الأصلى ، ولكن ذلك لا يتم عادة بسهولة نفسية واجتماعية واقتصادية ، لذلك يحاول هؤلاء الى الوقوع فى صراع نفسى وعدم استقرار قد يفضى فى النهاية الى انحرافات سلوكية .

(ب) تغير خصائص السكان :

بات من المعروف أن المهاجرين يتميزون بخصائص معينة بفضلها يمكن للمهاجر أن يتخطى صعوبات الهجرة ، ولهذا فإن أبرز سمة تميز المهاجرين هي الشباب والذكور منهم على وجه الخصوص . وتؤدي حركة الهجرة لهذه الفئة العمرية الى تغير خصائص السكان في كلا المجتمعين المهاجر منه ، والمهاجر اليه ، ويمكن التعرف على ذلك من خلال مقارنة الأهرام العمرية النوعية للسكان في كلا المجتمعين .

(ج) اختلاط السكان في المهجر :

من النتائج الهامة المترتبة على الهجرة ، اختلاط العناصر السكانية في المهجر ، مع ما يتولد عن ذلك من مشكلات عرقية ولغوية مختلفة سواء للسكان المهاجرين أو للسكان الأصليين ، ولا تخلو خريطة العالم السكانية من قبل هذه المشكلات التي تبرز بوضوح في مناطق الهجرات الكبيرة كأمريكا الشمالية ، وأستراليا ، وجنوب افريقيا . وقد سبق أن أشرنا الى مساوئ التفرقة العنصرية وآثارها المدمرة في الجزء السابق من هذا الفصل .

أما الاختلافات اللغوية فقد تؤدي الى مشكلات هي الأخرى في مكان الهجرة ، اذ تحاول كل فئة من السكان (الأصليين والنازحين) المحافظة على اللهجة واللغة الخاصة بها ، وتظل اللغة الأصلية للمهاجرين سائدة ربما الى جيلين أو أكثر ، ولا تهمل الا بعد الاندماج مع الأصليين في المدارس والجيرات ، وفي سوق الأعمال حيث يضطر الذكور الى التحدث بلغة المهجر السائدة حتى يتمكنوا من كسب عيشهم ، وعلى كل حال يستمر حفاظ المهاجرين على لغتهم الأصلية لفترة طويلة اذا كانوا يمثلون جاليات كبيرة ، وترتفع نسبتها بالنسبة للمهجر أما هجرة الأفراد والجماعات الصغيرة فانها لا تقو على البقاء طويلا ، وعليها أن تتمثل لغة المهجر حتى يمكنها البقاء فيه بسهولة .

على أن هناك لغات دخيلة أو أجنبية يمكن فرضها على بعض المجتمعات اذا ما وقعت هذه المجتمعات تحت نير الاحتلال أو الاستعمار الذي يسعى جاهدا لتثبيت الاحتلال وتطويل أمده كما حدث للدول التي استعمرتها انجلترا وفرنسا وغيرها .

(د) الجوانب الاقتصادية :

تتميز الهجرة بأن لها عدة نتائج وآثار اقتصادية لعل أهمها ما يلي :

١ — انتقال رؤوس الأموال والمساعدات المباشرة وغير المباشرة من بلاد المهجر الى البلاد المهاجر منها أو العكس . فالدافع الى الهجرة أسباب كثيرة من أولها الفقر والظروف الاقتصادية السيئة للمهاجرين ، وعندما تتم الهجرة ، ويفتح الله على المهاجر فائه لا ينسى أهله وذويه الذين يمدهم بالمساعدات المالية المباشرة ، أو غير المباشرة المتمثلة في اقراضهم أو اهدائهم بعض الحاجيات . وقد يرسل المهاجرون بالأموال لانشاء بعض المشروعات الاقتصادية أو الاسهام فيها في مواطنهم الأصلية .

٢ — تكلف الهجرة مناطق الاستقبال بعض الأعباء المالية والاقتصادية ، فقد تتعهد بعض دول المهجر بنفقات سفر المهاجرين (كاستراليا) أو اعداد المساكن والأراضى والخدمات الأخرى . أما اذا كانت الهجرة داخلية فانها تزيد من أعباء الدولة لتقديمها خدمات اضافية لملاقاة أفواج المهاجرين كالمدارس والمستشفيات والمرافق الأخرى .

٣ — تخطر المناطق المهاجر اليها باستقبال العناصر الشابة القادرة على العمل والتي تتميز بدرجة عالية من التعليم ، والتدريب والخبرة في مجالات المهن المختلفة وتسمى هذه الظاهرة (باستنزاف العقول Brain Drain) وبالتالي تفقد المناطق الطاردة وهى عادة المتخلفة (القطاعات الرعوية أو الريفية في المجتمع في حالة الهجرة الداخلية — والبلاد النامية في حالة الهجرة الخارجية) ثمرة غرسها باستمرار ، وتعانى من نقص العمالة المهنية الماهرة .

٤ — قد تكون الهجرة ذات نتائج ايجابية على المناطق المهاجر منها ، كتخفيف الضغط السكانى مما يترتب عليه رفع مستوى المعيشة بهذه المناطق ، كما يمكن أن تخفف البطالة المتوقعة بها .

٥ — تؤدى ظروف المعيشة القاسية ، والفقر الشديد الى هرب فقراء الناس والمعدمين منهم من المناطق التى يقاسون فيها من تلك الظروف (الريف في

الدول النامية) الى المناطق التي يأملون فيها حياة أفضل (المدن الكبيرة في ذات الدولة المتخلفة) ونظرا لحل هذه الفئات ، وانتقادهم للخبرة فانهم يكونون قطاعا هامشيا من سكان المدن ، ويترتب على وجودهم بالمدن العديد من المشكلات الاجتماعية .

الفصل الخامس

الثقافة Culture

يجمع معظم المفكرين الاجتماعيين على أن العلوم الاجتماعية تختص بدراسة الطبيعة ما فوق العضوية Super Organic ، مثلما تختص العلوم الطبيعية بدراسة البيئة غير العضوية Dis-Organic ، وتختص العلوم البيولوجية بدراسة البيئة العضوية (حيوان — نبات) ، ولا شك أن هذه الطبائع الثلاث (العضوية — غير العضوية — ما فوق العضوية) تمثل كل الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى من جميع جوانبه ، وبجميع مشتملاته ، وهى لكونها اجزاء الناموس العام للطبيعة الكونية ، فان بينها صلات ، وعلاقات متبادلة ، والانسان الذى كرمه الله ، وسخر له كل ما فى الكون المنتقسم الى هذه الطبائع الثلاث ، هو نفسه يشارك فى هذه الطبائع كلها ، وهو يؤثر فيها بعمله وعلمه وجهده وتعاونه مع أقرانه ، ويتأثر بما فيها (١) .

وتشند صلة الانسان بالطبيعة العضوية لأنه يشارك فيها مع الحيوان والنبات بصفاتهم كائنات حية وهو كذلك ينفرد بالطبيعة « فوق العضوية » لأنها البيئة الخاصة بالانسان باعتباره كائنا اجتماعيا ، بمعنى آخر فان الطبيعة فوق العضوية هى بيئة الانسان الاجتماعية التى تشمل كل ما خلقتة مهارة الانسان وابداعه ، وما يتطلبه تطوره الثقافى والحضارى ، وما يحتاجه ويلجأ اليه فى مختلف وجوه نشاطه الاجتماعى ويطلق على هذه الأمور التراث الثقافى الاجتماعى ، ذلك التراث الذى يقابل التراث الطبيعى والبيولوجى (٢) .

اذن فالثقافة انسانية ، بمعنى أن الانسان هو وحده المخلوق الذى يتميز بأن له ثقافة ، والثقافة الانسانية هى كل ما يقوم به المرء من أعمال ، وكل ما يؤمن به من اعتقادات وأفكار ، وكل ما يشعر به من صور وأحاسيس ، وكل ما تراكم لديه من

(1) H. Spencer, Principles of sociology, vol 1, clepter 1, 1874.

(٢) د . مصطفى الخشاب : « علم الاجتماع ومدارسه » « المدخل الى علم الاجتماع » ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون .

عادات وأعراف وتقاليد ، وكل ما يوجه سلوكه من علوم ومعارف وقوانين .. وعلى
الجملة هي كل تراثه ، وهي أسلوب وطريقة الانسان فى حياته .

وإذا كانت الثقافة من صنع الانسان ، ولا توجد ثقافة الا حيثما وجد المجتمع
الانسانى ، فهو (أى الانسان) خاضع لها وملترزم بها ، وهو يثنى عليها ويمجدها
ويحرص عليها ، وبإمكانه أن يضيف اليها .

ومما لا شك فيه أن ثقافة أى فرد تتوقف على ثقافة الفئة أو الطبقة الاجتماعية
التي نشأ فى كنفها ، وينتمى اليها (كالأسرة — أو الفئة المهنية التى ينتمى اليها ..) ،
وأن ثقافة الفئة أو الطبقة ، تتوقف على ثقافة المجتمع كله الذى تنتمى اليه تلك
الفئة أو الطبقة . وبناء على ذلك فان ثقافة المجتمع هي الأساس ، الذى منه تتفرع
ثقافات الفئات أو الطبقات فيه ، ومن ثم تصدر ثقافة الأفراد .

ولكن لا ينبغى أن نتصور أن هناك فردا يمكنه أن يمثل أو بالأحرى يحيط بجميع
أجزاء الثقافة ومكوناتها خصوصا فى المجتمعات الحديثة المعقدة ، فالثقافة الكاملة
لا يمكن أن تسبغ على أحد ، وذلك لتعدد وتشابك وتداخل أجزاء الثقافة الواحدة .
فنحن نعلم مثلا أن العلم بدون سلوك قوييم فهو حذلقة والسلوك المذهب بدون فكر
أو تعليم يجعل من الفرد مجرد آلة ، وأن القدرة الفكرية اذا جردت من الصفات الأكثر
انسانية لا تستحق الاعجاب ، الا كما يستحق ذكاء طفل معجزة فى لعبة « الشطرنج »
وأن الفنون بدون اطار فكرى زيف وخواء ، وإذا كنا لا نجد الثقافة الا مترابطة
ومتداخلة وأن كمالها لا يتحقق الا بهذا التساند والتكامل الجمعى لأجزائها ، فاننا
كذلك يجب الا نتوقع فى أى شخص واحد أن يكون كاملا فى جميعها (الثقافة) . واذن
نستنتج أن الفرد الكامل الثقافة هو محض خيال ، ولو استطردنا فى البحث عن
الثقافة الكاملة ، فاننا لم نجد لها فى الفئة أو الطبقة الاجتماعية — لأنها مكونة من افراد
غير كاملى الثقافة أيضا — ولكننا سنجد لها بعد التحليل الدقيق فى هيئة المجتمع ككل .
وهذه الفكرة كثيرا ما تغيب عن ذهن الناس ، فالناس يعتبرون أنفسهم مثقفين على
أساس اتقانهم لفن واحد أساس ، وبجانبه عدة أشياء أخرى مكملة له ، فى حين أنهم
يفتقدون فنون أخرى لا حصر لها ، ولكن لا يشعرون بهذه النواحي التى تعوزهم (١) .

(١) ت . س . س . اليوت « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » ترجمة شكرى عياد ،
وزارة الثقافة المصرية ، ص ٢٣ .

على أن الثقافة ليست هى المجتمع ، وليست هى فئاته أو طبقاته المكونين من أفرادها لكنها الصق بالمجتمع من الانسان الفرد الذى هو صانعها وتابعها ، على نحو ما كان يصنع الوثنى قديما تمثالا من « العجوة » ، ثم يأكله ويهضمه ويتمثله فى الدم ليصنع غيره من جديد أفضل منه . فالمجتمع كجماعة من الناس يصنعون ثقافة ، ولا يستطيعون الانفصال عنها رغم أنهم صانعوها ، وهذا ما أوضحه رالف لنتون عندما ميز بين الفرد والمجتمع والثقافة بقوله « ان كل لفظ من هذه المتغيرات الثلاث اسم لشيء مختلف ، ولكل منها خصائصه المميزة ، ودوره الخاص به فى الصورة الدينامية التى تتكون من الثلاثة معا : فالمجتمع أفراد منظّمون ، والثقافة طائفة منظمة من الاستجابات المكتسبة يتميز بها مجتمع معين ، والفرد كائن حى قادر على الشعور والتفكير والفعل بذاته .. لكنه مقيد فى استقلاله بالمجتمع وبالثقافة الذين ينمو فيهما (١) .

وبطبيعة الحال فان درجة تقدم المجتمع نحو التعقيد ، والتباين الوظيفى ، ترتبط ارتباطا عكسيا بتخصيص الثقافة ، بمعنى أن المجتمع البدائى أو شبه البدائى البسيط تميل الثقافة فيه الى العموميات ، أى يتبعها كل أفراد المجتمع ، ويميل أفراد هذا المجتمع البسيط الى الاحاطة بكل أجزائها أو معظمها فهو مشارك فى اقتصاد المجتمع وفى حروبه ، وفى فنونه وفى آدابه وفى معارفه بالاضافة الى عاداته وتقاليده ... وذلك لصغر حجم المجتمع وقيام أفراده بدور مؤسساته المتخصصة . أما فى المجتمع الحديث حيث كبر حجمه ، وتباين المهن ، نتيجة تقسيم الأعمال ، وقيام المؤسسات والمنظمات المختلفة فيه ، فان دور الفرد والجماعات الأولية ينحصر ويتضاءل ، ولا يدخل مشاركا فى كل أوجه الحياة — كما كان فى المجتمع البسيط — ولهذا تميل الثقافة فى هذا النوع من المجتمعات الحديثة الى « الخصوصية » حيث ينقسم هذا المجتمع الى آلاف من التقسيمات المهنية والطبقية والفئوية ، لكل منها نمط خاص يميزها عن الجماعات الأخرى داخل المجتمع الواحد (٢) .

وتمثل الخصوصيات جزءا كبيرا من ثقافات المجتمعات المتوسطة ، وهى فى

(1) Ralf, Linton, The Tree of culture, N. Y., 1962 pp. 29-32.

(١) المرجع السابق ، ص ص ٢٣ — ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩ .

الحقيقة عوامل مفرقة بين أجزاء المجتمع ، اذ أن كل جماعة تصبح لها شخصية مستقلة بفضل تلك الخصوصيات ، وعلى طرف نقيض نلاحظ أن العموميات .. تلعب دورا هاما في تماسك المجتمع وترابطه نظرا لشمول تطبيقاتها (١) .

✧ عناصر الثقافة :

تتمثل عناصر الثقافة في عدة أمور منها : اللغة — العادات — الأعراف — التقاليد — الفنون المختلفة — العلوم والمعارف — القانون — الرأي العام بالإضافة الى جميع النظم التى وضعها الانسان لتنظيم حياته فى المجتمع .

تعريف الثقافة :

يصعب ايجاد تعريف واحد محدد ، ومتفق عليه ، لهذا المصطلح البالغ الأهمية ولهذا فسوف نستعرض بعض التعريفات التى نرى أنها تعطى صورة واضحة لمضمون هذا المصطلح .

تعريف كروبير وكلاكهون : وهو تعريف يحظى بموافقة علماء الاجتماع فى الوقت الحاضر ، لأنه يعتبر صيغة تأليفية مقبولة فالثقافة — عندهما — تتألف من أنماط ، مستترة أو ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول ، عن طريق الرموز ، فضلا عن الانجازات المتميزة للجماعات الانسانية ، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة . ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية وكافة القيم المتصلة بها ، أما الانساق الثقافية ، فتعتبر نتاج السلوك من ناحية ، وتمثل الشروط الضرورية له من ناحية أخرى (٢) .

ويذكر هذان العالمان أنها قد توصلتا الى هذا التعريف بعد أن حللا ما يزيد على ١٦٠ تعريفا كتبت بالانجليزية قدمها علماء الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، وعلم النفس ، والطب النفسى وغيرهم وتبين لهما أن هناك تعريفات اهتمت بالحصص والوصف ،

(١) عبد الهادى الجوهري وآخرون : « دراسات فى علم الاجتماع » مرجع سابق ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢) محمد عاطف غيث : « قاموس علم الاجتماع » ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٤) Taglar, E. B., Primitive culture, London, 1871, p. 1.

بينما اهتمت أخرى بالطابع النفسى ، وتعريفات ثلاثة تاريخية ، ورابعة معيارية ، وخامسة بنائية وأخيرا تعريفات تطويرية (٢) .

تعريف العالم الانجليزى أ . ب . تايلور « الثقافة بالمعنى الانثوجرافى الواسع هى ذلك الكل المعقد الذى يشتمل على : المعرفة ، العقيدة ، الفن ، الأخلاق ، القانون ، العادات ، وكل المقومات الأخرى التى يكتسبها الانسان كعضو فى المجتمع (٤) .

تعريف ت . س . اليوت يقول « ان الثقافة هى طريقة حياة شعب معين ، يعيش معا فى مكان واحد ، وهذه الثقافة تظهر فى فنون الشعب ونظامه الاجتماعى وفى عاداته وأعرافه ، وفى دينه . ولكن اجتماع هذه الأمور لا يكون الثقافة . وان كنا كثيرا ما نتكلم — للتسهيل — كما لو كان هذا صحيحا . ان هذه الأمور ليست الا الأجزاء التى يمكن أن تنقسم اليها « ثقافة ما » كما ينقسم جسم الانسان بالتشريح ولكن كما أن الانسان أكثر من مجموع الأجزاء المختلفة المكونة لجسمه ، فذلك الثقافة أكثر من مجموع فنونها وأعرافها ومعتقداتها . . فهذه العناصر كلها يؤثر بعضها فى بعض ، ولكى تفهم واحدا منها حق الفهم يجب أن تفهمها جميعا ، وهناك درجات مختلفة من الثقافة . . ثقافات عليا تتميز — على العموم — بتباين الوظائف ، وثقافات أقل درجات تبعا لدرجة تقسيم العمل وتباين الوظائف فى المجتمع بحيث يمكنك أن تتكلم عن طباق المجتمع الأقل ثقافة ، والأكثر ثقافة وبحيث يمكنك أن تتحدث فى نهاية المطاف — عن أحد الأفراد على أنه ذو ثقافة ممتازة ، فثقافة الفنان أو الفيلسوف متميزة عن ثقافة العامل الزراعى وثقافة المهندسين أو المعلمين مختلفة عن ثقافة السياسى ، ولكنها تكون كلها فى المجتمع أجزاء من ثقافة واحدة مشتركة ، تميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات (١) .

تعريف ريموند فيرث R. Firth يقول « اذا نظرنا الى المجتمع على أنه يمثل مجموعة أفراد ، فان الثقافة طريقتهم فى الحياة ، واذا اعتبرناه مجموعة العلاقات الاجتماعية فان الثقافة هى محتوى العلاقات ، واذا كان المجتمع علاقات متبادلة بين

(١) ت . س . اليوت « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » (مترجم) مرجع سابق

ص ١٤٣ .

2 — R. Firth ; Elements of Social Organization, London, 1951, P. 27.

الأفراد والهيئات ، فان الثقافة هى المظاهر التراكمية المادية واللامادية التى يتوارثها الناس ويتناقلونها ، ويستخدمونها . والثقافة محتوى فكرى ينظم سلوك الانسان ، والثقافة من وجهة النظر السلوكية سلوك مكتسب ومتعلم ، وهى علاوة على ذلك تعتبر حافزا للأعمال والأنفعال (٢) .

أهم تقسيمات الثقافة :

من أشهر التقسيمات ذلك التقسيم الذى يفرق بين نوعين من الثقافة :

١ — ثقافة مادية ، وهى جميع المصنوعات التى صنعها الانسان ليتوافق مع بيئته .

٢ — ثقافة لا مادية : وهى جميع السمات الثقافية غير المحسوسة ، كالمعتقدات والأفكار والقيم ، والمعايير ، والمهارات الفنية ، واللغة والتى يمكن أن تنتقل من جيل الى جيل . ويفضل بعض علماء الاجتماع قصر استخدامهم للثقافة للدلالة على هذا الجانب اللامادى فقط ، بينما يميل آخرون الى قسمة الثقافة الى الجانبين المادى واللامادى .

ويرى بعض العلماء من أمثال تالكوت بارسونز ، أن هذا الفصل بين جانبى الثقافة فصل تعسفى ، ولا ينهض دليلا مقبولا على صحة الوقائع ، فكل اختراع أو فن تكنولوجى (مادى) ما كان ليظهر لو لم يكن قد سبقه تفكير نظرى فيه ، كما أن الاختراع (الماديات) يمكن أن يفضى الى أفكار ودراسات علمية لحل مشكلات الصناعة والتكنولوجيا وهكذا .

ومن بين التقسيمات تقسيم كلارك ويسلر C. Wissler (١) الذى قسمه الى تسعة أقسام رئيسية يمكن أن نجدها لو قمنا بتحليل ثقافة أى مجتمع ما وهى :

١ — طرق التعبير : اللغات — طرق الكتابة — والحركات المعبرة .

٢ — الفنون : كالنقش ، والرسم ، والنحت ، والموسيقى . والمسرح والسينما ،

٣ — الموضوعات المادية وتشمل :

(١) عادات الطهى وتناول الطعام .

- (ب) المسكن
(د) المهن والصناعات
(و) الأسلحة
(ج) الملابس
(هـ) العدد والآلات
(ز) النقل والمواصلات وطرق الاتصال الأخرى
- ٤ — المعارف : وتشمل الميتافيزيقا والفلسفة ، والعلوم ، والاساطير الشعبية .
- ٥ — الدين ويشمل :
صور الطقوس — كيفية معاملة الموتى — علاج المرضى .
- ٦ — النظم الاجتماعية وتشمل :
(١) تركيب الأسرة
(ب) صور الزواج
(ج) الميراث
(د) المعاملات
(هـ) الضبط الاجتماعى
(و) الألعاب والرياضة والتسلية .
- ٧ — الملكية ومنها :
(١) العينية والشخصية
(ب) طرق البيع والتبادل ومقتنات القيم
(ج) التجارة الداخلية والخارجية .
- ٨ — الحكومة : ومعها النظم السياسى ، القوانين والتشريعات واجراءاتها .
أيضا تقسيمات أخرى يركز كل منها على بعد معين ، فمن الممكن مثلا تصنيف الثقافة
- ٩ — الحرب .
ولم تكن تلك التصنيفات هي آخر الحديث عن تقسيمات الثقافة ، وانما هناك
إلى أنواع مختلفة بحيث تبدأ من أكثرها محسوسية الى أبعدا تجريدا (١) كما يلي :
- ١ — الأشياء المادية : كالمباني ، والآثار ، والعدد والأدوات المستخدمة من
جانب الإنسان ليتمكن التكيف مع البيئة .
- ٢ — الأنماط السلوكية : كالعادات والتقاليد ، وكيفية استخدام الناس للأشياء
المادية السابقة .

(٢) عبد الهادى الجوهري وآخرون : « دراسات فى علم الاجتماع » ، مرجع
سابق ، ص ٢٣ — ٢٧ .

(1) Alfred Mclung, L., Sociology, 3ed, 1969, pp. 210 — 211.

٣ — الأنماط العقلية : كالاتجاهات ، والعواطف ، والشعر ، والموسيقى ،
والنظافة ... الخ .

٤ — النظم الاجتماعية : كالأسرة ، والقانون ، والملكية ونحو ذلك .

٥ — الرموز : كاللغة ، والرسم أو الوشم ، والألعاب الرياضية .

٦ — المعتقدات الدينية ، والعلوم ، والفلسفات ، والسحر .

مميزات الثقافة :

يمكن في ضوء التعريفات السابقة ، والتصنيفات المشار إليها ، وما تقدم في
صدر استعراضنا لموضوع الثقافة أن نستخلص الصفات الجوهرية التالية التي يمكن
أن تتميز بها الثقافة في أى مجتمع بصفة عامة (٢) :

١ — أن الثقافة مكتسبة : بمعنى أن الفرد يتعلمها عن طريق التنشئة
الاجتماعية منذ مولده في أسرته ، ويستزيد اكتسابه لها كلما نما واتسعت
دائرة معارفه واحتكاكه بالآخرين في المدرسة والنادى وجماعات الأصدقاء
وجماعات المهنة أو الطبقة ، وعلى ذلك فإن الثقافة ليست فطرية أو
موروثة ، ولكنها في جملتها نتيجة للاختراع الاجتماعى ، وتنتقل من جيل
الى جيل عن طريق التعلم سواء كان مقصودا ، أو غير مقصود .

وفي ذلك تقول مارجريت ميد M. Mead (١) « ان الثقافة ...
سلوك مكتسب تنقله جماعة من الناس كاملا الى أبنائهم ، وينقلون جزءا
منه الى المهاجرين اليهم من الكبار الذين يقبلون الإقامة معهم في
مجتمعهم » .

٢ — أن الثقافة محددة لأنماط الحياة الاجتماعية في أى مجتمع .

٣ — رغم أن الثقافة تعمل على توفير سبل الحياة ، وتنظيم الحياة الاجتماعية بشكل يوفر لأفراد المجتمع ما أمكن من حاجاتهم المعيشية ، وطرق الحصول عليها إلا أنها تختلف في الوسائل المؤدية الى اشباع هذه الحاجات ، وفي شكل التنظيم نفسه ، فكل ثقافة مثلا : تعمل على توفير الأكل وطرق الحصول عليه للناس إلا أن ثقافة مجتمع ما تعتمد على الزراعة في ذلك ، بينما تعتمد ثقافة مجتمع آخر على الاستيراد ، وكذلك الحال في طريقة اعداد الطعام في كل ثقافة حيث نلاحظ اختلافها من مجتمع الى آخر ، وهكذا .

٤ — أن الثقافة انسانية : أى خاصة به ومن صنعه ، وهو حفيظ عليها .

٥ — تتأثر ثقافة كل مجتمع ، بالخبرات والظروف البيئية (الجغرافية والطبيعية والبيولوجية) وكذلك بالأوضاع الاجتماعية المحيطة بالمجتمع ، فثقافة البدوى مخالفة لثقافة الحضرى ، وثقافة مجتمع آخر كالقرية غير ثقافة مجتمع الصناعة وهكذا .

٦ — رغم أن كل مجتمع يجتهد في الحفاظ على ثقافته المميزة له ، فإن الثقافة عرضة للتغير بفضل ما تضيفه اليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم ومصطلحات لفظية وغيرها ، هذا وتختلف سرعة تغيرها من مجتمع الى آخر .

٧ — تنتشر الثقافات ، وتنتقل من مجتمع الى آخر عن طريق وسائل الاتصال المختلفة وعن طريق الغزو أو الاحتكاك الثقافى كما يحدث في حالة الايفاد للتعليم ، والابتعاث لدول اجنبية لاكتساب علوم أو مهارات فنية جديدة أو فى استيراد الكتب والمجلات العلمية أو عن طريق الاستعمار بأشكاله المتعددة .

٨ — الثقافة أكبر من مجموع أجزائها : فهى لا تدرك عن طريق تشريحها الى

عناصرها بحيث تفهم جزءا جزءا أو عنصرا عنصرا ، وإنما هى كل متماسكة لا يمكن فهمها الا جملة ، وهى بذلك أشبه بجسم الكائن الحى لو شرح الى أجزاء ، لما أمكن فهم طبيعته الحية ، وكيفية تلاحم هذه الأجزاء وأدائها لوظائفها بطريقة تنم عن حياة متكاملة فيها « روح حية » لا يمكن ادراكها بعد التشريح وعزل الأجزاء عن تركيبها الالهية .

٩ — اللغة كوسيلة للاتصال الرمزى تعتبر أساسا هاما من مكونات أى ثقافة كما أنها عاملا هاما يعمل على تراكم التراث الثقافى وزيادته ، وإمكان انتقاله من جيل الى آخر داخل المجتمع ، ومن مجتمع الى آخر ، وهى فى الوقت ذاته أساس هام فى عملية التنشئة الاجتماعية .

١٠ — الثقافة مجتمعية : بمعنى أن ثقافة المجتمع هى أساس ثقافة الجماعات ، وأن ثقافة الجماعات هى أساس ثقافة الأفراد (كما سبق التوضيح) ، وليس معنى ذلك أن كل عناصر الثقافة لابد وأن يتبعها كل أفراد المجتمع ، العناصر أو السمات يتبعونها أو لا يتبعونها . ولتوضيح ذلك فانه يمكن بل هناك ثقافات تتبعها فئات أو جماعات معينة فى المجتمع بينما لا تطبقها جماعات أخرى ، وما يقال عن الجماعات يمكن أن يقال عن الأفراد ، بمعنى أن بعض الأفراد فى المجتمع يمكنهم أن يجدوا فرصا لاختيار بعض القول بأن الثقافة يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام تبعا للفرد ، والجماعة ، والمجتمع وهى :

(أ) المتغيرات : وتعنى أمر ما ، أو موقف معين ، يمكن الوصول الى تحقيقه من خلال عدة طرق مختلفة ، لكن كل منها يوصل الى نفس الأمر ، ولل فرد الحرية فى أن يختار السلوك الذى يتفق مع ميوله وظروفه الخاصة : فمثلا : يستطيع المسلم فى المجتمع العربى أن يختار بين زوجة واحدة أو زوجتين أو ثلاث أو أربع فى اطار شروط معينة . ويستطيع الفرد أن يتعلم المهنة التى تناسب ميوله فهو يستطيع أن يكون طبيباً ، أو مهندسا أو تاجرا أو نجارا أو صانعا ما أو زارعا . . الى غير ذلك من المهن . وهنا يجب أن نلاحظ أن الفرد وان كان له الحق فى اختيار نمط السلوك الخاص به ، الا أن هذا الحق ليس مطلقا ، وإنما له حدود معينة تصنفها ثقافة المجتمع ، وتحدد اطارها . وتمثل المتغيرات الجانب الأكبر من أنماط السلوك لأى ثقافة .

(ب) **الخصوصيات :** وهى تمثل جزءا ليس بالقليل من ثقافات المجتمعات المتمدنة وهى فى الحقيقة عوامل مفرقة — كما سبق التوضيح — بين أجزاء المجتمع ، اذ أنها تسبغ شخصية خاصة على كل جماعة أو فئة داخل المجتمع الواحد ، اذ يوجد بفضلها أنماط خاصة من السلوك تميز كل جماعة عن غيرها ، فهناك مثلا : جماعات الطلبة ، جماعات الأطباء ، جماعات المهندسين ، جماعات العمال ، جماعات المحاسبين ، والصيادلة ، والمعلمين ، والضباط ، والفلاحين .. الخ ، وبطبيعة الحال كلما زاد حجم المجتمع ، زادت درجة تعقد العلاقات الاجتماعية فيه ، كلما كثرت التقسيمات الفرعية فى داخل المجتمع . ويؤدى ذلك الى تفكك المجتمع ، وعدم ترابط جماعاته لكثرتها وتباعد أهدافها ومصالحها الخاصة .

وربما كان انقسام المجتمع المتمدن الكبير الى فئات وطبقات مهنية واجتماعية وثقافية واقتصادية وتعليمية مختلفة لدرجة أن سكان المنزل الواحد فى المدينة قد لا يعرفون بعضهم البعض رغم معيشتهم لعدة سنوات متجاورين ومتقاربين فى ذلك المنزل ، ربما كان هذا الحال من ضعف الروابط الاجتماعية ، وتفككها ما حدا ببعض المفكرين الى التحذير من بغية تمزق الروابط الاجتماعية ، وتحولها الى روابط ثانوية ونفعية خصوصا مع التحولات والتغيرات الواسعة التى تطرأ على شكل المجتمعات بفضل عوامل التغير الاجتماعى والثقافى وأهمها التقدم العلمى والتكنولوجى وارتباط تقدم الصناعة بنشأة المدن وازدهارها مما يجعلها مناطق جذب شديد ، تغرى الكثيرين من السكان فى القطاعات غير الحضرية بالهجرة اليها لأسباب عديدة ، ومعنى ذلك بوضوح فى رأى هؤلاء المفكرين أن المجتمعات الانسانية بصفة عامة تقبل وتستقبل فى المستقبل مع زيادة نموها وكبرها ، ونمو القطاعات الحضرية بها على أنماط سلوكية مفككة للعلاقات الاجتماعية ، وذلك لأن جزءا كبيرا من ثقافة تلك المجتمعات المتمدنة تدخل فى الخصوصيات .

(١) ت . س . اليوت « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » : (مترجم) ، مرجع

وتأسيسا على ذلك حاول بعض هؤلاء المفكرين أن يجدوا وسيلة تحفظ للمجتمع تماسكه ، وتعيد اليه وحدته فيقول اليوت(١) بصدد حديثه عن وحدة الثقافة الأوروبية « ان القوة الرئيسية في خلق ثقافة مشتركة بين فئات اجتماعية ، أو بين شعوب لكل منها ثقافته المتميزة ، هي الدين » .

وبالتأكيد فان الدين في أى مجتمع هو الشيء الوحيد الذى يمكن أن يجمع كل فئات المجتمع على هدف واحد وعقيدة واحدة ، فمثلا الدين الاسلامى فى المجتمعات التى تدين به يعتبر وعاءا هاما ووحيدا ، تختفى فيه كل عوامل التفرقة والتجزئة والانقسامات الفئوية والطبقية ، فلا فرق بين غنى أو فقير ، ولا بين شريف أو حقير الا بالتقوى ، والجميع أمام شريعة هذا الدين سواء ، والدين فوق كل هذا هو الاطار الروحى الذى يريح الناس من مفسد الماديات ، فيقرب بينهم ، ويحضهم على التكافل والتقارب بين ذوى الرحم وصلات النسب وبين الجيران .. وتأسيسا على ذلك فان الدين — ولا شىء غيره — يمكن أن ينهض مجعنا لفرقاء المجتمع ، وأن يمسك عليه روابطه الاجتماعية قوية بين أفراد وجماعاته .

(ج) العموميات : وهى العناصر الثقافية التى يتبعها كل أفراد المجتمع ، ويعاقب كل من يخالفها ومن أمثلتها : القوانين ، ومنع زواج المحارم ، والقواعد الدينية خصوصا فى المجتمعات التى تطبق شرائع أديان معينة .

١١ — للثقافة جانبان : ثقافة مادية (الصناعة والتكنولوجيا) وغير مادية تتمثل فى العلاقات الاجتماعية المتمثلة بين الانسان بالانسان ، أو المتمثلة فى علاقة الانسان بالروحانيات والغيبيات والرموز .

١٢ — الثقافة متنوعة المضمون : فقد نجد تنوعا فى مضمون الثقافات قد يصل الى حد التناقض : فقد نجد أن أنماط السلوك التى يتبعها مجتمع ما ويعتقد أنها الفضيلة بعينها ، قد تعتبر جريمة فى مجتمع آخر يعاقب عليها قانونه .

١٣ — الثقافة متشابهة الكل : اذا كانت الثقافة متنوعة فى مضمونها لدرجة

التناقض — كما أسلفنا — فإن الإطار الخارجى لجميع الثقافات واحد ومتشابه ، مهما اختلفت الثقافات فى سلم التقدم الحضارى ، ففى كل ثقافة نجد أشكالا ثقافية واحدة مثل نظام العائلة ، اللغة ، الدين ، الفنون ، النظم الاجتماعية المختلفة .. الخ . والتشابه هنا ينصب على الشكل العام الخارجى للثقافات .

١٤ — الثقافة تراكمية : أى عملية نمو الثقافة وتطورها من جيل الى جيل حتى تصل الى شكلها الحاضر .

Cultural Lag

الهوة الثقافية :

يرجع الفضل الى وليم أوجبرن W. F. Dgburn فى ادخال هذا المصطلح الى علم الاجتماع حين طبقه على المجتمعات الغربية التى تتطور فيها أجزاء الثقافة المادية بسرعة تفوق معدلات تطور الثقافة اللامادية .

ويعنى هذا المصطلح تغير فى بعض جوانب الثقافة بمعدلات أسرع من تغير الجوانب الأخرى فيحدث تخلف لبعض العناصر الثقافية نتيجة عدم توازن عمليات تغير الثقافة ، نتيجة لاختلاف معدلات السرعة فى التغير وذلك مثلا كما يحدث بالنسبة لسبق التنمية الاقتصادية مع تخلف التنمية الاجتماعية وهنا يصدق المثل القائل « شبع بعد جوع » .

وقد تظهر بعد المشكلات الاجتماعية المرتبطة بالتفكك الاجتماعى الذى يظهر نتيجة التخلف الثقافى أو التناقض الثقافى كما يسمى فى بعض الأحيان .

وهكذا يتضح لنا أن الثقافة كل متكامل ومعقد تشتمل على عناصر مختلفة منها اللغة ، الدين ، العادات ، التقاليد ، الفنون ، القانون وبقية النظم الاجتماعية الأخرى ، وأن الثقافة شئ يميز كل مجتمع عن الآخر ، لأنها طريقة الحياة الخاصة بسكان كل مجتمع ، وأن الثقافة مجتمعة فى أساسها ، ولو أن هناك قدرا لحرية الفرد فى اختيار نمط الثقافة الخاص به ، وأن هناك ثقافة « خصوصيات » خاصة بكل فئة أو طبقة داخل المجتمع الواحد لزداد هذا اللون من الثقافة فى المجتمعات الأكثر تمدنا والأكبر حجما ، وأن الثقافة رغم اختلاف مضمونها من مجتمع لآخر ، فهى متشابهة فى مظهرها الخارجى فى كل الثقافات المجتمعية .

الفصل السادس

علم الاجتماع
نزيه

العمليات الاجتماعية

Social Processes

عندما ينشأ مجتمع ما — أيا كان نمط هذا المجتمع — تنشأ بين أفرادهِ وجماعته وهيئاتهِ ومؤسساتهِ علاقات اجتماعية متعددة الأشكال ، متشابكة الأنواع ، مركبة الأبعاد والألوان ، وهى من أهم ضرورات الحياة فى المجتمع .

والعلاقة الاجتماعية Social Relation يمكن تعريفها بأنها « نموذج للتفاعل الاجتماعى المتبادل بين شخصين أو أكثر ، ويمثل هذا النموذج أبسط وحدة من وحدات التحليل السسولوجى ، كما أنه ينطوى على الاتصال الاجتماعى الهادف والمعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر . وقد تكون العلاقة الاجتماعية ذات أمد طويل كعلاقة الزوج بزوجته ، وعلاقة الأب بأبنائه .. ، وقد تكون العلاقة ذات أمد قصير كعلاقة قائد سيارة برجل الشرطة الذى يريد اقناعه بعدم خطئه ، وكعلاقة البائع بالمشتري وعلاقة التحية فى طريق عام وهكذا . وقد تكون العلاقة مباشرة وواضحة ، وقد تكون غير مباشرة وغامضة ، فالأولى مثل العلاقات فى محيط الأسرة ، فى المدرسة ، فى المصنع ، فى دواوين الحكومة ، والثانية مثل علاقة المنتج بالمستهلك ، وعلاقة الفرد بالدولة . وأيضاً هناك علاقات تؤدى الى البناء والايجابية والتجمع تسمى بالعلاقات الجمعية (associative) ومن أمثلتها : التعاون ، الثقاف ، التوافق ، التكيف ... ، ومنها ما يؤدى الى الهدم والسلبية والتنافر والطلاق والحروب وما إليها وتسمى بالعلاقات المفرقة أو المفككة .

وينظر بعض الباحثين الى علم الاجتماع على أنه دراسة للعمليات الاجتماعية أى للتفاعل الاجتماعى ، ومن هنا تأتى أهمية دراستنا للعمليات الاجتماعية فى هذا الفصل ، وجدير بالذكر أن العملية الاجتماعية تعتبر نموذجاً للتفاعل الاجتماعى يمكن ملاحظته فى حدود فترة زمنية محددة ، ويمكن أن نسمى النموذج الذى يمكن ملاحظته فى فترة محددة مصطلح « بناء اجتماعى » Social Structure

Social Interaction

ويطلق بعض الدارسين على التفاعل الاجتماعي

(وهو تأثير متبادل بين سلوك الأفراد والجماعات من خلال عملية الاتصال) مصطلح التفاعل الرمزي Symbolic Interaction ، وذلك لأن التفاعل الاجتماعي يستند الى الاتصال ، كما ان البعض يرى أن الذات الانسانية قد تتفاعل مع نفسها ، فالشخص الذى يجلس فى مكان بعيد عن الناس ، ويفكر فى مشكلة معينة انما يمارس نوعا من التفاعل الذاتى (١) .

هذا ويشير الاتصال الى ضرورة تبادل الاتجاهات بين الأشخاص أو الجماعات لحدوث التفاعل الاجتماعى واستمراره ، وتعتبر الاتجاهات والقيم ، والأدوار الاجتماعية من أهم العناصر الضرورية للاتصال الاجتماعى (أى الطرق المختلفة التى يرتبط الناس خلالها بعضهم ببعض) ، ويرى كل من سمول A. W. Small ، وبرجس E. W. Burgess أن الاتصال هو الخطوة الأولى فى التفاعلات الاجتماعية التى تعتبر العمليات الاجتماعية نموذجا لها .

ونظرا لصعوبة دراسة العمليات الاجتماعية من جانب لأنها تتركز على تحليل العلاقات والروابط بين الأفراد والجماعات تحليلا دقيقا ، وتتبع أصولها فى مختلف مظاهر النشاط الانسانى ، ولأهمية دراستها بالنسبة لعلم الاجتماع من جانب آخر فسوف نتحدث عن أهم العمليات الاجتماعية السلبية (المفرقة) والايجابية (المجمة) .

اولا : العلاقات الايجابية (المجمة)

Co-opetation

١ - التعاون :

هو محاولة منظمة من جانب بعض الافراد للوصول الى هدف مشترك ، وهو عملية تجميع واتحاد ، وبناء وتدعيم ، نجده ببيولوجيا فى الصراع من أجل البقاء كسبب لبقاء الكائنات العضوية ، فلو كانت حياتها صراعا دائما لفنيت وقضت على بعضها

(١) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع : مرجع سابق ، ص ٤٢٧ .

البعض ، ولكن من وسط الصراع ينبت التعاون ، وقديما تعاون الناس لحماية أنفسهم من جور الطبيعة في فيضان أو حريق أو حيوان مفترس . . . ، هذا وقد تطور التعاون من هذا الشكل الغريزي التلقائي الدفاعي الى نوع أكثر تنظيما ورقيا هو التعاون الديمقراطي كما حدث بعد الحروب العالمية ظهرت رغبة الدول في تعاونها ومناهضة الصراعات والحروب فأنشأت عصبة الأمم أولا ثم هيئة الأمم المتحدة بوكالاتها المختلفة التي تقدم العون المادى والفنى ، وتعمل من أجل السلام فى العالم .

والتعاون عملية اجتماعية يرجع الفضل الى الأسرة أولا ثم الى البيئة الخارجية ثانيا فى ترويض الأفراد عليها ، والتعاون ولو أنه عملية اجتماعية الا أنه يستجيب مع بعض الدوافع الفطرية الكامنة فى الطبيعة الانسانية ، فالنفس الانسانية تنطوى على طائفة من الغرائز الغيرية بجانب انطوائها على الغرائز الذاتية ، وذلك قد يدلنا على أن حرص الانسان على تحقيق مصالح الغير لا يقل كثيرا عن حرصه على مصالحه الشخصية ، لأن الانسان كما يقول « آوم سميث » ولو أنه مسير بدافع المصلحة الشخصية ، الا أن النظام الطبيعى يوحى اليه بتحقيق مصلحة الآخرين وهو بصدد تحقيق مصلحته ، فالطالب الذى يجد فى دراسته يحقق تفوقا شخصيا لكن هذا التفوق يشد زملاءه الآخرين للتنافس معه علميا فيتقدمون علميا أيضا ، وبالتالي يجنى المجتمع كله من تفوقهم كلهم علميا لأنهم سيشغلون مناصب مختلفة فى الدولة . وكذلك الحال مع الشخص الذى ينادى برصف طريق يوصل الى بيته مثلا ، انما يحقق مصلحة للآخرين الذين سيستخدمون هذا الطريق المرصوف وهكذا .

أنواع التعاون :

للتعاون أشكال مختلفة من أهمها : —

١ — التعاون الدفاعى التلقائى : كتعاون أفراد المجتمع الذى حاقت به كارثة ، حيث يهب الناس متعاونين لدرأ هذه الكارثة والتخفيف منها ، دفاعا عن حياتهم وممتلكاتهم والغرض من هذا الشكل من التعاون هو المحافظة على بقاء الجماعة .

٢ — التعاون المتبادل : وهو الذى يمكن من التطور والارتقاء الانسانى .

٣ — التعاون الاختيارى : كإقدام البعض على إنقاذ غريق ، أو إطفاء حريق ،

أو التبرع لمساعدة الفقراء والمحتاجين ، أو ضحايا الحروب ،
أو المجاهدين .

٤ — التعاون القهرى الجبرى : وهو التعاون المفروض بحكم التنظيم : كما
هو الحال بين الموظفين فى نطاق عمل المصنع أو المؤسسة ، أو غيرها .

٥ — التعاون التعاقدى : وهو أرقى أشكال التعاون : وأكثرها تنسيقا وتنظيما
نحو بلوغ الأهداف الاجتماعية المشتركة : ومن أمثلته التنظيمات التعاونية
كالجمعيات الاستهلاكية ، والجمعيات الانتاجية ، والجمعيات الائتمانية .

٦ — تعاون محدود النطاق ، فى مقابل تعاون واسع النطاق : الأول هو
ما يقتصر على جماعة بعينها ، كمجتمع مصنع ، أو مجتمع محلى ، والثانى
ما اتسع نطاقه ليشمل مجتمعا كبيرا ، أو عدة دول وأقاليم ، أو حتى على
مستوى العالم .

٧ — التعاون المباشر والغير مباشر : ومن أمثلة الأول : تعاون جمع من العمال
مثلا على حفر ترعة ، أو رفع حمل ثقيل على شاحنة بمعنى أن المتعاونين
(العمال) يؤدون عملا واحدا ويحققون غرضا مشتركا . أما غير المباشر :
مثلا يؤدى كل فرد من المتعاونين عملا خاصا يختلف عن عمل زميله ،
ولكن هذه الأعمال الجزئية الخاصة التى يؤديها كل فرد تتجه فى النهاية
وتتركز نحو موضوع مشترك كما يتعاون مدرسو اللغة العربية ،
 والرياضيات ، والانجليزى ، والكيمياء ، والتاريخ وغيرها من العلوم
الآخرى فى تعليم تلاميذ مدرسة ما ، فبالرغم من أن عمل كل مدرس يختلف
عن الآخر ، الا أن هذه الأعمال فى مجوعها تتجه نحو قصد واحد .

ويرجع بعض الدارسين عملية التقسيم الى مباشر وغير مباشر الى التفرقة بين
المصالح المشتركة وبين المصالح المتشابهة أو المتماثلة : ففى الأولى يندفع الأفراد الى
التعاون بدافع تملكهم مع جماعاتهم ، وتمثلهم لقيمها ومثلها العليا كمصلحة الأسرة
أو الطائفة أو الدولة ، أما المصالح المتشابهة (الثانية) فالدافع فيها الى التعاون هو

توافق المصالح الفردية مع مصلحة الآخرين . ولهذا فهي ليست قوية مثل المصلحة المشتركة التى يشعر الفرد أن نجاحه فيها لا يكفى بل لابد من نجاح المجموعة كلها لأن المصلحة مشتركة وعامة بحيث يصعب تجزئتها ، فتعاون جماعة فى لعبة شد الحبل مثلا لا يحقق الهدف المشترك (الفوز) الا بنجاح كل المجموعة . فنجاح الجماعة هنا شرط لنجاح الفرد ، أما المصلحة المتماثلة فلو تعارضت المصلحة الذاتية مع المصالح المتماثلة فيمكن للفرد ألا يتعاون (كشركاء التجارة العامل وصاحب العمل ..) هنا التعاون مجرد توفيق بين مختلف المصالح (صاحب العمل والعمال) أما هناك فانه احساس بقيمة المجموعة المتعاونة ومثلها وتماسكها (١) .

دوافع التعاون :

١ — ترابط الجماعة وتماسكها ، اذ كلما قويت أواصر العلاقات بين أفراد الجماعة كلما أدى ذلك الى زيادة روح التعاون بينهم .

٢ — سيادة مبدأ تكافؤ الفرص والعدالة والمساواة بين الأفراد والجماعات ما أمكن ، وتذويب الفوارق بين الفئات والطبقات الاجتماعية ، كل ذلك يخفف من غلواء التنافر والحسد والبغضاء ، ويشق الطريق أمام التعاون ويعمل على زيادته وسيادته .

٣ — محاولة توحيد الأهداف المشتركة ، وجعلها معبرة عن آمال الناس ، ومعالجة لآلامهم حتى تلتقى ميولهم المشتركة ازاءها ، فيسود التعاون ، ويسعون اليه لأنه سيصادق رغبة لدى كل منهم .

٤ — سيادة علاقات القربى ، والصداقة ، والمشاركات الوجدانية .. وكلها علاقات تدفع الى التعاون بدافع المحبة والقبول والرضا .

٥ — قد تتحقق المصالح الشخصية من خلال المصالح العامة المتماثلة التى لا تتم الا فى اطار تعاونى يوفق بين مختلف المصالح ، ويوحد وجهات النظر لنفعة متبادلة .

واذا كان التعاون ايجابيا وبناءا ، واذا كانت الغلبة له على سائر عمليات التنافر والصراع بدليل ما أحرزته البشرية من تقدم وتطور ورقى ، واذا كان مطلبا نادى به الحكماء والمفكرين والمصلحين فى كل زمان ومكان ، الا أنه لا يصح أن يصبح

آليا يجعل العمل مجرد روتين ، والفرد مجرد ترس في عمله فتضيع مزايا الجهود الابداعية ، والابتكار الخلاق ، لقد بات واضحا أن التعاون المطلق في العمل الواحد يرد قيم الأفراد الى مستوى واحد ، فتحبط القدرات الخاصة ، وتقتل روح المنافسة والرغبة في الظهور والتفوق . ولذلك يجب أن يكون التعاون مقصورا على حدود مقبولة تفتح الباب اليه ، ولا تغلق في الوقت نفسه باب المواهب والقدرات الابداعية والخلقة .

Socialization

٢ — التنشئة الاجتماعية

عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية تفاعل يتم خلالها تمثل الفرد لمعايير وقيم وثقافة مجتمعه ، ليصبح متكيفا مع بيئته الاجتماعية . وقوام هذه العملية هو نقل التراث الثقافي والاجتماعي للإنسان من جيل الى جيل ، ويتم اكتساب الأفراد ذلك منذ ولادتهم وحتى تتكامل شخصياتهم الاجتماعية مع مظاهر بيئاتهم الاجتماعية .

وتعتبر الأسرة الوسيط الأول بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه ، وهي التي تكسبه اجتماعيته ، فتخلصه من ميول العزلة والأنانية ، وتشرف على سلوكه وتوجيهه وتلقنه لغتها ودينها ، وتقوده على الأخذ بما تقتضى به عاداتها وتقاليدها بمعنى آخر فان الأسرة هي المسئول الأول عن عملية ترويض الفرد لكي يكون كائنا اجتماعيا يستجيب لمؤثرات بيئته سواء كانت جغرافية أم اجتماعية ، ويخضع لأحكامها ونظمها ومعاييرها .

ثم تكمل الجماعات الأخرى التي ينتمى إليها الفرد كحلقات اللعب ، والصدقات والمدرسة ، وجماعات العمل المهنية وظيفية الأسرة في تنشئة الأفراد . ويرى « فيرتشيلد » أن المدرسة تلعب دورا أساسيا في عملية التنشئة الاجتماعية ، لأنها (أي المدرسة) أساس كل الجهود والاهداف التربوية المنظمة ، وهي التي تعطى اتجاهها محددا للعملية التعليمية .

ويخرج عن جادة الصواب من يظن أن عملية التنشئة تقتصر على عملية نقل التراث الى مواليد المجتمع وحسب ، وانما هي بالاضافة الى ذلك مسئولة عن تلقين الأفراد مبادئ العمل السوى كالايثار والتعاون وحب الآخرين والمجتمع ، بحيث

ينشأون متفهمين أن مكانتهم وقيمة عملهم تتحدان بما يسهمون به في تحقيق فلسفة المجتمع ، وأغراضه العامة ، فحقوقهم التي منحها إياهم مجتمعهم ، تستلزم منهم أن يؤدوا مقابلها واجبات . ان انسانية الفرد وحبه للخير العام ، والمبادئ البناءة تتوقف على مدى نمو الفرد في داخل الجماعات الاجتماعية المختلفة . ان كثيرا من العلل والأمراض الاجتماعية التي قد يعاني منها المجتمع ، ترجع في معظمها الى التنشئة الاجتماعية .

وعلاوة على ما تقدم فان التنشئة الاجتماعية وسيلة لزيادة تماسك الجماعة ، وطريقا الى اندماج الفرد في حياة الجماعة وتسهيل تكيفه الاجتماعى ، والتنشئة وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى* ، لانها تفرس في نفوس الأفراد القيم الاجتماعية ، وتجعلهم يشعرون بقدسيته ، ويلزمون بصياغة أعمالهم وفقا لها دون احساس بثقلها عليهم لتعودهم عليها ، ودون شعورهم بفقد حرياتهم الشخصية ، وبذلك يصبحون قادرين على التعبير الكامل عن رغباتهم وأمانيتهم بأسلوب يتفق ويتلاءم مع ما ترضيه الجماعة .

وقد يكون الشخص متكيفا اجتماعيا بالنسبة لجماعة ما ، وغير متكيف بالنسبة لجماعة أخرى حسبما نشأ عليه ، فقد نجد أشخاصا غير اجتماعيين بالنسبة لجيرانهم ، ولكنهم مثاليون تجاه من يعملون معهم ، وقد نجد زوجا صالحا ، ولكنه غير اجتماعى بالنسبة لرؤسياه والمخالفة في العقيدة والمبدأ توجب عدم المداهنة والمبالاة وهكذا .

Accommodation

٣ — عملية التكيف

هى عملية توفيق تقوم على التساهل والتحمل والتضحية من جانب الأفراد ، فكل شخص يتدرب على قبول النظم والأوضاع الاجتماعية ، ولو أدى ذلك الى تنازله عن جزء من مصالحه الخاصة ، فالتكيف عملية أخذ ورد ودين بين أفراد الجماعة ، وبذلك يحدث الانسجام والملاءمة بين الارادات الفردية المتصارعة ، أو بين الهيئات والجماعات المتعارضة في مصالحها الطائفية أو المهنية ، أو بين تقاليد قديمة وتقاليد مستحدثة .

(*) انظر الفصل الخاص عن الضبط الاجتماعى من هذا المؤلف .

وتلعب عملية التكيف دورا كبيرا في تسهيل قبول الانسان لظروف البيئة التي يعيش فيها ، ويصبح قطعة منها ، فلا يشعر بوطأة نظمها ، بل تتأصل هذه النظم فيه وتصبح من مقومات شخصيته . وترتكز عملية التكيف على وجود حد أدنى من التشابه بين الظروف الاجتماعية التي تواجه جميع أفراد الجماعة بحيث يستطيعون القيام بفاعليات مختلفة ولكن بحد أدنى من التصادم والتناثر . ويتضمن التكيف : تغيير في العادات والتقاليد والنماذج الثقافية المتصلة بها ، كما يؤدي الى تماسك الجماعة لأنه يقرب أفرادها من بعضهم ، ويقضى على الفتن والمشاحنات والتصارع في الجماعة .

وتظهر أهمية عملية التكيف بشكل واضح ، عندما تهاجر جماعة من بيئتها الأصلية الى بيئة اجتماعية أخرى مختلفة عنها في تراثها الثقافي ، ففى هذه الحالة تواجه الجماعة المهاجرة صراعا داخليا عنيفا بين التراث المتأصل فيها ، وبين أوضاع البيئة الاجتماعية الجديدة ، ويظل الصراع قائما الى أن يتم التكيف . وتختلف عملية التكيف باختلاف المستويات الثقافية والاقتصادية والامكانات المادية للجماعات المتقابلة ، فقد يحدث أن تهبط الجماعة المهاجرة عن درجة مدنيته إذا أرغمتها البيئة الجديدة على ذلك .

والتكيف نوعان : سلبى ، وإيجابى ، أما الأول ففيه يخضع الفرد للوسط الذى يوجد فيه (المناخ — الطبيعة — الثقافة) ويلعب هذا الوسط الدور الأهم في عملية التكيف إذ يلائم بمرور الوقت بين أمزجة الأفراد وأخلاقياتهم ويطبّعها بطابعه . أما الإيجابى فان تأثير الفرد فيه يكون أكثر وضوحا ، بحيث يقوم هذا الفرد بتغيير الوسط ومحاولة تسخيرهِ والتحكم فيه قدر الامكان وفقا لقدرات الفرد وثقافته .

علم الاجتماع

Assimilation

٤ — عملية التمثيل

استعار علماء الاجتماع هذا الاصطلاح من علم البيولوجيا إذ أن « التمثيل الغذائي » في هذا العلم تعنى امتصاص الجسم للعناصر الغذائية وتمثلها في أعضائه بحيث أصبحت من مكوناتها . وب نفس المعنى يستخدم هذا الاصطلاح في علم الاجتماع فهو يعبر عن عملية امتصاص وهضم الأفراد لعناصر ثقافية وحضارية ونظم اجتماعية دخيلة على تراث ثقافتهم الأصلية ، بحيث تنصهر العناصر الجديدة وتمزج بالعناصر الثقافية الأصلية ، وبذلك يتم تقبل الأفراد والجماعات لسمات ثقافية من جماعات

أخرى نتيجة للاحتكاك والاتصال الاجتماعى بينهم . وتتم هذه العملية بصورة تدريجية تطويرية .

ويعتبر التمثيل هو النتيجة التى تنتهى إليها عمليتا (الصراع والتكيف) وبمقتضى هذه العملية تتلاشى الاختلافات ، وتتوحد مواقف الأفراد ، وتتحقق وحدتهم ، وتصبح مواقف الجماعات غير المتماثلة متماثلة ، وتصبح الأهداف الذاتية واحدة بالنسبة للجميع ، فيشتركون جميعا فى مشاعر واحدة ، ويتجسدون حياة ثقافية واحدة .

والتمثيل كعملية اجتماعية ليس مقصورا على النواحي المتعلقة بالتراث الثقافى بل تسيطر على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية . فالزوج والزوجة يبدآن حياتهما الزوجية وهما غير متماثلين فى طباعهما وسلوكهما وعاداتهما ، وبمرور السنين يتم تماثلهما ويتحقق بينهما التماثل والتفاهم ، وتتحد مواقفهما بصدد الأمور التى تعن لهما ، وإذا تعذر تحقق التمثيل تعذر أن تقوم بينهما حياة زوجية موفقة ، وقد يتحقق أبغض الحلال الى الله بينهما فتفتك الأسرة .

وقد تبدو عملية التمثيل عملية سلبية أى تتم من جانب واحد ، بمعنى أن الفرد فى اندماجه بالمجتمع الجديد إنما يكون قد تقبل حضارة وثقافة غيره دون أن يضيف إليها شيئا من عنده أى أن الفرد سلبي يأخذ ولا يعطى . ويرى وليم أوجبرن أن هذا غير صحيح لأن الفائدة عادة ما تكون متبادلة مع اختلاف فى الدرجة فقط ، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن زنوج أمريكا قد أضافوا موسيقى الجاز مثلا الى الثقافة الأمريكية . ويقترب التمثيل من التكيف فى أنه عملية متبادلة التأثير ، ومن خلالها تقل الاختلافات الثقافية بين الجماعات تدريجيا الى الحد الذى لا تصبح معه هذه الاختلافات ذات أهمية اجتماعية .

وليس العمليات الاجتماعية المصممة هى كل ما ذكرنا ، ولكن هناك الكثير منها مثل : عملية التوافق البيئى Adaptation ، وعمليات التأقلم Acclimization ، والتثقف (اكتساب خصائص ثقافية جديدة) ، والاتفاق بشأن موضوع أو على مشكلة ما ، والتخصص ، والتدرج الطبقي الاجتماعى ، والزواج .. وغيرها وغيرها .

ثانياً — العلاقات السلبية (المفرقة)

Competition

١ — التنافس

التنافس هو سباق للحصول على شيء لا يتعادل العرض فيه مع كثرة الطلب عليه فمثلاً : تظهر المنافسة في بعض المجتمعات التي تتميز بوفرة في عدد الأفراد القادرين على العمل ، ولكن فرص العمل المتاحة بهذا المجتمع أقل كثيراً من أن تستوعب كل هؤلاء الأفراد فيها .

والمنافسة موجودة في كل مجالات الحياة ، فنجدها في مجالات العمل وتكسب لقمة العيش ونجدها في مجالات الدراسة والدارسين ، ونجدها تتعدى ذلك الى أشياء أقل أهمية كالوصول على القوة والنفوذ والمراكز والجاه والصداقة والشهرة والحب ، كما تتجه المنافسة الى أمور تتعلق بالألعاب الرياضية ، والتسلية ، والنشاط الاجتماعي .. الخ .

والتنافس عملية محببة الى النفوس ، لأنها تؤدي الى اطلاق القوى الكامنة في الأفراد واعمالاً لقدراتهم المبتكرة والخلاقة ، واستغلالها في أكمل صورة ، ويعتبر التنافس منشطاً للقوى والامكانيات ، دافعاً الى الرقي والازدهار مادام في حدود المعتول أما اذا خرج عن حدوده انقلب الى صراع مخيف ، ويظل التنافس عملية ايجابية سليمة العواقب ما دامت ذات هدف واحد يخدم الجماعة ، وينبع من تطلع الأفراد نحو الأجود والافضل ، ومن موازنة أنفسهم بغيرهم ، أما اذا انقلب التنافس ليحقق أهدافاً فردية دون التزام بقيم الجماعة وأخلاقتها ومصلحتها ، وأصبح منبعاً للشقاق والتفرقة حينئذ يصبح عملية سلبية مفرقة .

ولكى يؤدي التنافس وظيفته الاجتماعية يجب أن يكون بين قوتين متعادلتين ، لأن عدم التعادل والتكافؤ بين المتنافسين يؤدي الى انتصار الأقوى ، وإخراج الضعيف من الميدان دون مقاومة تذكر ، فإذا كان المهزوم فرداً ، فإن الهزيمة تقل قوته وتقضى على معنوياته ، وإن كان جماعة ، كمصنع أو شركة تجارية أو ناد أو غيره ، فإنه يترك الميدان فسيحاً للمنافس القوي الذي قد يحتكر الميدان ، ويتحكم في مصائر الناس بالمجتمع . وفي كلا الحالتين (الفرد أو الجماعة) يخسر المجتمع كثيراً .

والتنشئة الاجتماعية مسئولة عن دفع الأفراد الى التنافس — كما انها مسئولة عن تعاونهم كما سبق التوضيح — وذلك وفقا للعادات والاتجاهات والقيم التى تكسبها للأفراد ، ففى مجتمع كأمریکا مثلا وغيره نجد أن التنافس على أشده لجميع الثروات بينما نجد أن أفراد قبائل داكوتا من الهنود الحمر كانوا يتنافسون فى انفاق ثرواتهم ومن العار عندهم أن يموت الواحد منهم غنيا (١) .

أنواعه :

تنقسم المنافسة — تأسيسا على ما سبق — الى نوعين :

(أ) منافسة انشائية : اذا كانت وسيلة لتنشيط القوى والقدرات والامكانات واستغلالها على خير وجه ، يعود على المتنافسين بالصالح العام ، ويستلزم هذا النوع من المنافسة التعاون وتنسيق الجهود والتضامن بين أفراد الجماعات المشتركة فى المنافسة على نحو ما نشاهده فى المباريات الرياضية ، ويجب أن يتم هذا النوع من المنافسة فى مستويات اجتماعية متقاربة فى قوتها ، حتى يكون احراز انتصار لأحد الفريقين المتنافسين ، هو انتصار نسبى ، لا يوقع ضررا بالغا بالطرف المهزوم وانما ينمى المهارات والقدرات .

(ب) المنافسة الهدامة Destructive : اذا كان هدف المتنافسين أن ينجح على حساب خسارة الآخر أو هلاكه ، وهنا يتحول التنافس من اسعاد المجموع ، وتساوى فى الرضى عن الانجاز والتحصيل ، الى صراع التفوق ، أو الاستئثار بالمركز المرموق ، أو الاستعلاء على الآخرين ، وهو استعداد موجود لدى الكثيرين فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع ، حيث يلقى أحد المتنافسين ثقله فى الموقف ، فيتحول الانتباه من الهدف الى الأشخاص .

وقد يكون شكل المنافسة الهدامة صريحا ظاهرا كما فى حلبة الملاكمة مثلا ، أو

(1) Ogburn & Nimcoff, A. Hand book of Sociology p. 241.

مستترا ودفينا ماكرا اذا استخدم أحد أطراف التنافس الألاعيب الخبيثة ، والغش والخداع وغيرها من الطرق الدنيئة للخلاص من الخصم .

والتنافس — على أى حال — ينطوى على عنصر العداوة حتى فى حالاته السوية لأنه يترك خصومة مكبوتة بين أطرافه ، ولأن مضمون المنافسة مرتبط بفكرة فهو أحد المتنافسين والحكم على الغريم بالهزيمة ، اذا تحقق للخصم الفوز فى حلبة المنافسة ، ومعنى ذلك أن طبيعة المنافسة تتضمن بذور الانحراف عن الصورة السوية للعلاقات الاجتماعية .

٢ — الصراع Conflict

هو تصادم بين القوى الاجتماعية ، وهو تعبير عن نضالها ، ويحدث فى المجتمع نتيجة تحول المنافسة من سوية انشائية الى مظهر متطرف هدام ، وعندئذ يقذف المتنافسون بكل ما فى حوزتهم من قوى وامكانات للقضاء على غريمهم ، ويتبعون فى ذلك أهواءهم الجامحة ، ويحكمهم مبدأ تنازع البقاء ، والبقاء للأقوى ، وغنى عن البيان أن المجتمعات فى هذا المجال تضرر قسما كبيرا من الطاقة الانسانية والمادية نتيجة هذه الصراعات .

ومظاهر الصراع كثيرة ، فقد يحدث بين شخصين أو بين جماعتين أو بين طبقتين وقد يتسع نطاقه فيقوم بين الدول والشعوب . وقد يكون الصراع مباشرا ، ووجهها لوجه ، وقد ينمو فى الخفاء ، ويتخذ مظاهر غير مشروعة كالقتل والاغتيال ، وتدبير الدسائس والمؤمرات ، ويوجد الصراع كذلك فى مختلف شئون الحياة الاجتماعية حيث نجده فى : الاقتصاد والسياسة والدين والمعايير الأخلاقية والطبقات الاجتماعية والمهنية ...

ويرى ماكيفر وبيج (١) أن جوهر الصراع نشاط الشخص نحو الآخر أكثر منه نحو الهدف فالصراع ينشأ عادة نتيجة لتعارض المصالح ، ولتأصل الأنانية والذاتية وتغليبها على الغيرية ، ورغم أن المجتمعات الحديثة تخلصت من صور الصراع الهمجية

والبربرية التى تعوق حركة نموها وتقدمها ، الا أن كثيرا من صور هذا الصراع لاتزال توجد — وان حدث لها اعتلاء — فى الثقافات كالتقاضى أمام المحاكم ، والحروب ، والمنافسة الاقتصادية الغير متعادلة ، والجدل والمناقشة الساخنة ، والدعاية الرخيصة ... الخ .

وينقسم الصراع عندهما الى مباشر : كاعتداء الأفراد بعضهم على بعض الى حد استخدام العنف والقوة ، ومنع الخصم من الوصول الى تحقيق غايته أو هدفه ، وغير مباشر يتمثل فى سعى كل فرد أو فريق الى تحقيق مصلحته ، واعاقة تحقق مصلحة الآخرين خصوصا اذا كان الهدف واحد لكلا الطرفين كالوصول على جائزة مالية ، أو وظيفة ، أو ممارسة تجارية ... الخ .

وينتهى الصراع عادة بالتعاون اذا كان بين قوتين متعادلتين ، لأن كل منهما يسأم من استمرار فترة الصراع ، ولا يستسيغ الخسائر التى يتكبدها من جرائه فترة طويلة ، فتكون النتيجة امكن الوصول الى حلول وسطى ، وتقريب وجهات النظر بين المتصارعين . أما اذا كان الصراع بين طرفين غير متكافئين فان النصر سيكون فى صالح الأقوى .

وقد تؤدى صراعات الحروب بين الدول الى تقوية النظم الداخلية لكل منها ، وتماسك الأفراد والجماعات وتضامنهم بصورة أقوى مما كان عليه الحال قبل الحرب ، وذلك لأن نصرة دولتهم ستكون هدفا مشتركا تلتقى عندها اتجاهات الناس وآرائهم ، وضرورة تعاونهم وتكتلهم لدفع أخطار الحرب ، والتصدى لما يحدثه من آثار تدميرية .

ثالثا : المبادئ العامة التى يمكن استخلاصها من دراسة العمليات الاجتماعية :

ان ناقوس الحياة والكون قد جمع بين الأضداد والمتناقضات فهذا نهار أبيض ، وذاك ليل أسود ، هذا شتاء بارد ، وذاك صيف حار ، هذا غنى وذاك فقر ، هذا طويل وذاك قصير وهكذا الحال فى الحياة الاجتماعية التى ذكرنا ونكرر أنها جزء من الطبيعة الكونية . ففى العمليات الاجتماعية نجد منها الايجابى المجمع ، ونجد منها السلبي المفرق ، نجد التعاون ونجد الصراع ، وقد يفضى كل منهما الى الآخر .

فمن الأهداف ما يجعل الفرد أو الجماعة متعاوناً أحياناً ومتنافساً أخرى . وتفرقت آراء الاجتماعيين بين من أبرزوا مبدأ الصراع من أجل الحياة والبقاء للأصلح ، وبين من حمل لواء التعاون ، والعون المتبادل .

على أن الثنائية في العمليات الاجتماعية (التعاون والصراع) لم تكن جامدة ، أو أن سيادة أحدهما لفترة بين شخصين أو جماعتين أو مجتمعين هي دائماً كذلك ، وإنما يمكن الانتقال من هذه إلى تلك تدريجياً وخلال مدة زمنية قد تطول أو تقصر ، وقد دعا هذا بعض المفكرين إلى قبول فكرة التصنيف الدائري للعمليات الاجتماعية وقسموها إلى خمس مراحل هي :

- | | |
|-------------|-------------|
| ١ — التعاون | ٢ — التنافس |
| ٣ — الصراع | ٤ — التوافق |
| ٥ — التماثل | |

وأن كل مرحلة يمكن أن تفضى لما بعدها ، ويبرز هذا التصنيف أن العمليات الاجتماعية وإن وصفت بأن بعضها مجمع ، وبعضها الآخر مفرق ، إلا أن التفاعل الاجتماعي قوامه العمليات الموجبة المجمة وكذلك العمليات السالبة المفرقة ، وأنه لا عملية خير أو شر في ذاتها ، فكلما يقول كولي (١) أنه كلما أمعنا النظر تبين لنا أن الصراع والتعاون ليس شيئين منفصلين ، بل هما وجهان لعملية واحدة مطردة تنطوي على كليهما باستمرار ، ذلك أن الناس لا يمكن أن تتوافق مصالحهم تمام التوافق ، وحتى تلك الجماعات التي ترتبط فيما بينها بأقوى الروابط ، لا يمنع ذلك من حدوث المشاجرات والتصادم والصراع (كما قد يحدث ذلك بين أفراد الأسرة) .

وقد تكون صورة الصراع أكثر ظهوراً في الحياة العملية لأنه يتم في صورة ظاهرة ومكتشوفة في أغلب الأحيان ، ولأنه صورة انحرافية في حياة الإنسان ، فإنه كثيراً ما تسلط عليه الأضواء لاستخلاص العبر والعظات من أسبابه ونتائجه . أما التعاون فيتم في صمت وهدوء وانكار للذات . ومع ذلك فإن العمليات المجمة (التعاون — التوافق — التماثل ...) أقوى وأبقى من العمليات المفرقة (الصراع والتنافس) .

بدليل بقاء المجتمعات الانسانية وتقدمها .

وهكذا في ضوء دراستنا لهذه العمليات بنوعها يمكن استخلاص المبادئ التالية : —

١ — ان الناس في كل مكان يناضلون من أجل تحقيق أهدافهم ، اما بالاشتراك مع الآخرين عن طريق التعاون أو النضال ضدهم (الصراع) ، ولا يوجد جماعة أو مجتمع فيهما تعاون أو تصارع كاملين ، والأهداف اذا كانت نادرة يصبح طابع السلوك تنافسيا ، واذا كانت وفيرة يصبح طابع السلوك تعاونيا ، وتساعد عملية التنشئة الاجتماعية في ايمان الأفراد بالتعاون أو التنافس .

٢ — العمليات المجمة هي أساس التكامل والاستقرار والرقى ، والتنافس يشحذ همم الأفراد الخلاقة ، بينما الصراع يعتبر من دعائم الحركة الاجتماعية والتطور .

٣ — هناك توازنا بين فاعلية كل من العمليات الاجتماعية المجمة ، والمفرقة على حد سواء ، وبينهما تأثير متبادل وكلها تفاعلات ونماذج للتفاعلات الاجتماعية الضرورية للمجتمع .

٤ — الصراع له صفة الاستمرار ، فهو متقطع ، بينما التنافس مستمر ، وهاتان العمليتان تشجعان تقسيم العمل ، والتخصص والتمايز الطبقي والمهني والاقتصادي .

٥ — سيادة علاقات القربى والصداقة والعاطفة في المجتمع تؤدي الى التعاون ، ويتسع نطاقه ، وبالعكس فان الأفراد والجماعات تتنافس وتتصارع اذا كانت علاقاتهم تقوم على الحقد والحسد والغيرة .

الفصل السابع

الضبط الاجتماعى Social Control

يستحوذ موضوع الضبط الاجتماعى على اهتمام طائفة كبيرة من علماء الاجتماع ويحتل مكانا بارزا فى مؤلفاتهم ، نظرا لأنه يمس صميم الاجتماع الانسانى ، ويتصل بتنظيم العلاقات بين الفرد وجماعته ، وبين الجماعات وبعضها البعض من جانب ثان وبين الجماعات والمجتمع من جانب ثالث .

ويتمثل هدف الضبط الاجتماعى فى النظام Order الذى يحظى بالقبول أو الموافقة من جانب المجتمع ، ومن انتظام التفاعلات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وجماعاته ، بما يحفظ عليه استقراره ، وتماسكه ، واستمراره ، كما يهدف الى تدعيم القيم الاجتماعية ، وعدم الانحراف عن معايير المجتمع ، ومتواصفاته وسننه الاجتماعية .

ويستخدم مصطلح الضبط الاجتماعى للإشارة الى أن سلوك الفرد وتصرفاته محدودة بالجماعات التى ينتمى إليها ، وبالمجتمع الكبير الذى يعتبر عضوا فيه ، أما الوسائل التى تكفل امتثال الأفراد لقواعد الضبط فهى ميكانيزمات ذات طبيعة اجتماعية ، فالمجتمع يفرض عن طريق وسائل الضبط قيودا منظمة ومتسقة نسبيا على سلوك الأفراد ، بهدف مسيطرة فعل كل فرد فيه للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية فى أداء الجماعة أو المجتمع (١) .

وعلى الرغم من أن قوانين المجتمع تعتبر قواعد آمرة — بمعنى أن كل فرد مطالب بالالتزام بها — الا أنها ليست حتمية فمن الممكن أن يخرج عليها بعض الأفراد (وفى هذه الحالة قد يلقى الجزاء المناسب) ومن الممكن تغيير تلك القواعد ، ومن الممكن أيضا أن تكون نسبية فى تغيير معيارية هذه القواعد من منطقة الى أخرى داخل المجتمع الواحد الكبير .

(١) د . محمد عاطف غيث : « قاموس علم الاجتماع » مرجع سابق ، ص ٤١٨

وقد تكون قوانين المجتمع وتنظيماته ممثلة لمصالح طبقية ، أو وضعت لخدمة أغراض لفئات خاصة لها مكائنها في المجتمع ، ولهذا يسمى الأفراد الى الخروج عليها .

وتأسيسا على ذلك فان تنظيمات المجتمع وقوانينه — طالما كان بالامكان الخروج عنها — فان المجتمع بأجهزته المختلفة يعمل بكل قوة ليمارس حقه في ضبط كل من تسول له نفسه الخروج عليها .

الضبط الاجتماعي مطلب فردى ومجتمعى :

كل فرد ينتمى الى جماعة وربما لعدة جماعات في المجتمع ، فهو عضو في أسرة . وعضو في نادى ، وعضو في جمعية ما ... الخ . ومهما تعددت الجماعات التى ينتمى اليها الفرد ويتفاوت مركزه في كل منها ، فهو يحاول في معظم الأحيان أن يكسب اعتزاز بعضها به ، وثقتها فيه . فانتفاء فرد لجماعة يجعله يتبنى قيمها ومعاييرها ، وقواعد السلوك الخاصة بعضويتها ويحرص كل الحرص على ضبط نفسه قولاً وعملاً وفق قيم هذه الجماعة ومثالياتها ، ومع مرور الزمن وتمسكه بجماعته وقيمتها ، ومثالياتها في الفكر والآراء ، يتعود الفرد على ذلك ، وتصبح قيم ومعايير ومثاليات تلك الجماعة مستبطنة في نفس الفرد داخل ذاته بمعنى آخر تصبح «لا شعورية» أى يؤديها دون ما احساس بتقييدها لحريته ، أو ثقلها على نفسه ، وبذلك تحل في ضميره ، ويصبح الضمير عندئذ بديلاً للجماعة في الرقابة على الفرد .

واذا كان الضبط يمثل حاجة فردية تتطلب الاشباع ، فهو أيضاً حاجة مجتمعية ، لأن كل مجتمع لى يبقى ويستمر مستقراً في نظمه وأوضاعه كان عليه أن يحدد القواعد والنظم والقيم والمعايير التى يتحدد بها سلوك أفرادها ، حتى لا تصبح الحياة فيه ضرباً من الفوضى والانحرافات . ولهذا نجد في كل مجتمع تنظيمات مختلفة تراقب من يحاول العبث بالقانون والتقاليد والعرف والدين والأخلاق .. التى وضعها المجتمع وقد تكون هذه التنظيمات رسمية أو غير رسمية ، ووظيفة هذه المنظمات الضبط الاجتماعي ولديها جزاءات بالثواب أو العقاب ، الاستحسان أو الاستهجان بدء من التخلص نهائياً من المنحرف المجرم في حق المجتمع بالاعدام مثلاً أو السجن .. حتى محاولة الاقتناع والارشاد) .

فالفرد المنتمى الى الجماعات يسعى لكسب ثققتها به من ناحية ، والمجتمع يسعى الى تدعيم النظم الاجتماعية لضمان تماسكه واستمراره ، وهكذا يتضح لنا أن الفرد فى حاجة الى الضبط الاجتماعى ، كما أن المجتمعات هى الأخرى فى حاجة اليه .

طرق الضبط الاجتماعى :

عرفنا أن الضبط الاجتماعى يهدف الى استتباب نظم المجتمع المختلفة ، بحيث يسلك الأفراد وفق محددات هذه النظم ، والتي يتفاعل الأفراد داخل نطاقها ، دون ما اخلال أو خروج عليها . وقد أشرنا الى أن نظم المجتمع وقوانينه يمكن تغييرها كما أنها ليست حتمية أى يمكن لبعض الأفراد أن يخرجوا عليها فى بعض الأحيان — اذ لا يخلو مجتمع من انحرافات وقد يكون هذا الانحراف فرديا عندما ينحرف فرد فى سلوكه عن معيار الجماعة المنتمى اليها ، وقد يكون هذا الانحراف جماعيا عندما تنحرف جماعة بأسرها عن معايير المجتمع التى هى جزء منه (يعتبر الفرد داخلها عضوا ممثلا لثقافتها الخاصة ، والتي تعتبر منحرفة بالنسبة للمجتمع) وكما تنمو الجماعات المنحرفة عن طريق ضم أفراد جدد اليها ، فان الفرد المنحرف يعمل من جانبه على تكوين جماعة انحراف (١) .

وقد يحدث الانحراف اما لعوامل ثقافية ترجع للابتعاد عن معايير السلوك المتوقع اجتماعيا واما لعوامل نفسية ترجع لابتعاد الأفراد عن تكامل الشخصية ، وليس كل صور الانحراف منبوذة أو غير مرغوب فيها ، فالزعامة والبطولة والعبقرية ، والرهبة تمجد ويحترمها الناس ، غير أن ذلك يقتصر على أفراد قلائل يبدو أن نمط شخصياتهم ، وظروف مجتمعاتهم هى التى تلعب الدور الأكبر فى الاعتراف بعظمتهم وانجازاتهم بدلا من النظر اليهم على أنهم منحرفون (٢) .

مجل القول أن خروج بعض الأفراد أو الجماعات على نظم المجتمع ، شئ ممكن ، وتخيرنا مشاهدتنا وتجاربنا على أن الانحراف له مظاهر فى كل مجتمع أيا كان هذا المجتمع . فهل يقف المجتمع مكتوف اليدين أمام العابثين بنظمه ، والخارجين على

(١) د . كمال دسوقى : الاجتماع ودراسة المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ ، ص ١٣٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٣٨ .

قيمه ومعاييره ؟ بالطبع لا يقبل أى مجتمع بالتسليم للانحراف ، لأن معنى ذلك إشاعة الفوضى ، وقضاء على تضامنه واستمراره . إذن كيف يتصدى المجتمع لمن يخرج عن قواعد الضبط ؟ والسؤال بعبارة أخرى ما هى الطرق التى يتبعها المجتمع للضبط الاجتماعى ؟ .

طرق الضبط التى يمارسها المجتمع هى :

اختلف علماء الاجتماع فى تحديد الوسائل التى يتبعها المجتمع لتنظيم سلوك أفراد وجماعاته وتعميم هذا التثبيط Conformity داخل المجتمع بأكمله ، فمنهم من قال أنها أربع عشرة وسيلة هى (١) :

١ — رأى العام	٢ — القانون
٣ — الاعتقاد	٤ — الأيحاء الاجتماعى
٥ — التربية	٦ — العرف
٧ — الدين	٨ — المثل العليا
٩ — الشعائر	١٠ — الفن
١١ — الأدب	١٢ — التثقيف
١٣ — التوهم	١٤ — القيم الاجتماعية

ويقسم البعض طرق الضبط تقسيما آخر فىرى الدكتور كمال دسوقى — أنها ثلاث طرق رئيسية هى : **التنشئة الاجتماعية ، والضغط الاجتماعية** التى تفرض على الأفراد للزامهم بالتوافق وهذه الضغوط قد تكون رسمية كالقوانين واللوائح والاجراءات ، والدعاية والمكافآت والعقوبات ، وقد تكون غير رسمية كاستحسان والاستنكار ، الشاء أو اللوم أو النبذ من عضوية الجماعة . والثانية : **هى استخدام القوة** حين لا تجدى الطريقتان الأولىتان (٢) .

ويرى ابن خلدون أن وسائل الضبط الاجتماعى تشتمل — فى رأيه — على : الدين ، القانون ، الآداب ، الأعراف ، والعادات ، والتقاليد ، والمثل العليا (٣) . وليس نخاف أن الدين الاسلامى بالذات يشتمل على القانون ، لأنه لا يقتصر على العبادات فحسب ولكنه يهتم بتنظيم الحياة حقوقا وواجبات بين الناس وبعضهم ، واهتم بالمعاملات على أسس شرعية من الواجب أن يحكم القضاة بمقتضاها فى

المجتمع الاسلامى (٤) .

والحقيقة أن الدين الاسلامى به كل القيم الاجتماعية Social Values التى تكفل سلوكا قويا لكل ألوان الشعوب والمجتمعات ، وفى كل وقت من الاوقات ، والاسلام الى جانب ذلك مصدر التشريع ، فهو قانون سماوى أحصى كل صغيرة وكبيرة بمنتهى الموضوعية والعدالة الالهية التى لا تفرق بين أمير وخفير ، أو غنى وفقير ، ولا يجاهل ولا يخجل ولا يخاف رهبة أو رغبة ، فقانون السماء ثابت مستقر لا يأتيه الباطل ، « لا يظلم ربك أحدا » . وتعاليم هذا الدين الحنيف هى بذاتها قواعد التربية ونهج هذا الدين أيضا يكون ما يسمى بالرأى العام Public opinion والأعراف والتقاليد الاسلامية الراسخة ، وفى سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وسنته أفضل المبادئ والمثل العليا « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة . . . » وهكذا نتبين أنه فى المجتمع الاسلامى لا تكون هناك حاجة الى تعدد مصادر الضبط ، والغوص طويلا وراء أقوال الاجتماعيين حول أنواع هذه الطرق أو عددها ، لأنه مهما اختلفوا فى ذلك فانه لا خلاف عليها فى المجتمع الاسلامى لأنها جميعا راجعة الى مصدر واحد حق هو الشريعة السمحاء ، وعنه تنبثق كل هذه الفرعيات ، مثلما تنبثق ألوان الطيف عن مصدر واحد أصيل للضوء (الشمس) .

ومع ايماننا بأن الاسلام — يشتمل على جميع مصادر الضبط الاجتماعى ايا كانت تقسيماتها وأشكالها ، فان الأمر يستلزم أن نشير الى أهم عوامل الضبط ، وایضاح كيفية اعتبارها محددات لسلوك الأفراد والجماعات . وسوف نتناول هذه العوامل من جانبين :

الأول : ونعنى به الضوابط الرسمية ، وهى تلك التى تمارس من خلال نظم

(١) انظر (١) Edwar Ross, Social Control, N. Y., 1901.

(٢) كمال دسوقي ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون — تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ، ص ٥١٣ .

(٤) انظر « عوامل الضبط الاجتماعى عند ابن خلدون » بكتاب الدكتور حسن الساعاتى : علم الاجتماع القانونى ، طبعة ثالثة ص ص ٢٥ ، ٢٦ .

المجتمع المختلفة : كالنظام الدينى ، والنظام القانونى ، والنظام التربوى ، والنظام
الأسرى ، والنظام الاقتصادى والضريبى ... الخ .

الثانى : ونعنى به الضوابط غير الرسمية ، ومن أمثلتها نقل الأخبار « القيل
والقال » ، نشر الفضائح ، المجادلة ، الاقتناع ، الاستحسان والاستنكار ، الثناء
أو اللوم التهديد بالحرمان والحرمان ، نبذ الخارج على الجماعة (١) ، ويوجد هذا
النوع من الضوابط بشكل واضح فى الجماعات الأولية Primary Groups كالأسرة ،
وجماعات الأصدقاء والتجمعات السكنية البسيطة التركيب كالقرى ، والمجاورات
الصفيرة Neighbourhood فى المدن وضواحيها شبه الحضرية المأهولة عادة بسكان
مهاجرين من القرى . وسوف نتناول بالدراسة والتحليل بعض هذه الضوابط فى كلا
النوعين .

علم الاجتماع

أولا : نظم المجتمع كطرق للضبط الاجتماعى الرسمى :

١ - الدين :

يعتبر الدين من أقوى وسائل الضبط فى المجتمعات ، وهو من الوسائل الرسمية
ذات التأثير العميق والمحدد للسلوك فى تلك المجتمعات التى تطبق شرائع دينها تطبيقا
دستوريا ، بمعنى أن حكومات تلك الدول تطبقه فى جميع مجالات العمل والحياة كما
هو الحال مثلا فى المملكة العربية السعودية التى تطبق الشريعة الإسلامية ، وكذلك
الباكستان .

ويعتبر الدين من الوسائل الغير رسمية فى المجتمعات العلمانية أو الدول التى
تطبق قوانين وضعية خاصة قد تتفق أو لا تتفق مع دين الدولة المعلن أو غير المعلن فى
دستورها . ويعتبر الدين وسيلة رسمية فى المؤسسات والهيئات والجمعيات الدينية
المختلفة فى المجتمعات العلمانية أو التى لا تطبق شريعة دين ما ، حيث أن هذه
المؤسسات والهيئات والجماعات تكون مقيدة لأعضائها بضرورة اتباع التعليمات الدينية
الخاصة بها .

(1) Anderson & parker, Society, Its Organization and operation,
van Nostrand, East-west ed. 1966, pp. 410-421.

ولا يوجد بين النظم الاجتماعية ، نظاما يمكن أن يصل الى قوة الدين ، ومبلغ تأثيره العميق في حياة الفرد والجماعة على حد سواء ، وبالتالي في التمكين لاستقرار المجتمعات وأمنها ، ونقص بالدين هنا — لا الأديان السماوية الراقية وآخرها الاسلام — فحسب ولكن الدين بالمفهوم العام الواسع ، فلكل دين أيا كان قواعد وتعليمات ملزمة كان لها في المجتمعات البدائية ، والمجتمعات القديمة قوة الضبط وتحديد السلوك . وترجع قوة الدين — الضابطة التي لا تعدلها قوة أخرى في المجتمع الى الأسباب التالية :

١ — ان التدين سمة طبيعية نشأت بنشأة المجتمعات الانسانية ، فلكل مجتمع منذ اقدم العصور دين ، ولقد وجد الدين في كل مكان ، فالحياة البدائية لاية جماعة لم تخلو من اعتقادات وممارسات لأحد الأديان ، ولم يثبت منذ الانسان الأول أنه وجد زمن ما بلا دين ما لانسان هذا الزمن . حقيقة أن اثبات نشأة الدين في الزمن ربما يصعب ذلك كما يقول روث بندكت في كتابه (الأنثروبولوجيا العامة) لأن النظم الأخرى يمكن تتبعها رجوعا الى حاجات الانسان البيولوجية التي يمكن الكشف عنها في الحفريات وعلم آثار ما قبل التاريخ واللغات القديمة ورواسب الثقافات والسمات المميزة للأجناس ... الخ . أما الدين فمن الصعب أن يتحقق باحث حديث من وجود أصل له في حياة الانسان القديم . وربما هذا ما دعا بعض المفكرين من أمثال كيلر وسومتر الى افتراض أن الدين واحدة من الوسائل الهامة التي يسعى الانسان بها الى التكيف مع بيئته ، وقد صنفا البيئات الى ثلاث : طبيعية — اجتماعية — غيبية . والأخيرة وان كانت فوق مستوى الادراك لكنها أساسية لتكيف الانسان ، ورضائه بالحياة في البيئتين الأخريتين (الطبيعية والاجتماعية) .

٣ — ان الدين عقيدة وإيمان يترسخ ويثبت في الفرد منذ الطفولة عن طريق الاكتساب من الأسرة والمجتمع ، وتنمو القيم والمشاعر الدينية كلما أقبل الفرد على التمسك بها ، ولهذا يصبح الدين في المجتمع بمثابة القلب من الجسد . وطالما أن الأفراد والجماعات يؤمنون بالدين يظل التدين سلاحا قويا للضبط ، واحترام الدين وتمكنه من عقول وقلوب الناس أضفى على قوته الدينية منزلة سامية . ومهما قيل عن ضعف الوازع الديني بحكم التيارات المادية والمدنية الزائفة ، فان الدين سيظل من أهم وسائل ضبط

السلوك ، وتقويم الخلق ، وتربية الضمير .

٣ — ان الانسان متدين بطبعه حتى ولو لم يصله هاد أو بشير ، اذ يجمع كل علماء الأديان على ذلك ، وان اختلفوا فيما بينهم فيما يتعلق بنظريات أصل الأديان ، فمنهم من رد أصول الديانات الأولى الى النظام التوتمي Totemism . ومنهم من ردها الى عبادة مظاهر الكون الطبيعي . كالشمس والقمر والكواكب والنار والأشجار ... الخ) . ومنهم من ردها الى الأرواح والأشباح والملائكة والآلهة وهؤلاء أصحاب النظرية الحيوية (كونت — سبنسر — تايلور . .) ، ويميل الكثيرون الى تغليب عبادة الطبيعة وما حوته لأن خشية الانسان من المجهول ، وضحالة معلوماته عن أسرار الكون المحيط به ، وحاجته الى الطمأنينة في حياته ، وحبه للبقاء كل هذه الحاجات الاجتماعية النفسية هدته الى التدين .

٤ — ان سلطة الدين ، فوق سلطة القانون الوضعي الذي يملك توقيع العقوبات وتقرير الجزاءات لأن سلطة الدين الروحية أقوى بكثير من سلطة القانون وأحكامه ، فان الانسان قد تحدثه نفسه بارتكاب الجرائم والاثم ، وقد لا يقع تحت طائلة القانون اذا ما أحكم تدبير الجريمة واخفاء دلائلها . ولكنه لن يستطيع أن يفلت من عدالة الله ، ولن يستطيع أن يفلت من وخز الضمير ، وسوف يقتص منه ان لم يكن في الحياة الدنيا فسيكون في الحياة الآخرة . وهكذا تدس السلطة الدينية بفضل ما تفرضه من أوامر الهية ووصايا قدسية دعائم استقرار المجتمع وسلامه .

٥ — ان الدين سيظل الى أن تقوم الساعة له من الاحترام والجلال والقدسية في علم اليوم المعاصر الذي يهوج بالاكشافات العلمية ، وقوانينها ، والتكنولوجيا وما تقدمه من رفاهية وعمارة الأرض (والدمار في بعض الأحيان) ، سيظل للدين نفس منزلته في نفوس الناس ، حقيقة ان سلطان العلم اتسعت رقعته ، وخضع الكثير من عالم المجهول في الكون الى هذا السلطان ، ولا زال هذا السلطان تقوى شوكتة ، وتتسع مستعمراته مما كان في عالم الغيب ، والمجهول لعلم الانسان ، وقد بهر العلم بسلطاته بعض الناس لدرجة أنهم ظنوا أن العلم باستهدائه لما كان غيبا في الماضي

سيتخلص من سلطان الدين ، وفات هؤلاء أن الدين محتفظ وسيظل محتفظاً بأسرار العلة الأولى ، وستظل الحدود بين عالم المعلوم الذى خضع لسلطان العلم وبين عالم الملامع الذى سيظل الكثير منه مجهولاً ويختص به الدين . لأن العلم كلما اقتحم باباً مجهولاً ، كلما توغل فى صحرائه وسيبقى الحال هكذا الى أبد الأبدى ، اذ عندما يظن أهل الأرض أنهم يعلمونهم أنهم أصبحوا قادرين على كل شئ فيها ، سيأتى أمر الله « حتى اذا ظن أهلها أنهم قادرون عليها آتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً ... » .

٦ — ان الدين يمثل نمطاً منظماً من الثقافة ، يستطيع به الفرد أن يواجه ويتغلب على المشاكل لا فى الحياة الدنيا وحدها وانما فى الحياة الآخرة : فشرعية ولادته ونسبه ، وتعليمه العبادات والمعاملات ، كالزواج والطلاق والمواريث ، والحث على الصبر والقناعة ، والتسليم بالقضاء والقدر . . . كلها أمور محددة للسلوك والأخلاقيات الفاضلة ، ولهذا فالإيمان يدفع الفرد الى جسر الأمان والطمأنينة والاستقرار ، لذا يقوى الوازع الدينى عند الشدائد والشعور بالمخاطر ، فعندما تأزف الألفة ، فليس لها من دون الله كاشفة .

واذا كانت هذه اسباب قوة الدين ، ومبلغ تأثيره فى الضبط المجتمعى ، فما بالك فى الدين الإسلامى — دين الله — الذى جمع بين تنظيم شؤون الحياة الدنيا ، وبين النعيم المقيم فى الحياة الآخرة ، وأوضح الحدود ، وحدد الجزاءات ، ودعا الى الجد والاجتهاد بالحسن ، وعلى الجملة يمكن القول بأن الفضائل والقيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية تصدر كلها من نبع واحد هو الشريعة السمحاء ، ومن ثم لا يقع الفرد المسلم فى مهاوى الاختلافات بسبب تعدد المصادر كما فى المجتمعات غير الإسلامية .

٢ — القانون :

يعتبر القانون أقوى مظاهر الضبط المجتمعى ، وهو يهدف الى استقرار التنظيمات الاجتماعية ، وتقدير علاقات الأفراد ببعضهم ، وهو ملزم للفرد والجماعة والحكومة ويمتاز بوضوح بنوده ، وجزاءاته محددة بدقة كبيرة .

ان تقسيمات القانون ذاتها أكاديمية الى قانون دستورى وادارى وجنائى ودولى وبحرى وتجارى ونحو ذلك دليل على أن القانون كعلم اجتماعى قد تضمن تنظيم جميع أنواع العلاقات بين الأفراد والجماعات والدولة ، ولم يترك أى علاقة الا وقد وضع لها كل ضوابط الحقوق والواجبات .

وتعتبر الدولة هى المسئولة عن فرض قوانينها ، وهى المخولة وحدها فى توقيع الجزاءات ويمكنها استخدام القوة كالجلد والرجم والسجن والاعدام ... الخ . وكلما تعقد المجتمع ، وازدادت هيئاته ، وتعددت جماعاته ، وكثرت مؤسساته كلما علا صوت القانون ، وانخفض تبعاً لذلك قوة التواضعات والسنن الاجتماعية ، فالقانون كما يقول دوركايم يعكس شدة التضامن الاجتماعى الذى هو وظيفة أساسية للحكومة قبل حفظ الأمن والعمل على استتبابه .. والقانون أصبح سمة المجتمعات المعقدة الحديثة .

فالقوانين فى نظر كثير من علماء الاجتماع تعبير عن ارادة الامة ، واعرافها وتقاليدها وسننها الاجتماعية ، ولذلك ينظر الى هذه الأمور على أنها من مصادر القانون ويرتبط القانون بكثير من الظواهر الاجتماعية الأخرى ، فهو أيضاً صورة حية لتاريخ الأمم وصدى للظروف الاجتماعية والتاريخية .

وموجز القول أن القوانين تضمن حماية الفرد مصالحه وحرية ، وفى الوقت نفسه تحرم على الفرد أن يطفئ على حرية الآخرين ، وبذلك يقضى القانون على الصراعات بين الناس ، ويجمع ميولهم ونزواتهم الطائشة ، فينعم الجميع بالعدالة والأمان . ويكفى أن نعلم أن القانون هو الوسيلة الأولى التى تهدف الى عملية الضبط الاجتماعى ، فموضوع الضبط هو غاية القانون الأساسية وربما الوحيدة ، وذلك بخلاف الوسائل الأخرى التى تسعى الى تحقيق غايات أخرى قد يكون الضبط فى مرتبة تالية من حيث ترتيبه فى سلم أهداف تلك الوسائل ، فالدين مثلاً يهدف الى فوز الانسان المتدين بالجنة ، والسعادة فى الدارين .. والانسان فى سبيل فوزه برضا المعبود ، عليه أن يطبق تعليمات وقواعد الدين ، المنظمة لحياة الفرد وعلاقاته بربه والناس فيحدث انضباط الأفراد داخل اطار تلك القواعد الدينية . والمدرسة مثلاً تهدف الى تربية الأفراد لد المجتمع بأعضاء متعلمين صالحين للعمل فى مجالات الحياة المختلفة ، وتوسيع مدارك الطلاب ، وزيادة معارفهم . وتأتى عملية الضبط من خلال

أن المدرسة جهاز للتنشئة وغرس القيم الفاضلة بالنسبة للمجتمع . . وهكذا فيما يتعلق بباقي أجهزة الضبط الأخرى .

٣ - التعليم :

يتم التعليم الرسمي في مؤسسات المجتمع أى في مدارس ومعهده وجامعاته . . الخ . ومن هذا المنطلق فهو أداة ضبط رسمية ، فعن طريق المؤسسات التربوية يتعلم الأفراد المعارف المختلفة ، وتنمو معلوماتهم حتى تصل الى أدق التخصصات العلمية التى تشمل كل ميادين العمل والحياة ، وفيها يتم التثقيف اللازم ، والمدرسة تعمل على تدعيم التنظيم الاجتماعى والعمل على استقرار الأوضاع السياسية .

وتقوم المدرسة في ظروف المجتمع المستقر بتحقيق دورها العلمى والتعليمى بحيث يطفو هذا الدور أعلى أدوارها الأخرى . وفي ظروف المجتمع غير المستقر والذى يعانى أو يخشى أن يعانى من هزات سياسية ، أو تغيرات اجتماعية ، فان المدرسة تعدل من أدوارها بحيث تدعم من ركائز البناءات السياسية الجديدة ، كما تبذل جهدا للاسهام فى تقبل التغيرات الجديدة وتساعد فى تمثيلها ، فبفضل التعليم يمكن غرس المبادئ الجديدة ، والقيم المراد استحداثها فى نفوس المتعلمين عن طريق تعديل مقررات الدراسة ومناهجها ، وبذلك تحقق المدرسة الى جانب العملية التعليمية جانبا اعلاميا ، وتثقيفيا وتقوم بدور المبادل والمقنع بالفلسفات المجتمعية الجديدة .

ونظرا لهذا الدور الخطير الذى تؤديه المؤسسات التعليمية والتربوية فى تكوين شخصية الأفراد ، وفى ترسيب المفاهيم التى يراها التنظيم الاجتماعى القائم (الحكومة) فان جميع البلاد على مختلف اتجاهاتها ومذاهبها تحرص على تدخلها فى رسم سياسات التعليم وتراقب برامجها وتخطط لمناهجها ، كما أنها تدقق فى تعيينها لأعضاء هيئة التدريس واختيارهم لأن عن طريقهم يلحق الطلاب المعلومات ومشاعر الأساتذة وعواطفهم واتجاهاتهم .

وخلاصة القول أن المؤسسات التعليمية بمقدار ما هى وسائل للتغيير الاجتماعى بمقدار ما هى أيضا وسائل هامة لضبط السلوك ، وتوجيهه نحو غاية المجتمع .

٤ — الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية :

تقوم الأسرة كنظام اجتماعى وفق محددات اجتماعية معترف بها من المجتمع ، ونظرا لأهمية دورها فى حياة الأفراد والمجتمعات فقد تدخلت الأخيرة لتقنن نظام الأسرة ، فرغم أن الأسرة تقوم فى أساسها على اتفاق بين شخصين أحدهما ذكر والآخر أنثى للدخول فى معيشة مشتركة . . ، إلا أن المجتمعات حتى أكثرها تطرفا لم تترك لكل راغبين فى تكوين أسرة أن يكوناها حسبما يحلو لهما ، وإنما يتم التدخل لضبط عملية التكوين هذه ، وتنظيم العلاقة بين الزوجين وما قد ينشأ عن هذه العلاقة من أولاد ، وحددت خطوات ، ووضعت مراسيم ، وأوجبت أن توثق كل أسرة بعقد شرعى ، وأعلان رسمى ، وكل علاقة تتم خارج هذا النظام المجتمعى لا ترتب حقوقا لطرف على طرف ، كما يؤاخذ طرفيها ، وينظر اليهما على أنهما منحرفين يستحقان جزاء يتناسب ودرجة هذا الانحراف عن قيم المجتمع وقوانينه .

ومن أهم وظائف الأسرة التناسل ، حيث أودع الله سبحانه وتعالى غرائز الأمومة والأبوة لدى الوالدين حفظا للنوع البشرى . واستمرار لديمومة الحياة الدنيا حتى يأتى أمره سبحانه وتعالى ، ومن سر تزويد الوالدين بهذه الغرائز الفطرية أيضا هو تيسير الصبر على تربيته الأطفال وتنشئتهم دون تبرم أو ضجر ، إذ بدون هذه الغرائز لربما أصبح أمر احتمال الصبر على تربية الأولاد ومراشاقا ، خصوصا وأن فترة تلك التربية قد تصل الى ما يزيد على العشرين عاما .

ولهذا فان محاولة تربية الأطفال وتنشئتهم فى مؤسسات بديلة عن الأسرة ولو لبعض الوقت « كدور الحضانة النهارية — رياض الأطفال — ومراكز الايواء المختلفة قلما تحقق المناخ الطيب اللازم ، مهما حاولت هذه المؤسسات أن تنمى من دورها وتعطى به . ولهذا يقال دائما أن الأسرة هى خلية المجتمع الأولى . . فاذا صلحت خلايا المجتمع صلح بناء المجتمع كله ، وقوى تضامنه وتماسكه .

ويرجع الى الأسرة الفضل الأول فى تطبيع الفرد وتنشئته اجتماعيا ، فهى التى تعطيه الحنان والعطف ، وهى التى تعطيه الأمن والأمان فى كنفها ، وهى التى تكتسبه اللغة ، والدين ، والعادات والقيم الاجتماعية الخيرة ، وتفرس فيه الروح الجمعية والمشاركات الوجدانية . وحب التعاون . . . فيشرب الفرد محبا لما شب عليه .

وإذا كان لكل أسرة أن تنشئ أولادها حسبما يتفق وأوضاعها المختلفة ، إلا أن المجتمع يتدخل لرسم إطار عام للتنشئة التي يرى أنها محققة لفلسفته الاجتماعية ، فنراه يدخل من خلال أجهزته الإعلامية (الإذاعة — التلفزيون — الصحف — المجلات — الكتب — الندوات العامة — المعارض — الأسواق التجارية — دور العرض الفنية — السينما والمسرح ..) إلى غير ذلك . ونراه يتدخل بصورة سافرة الواضح في تقرير البرامج والمقررات الدراسية في معاهد التعليم — كما أشرنا عند الحديث عن المدرسة — ونراه يتدخل عن طريق سن القوانين والتشريعات إذا رأى أنها ضرورية بهدف خلق هذا الإطار العام أو توضيحه وتحديده لدى المواطنين .

وبطبيعة الحال فإن دور الأسرة في التنشئة دور خطير ولا خلاف عليه ، إلا أن مؤسسات المجتمع التربوية تسهم في مرحلة لاحقة بدور يكمل عملية التنشئة الاجتماعية التي بدأتها الأسرة ، هذا ويساند المجتمع كله بتنظيماته المختلفة وما يسود فيه من معايير وقيم تتمسك بها عمليات التنشئة . فكأن عمليات التنشئة هذه تبدأها الأسرة لأفرادها ثم تكملها المدرسة ، والمجتمع .

ثانيا : وسائل الضبط غير الرسمية :

وهذه الوسائل متعددة وتختلف باختلاف حجم ونوع الجماعة التي يرتبط معها الفرد بعلاقات معينة ، كما تختلف باختلاف مكان المعيشة ونمطها ومن أمثلتها :

١ — السنن الاجتماعية :

من عادات وأعراف وتقاليد وتراث ثقافي ، ولا شك أن لهذه القواعد من السنن الاجتماعية دورها في تحديد أنماط السلوك خصوصا في نطاق الأسرة ، وفي نطاق الجماعات الاختيارية (كالأصدقاء ، وزملاء اللعب ، وعلاقات الجوار) وفي نطاق الجماعات المحلية المختلفة .

٢ — الرأي العام :

حيث يثير اهتمامات الناس حول موضوعات الساعة ، ويجعلهم يلورون حلولا حول تلك الموضوعات التي أثارت انتباههم ، وتكوين رأي عام في موضوع معين ، وقد

يدفع الناس الى اتخاذ مواقف معينة بصدد هذا الموضوع وبمعنى آخر فان الرأى العام يعتبر من محددات السلوك .

ولا يخفى أن لتكوين الرأى العام وسائل متعددة منها : الصحافة — والكتب — والمجلات والوسائل السمعية والبصرية (راديو — تلفزيون — فيديو — سينما — مسرح) ويمكن أن نضيف الى ذلك المهرجانات المختلفة ، والمعارض ، والمؤتمرات ، والندوات ، وحلقات المناقشة ، والمناظرات ... وما الى ذلك .

٣ — اطلاق الشائعات :

فخوف الفرد من اطلاق بعض الشائعات عليه ، قد تثنيه عن اتيان تصرفات معينة ، خصوصا اذا كان هذا الفرد يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة ، أو كان حريصا على مراعاة ظروف من تدور حوله تلك الشائعات .

٤ — الدعاية :

فقد استخدمت الدعاية فى نشأتها فى المجال الدينى ، فأول الدعاة هم الأنبياء والرسل ومن تبعهم من الصحابة والأنصار والمبشرين والوعاظ وفى القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على ذلك فنوح عليه السلام يقول « رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا ، فلم يزداهم دعائى الا فرارا ، ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام كان « شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » . ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر الأنبياء والرسل وأصحابهم فى تغيير سلوكيات الأفراد والجماعات ، وتحديد الفضائل الأخلاقية التى حفظت لمجتمعاتهم عزها ومجدها ، وحتى اليوم يوجد فى المجال الدينى الدعاة لهذه الرسائل السامية ، ومن المجال الدينى اتسع نطاق الدعاية ليشمل مجالات العمل والحياة الأخرى خصوصا فى المجال الاقتصادى (التسويق) والسياسى . وهدف الدعاية بصفة عامة هو نشر معلومات بين الناس الهدف منها التأثير فى الرأى العام وتوجيهه وفق اتجاه معين (١) .

٥ — الاعلام :

هو تقديم الحقائق والمعلومات عن موضوع معين ، بصرف النظر ان صدق وقعها وقعها فى النفوس ، فقد تكون سارة وقد تكون محزنة ، ولا شك أن معرفة الحقائق

والمعلومات — دون زيف أو مبالغة — يؤثر في تصرفات الناس .

٦ — البدع والموضات (٢) :

فالبدع وتقاليع المودة في الأزياء ، قد تنشأ عن الرغبة في كسب مظهر أو مركز عن طريق « خالف تعرف » أو بالتصدر للقيادة ثم لا تلبث أن تموت بمرور الوقت أو تصبح مألوفة خاصة إذا كان البارئ من ذوى الحثيات في المجتمع بحيث يمكن أن يقلده الآخرون ، ومن ثم يتمثلها الناس في ثقافتهم وتصبح جزء من ثقافة المجتمع .

أما تقاليع الموضات خصوصاً في الأزياء ، فهذه التقاليع قد تدوم لبعض الوقت لأنها تصادف حاجة اجتماعية لطبقة اجتماعية حسب السن أو الجنس أو النوع ، وينساق وراءها المراهقين لأنها تشعرهم بتحررهم من ربة عالم الكبار ، كما يساعد عليها بيوت الأزياء ومعارضها لأهداف تجارية . وأظن أن لذلك أيضاً أثره في تصرفات وسلوكيات الأفراد .

٧ — اقناع الناس بأمور وأوضاع وتصرفات معينة .

٨ — اللوم والتحزير في مقابل الاستحسان والمدح والثناء .

٩ — الحوافز في مقابل تثبيط الهمم والعزائم .

١٠ — نبذ الأفراد وابتعاد أفراد المجتمع عنهم .

-
- (١) د . محمد مصطفى زيدان « السلوك الاجتماعي للفرد » عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ ، ص ص ١٨٥ — ١٩٠ .
- (٢) د . كمال دسوقي : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

الفصل الثامن

التغير الاجتماعى

Social Change

تتصف المجتمعات الانسانية سواء كانت بدائية أو نامية أو متقدمة أو غير ذلك من الصفات ، بأنها فى تغير دائم ، فالتغير هو سمة الحياة الاجتماعية ، وآثاره واضحة فى كل شئء حولنا فالنظم الاجتماعية ، والمعارف والعلوم ، والعادات والتقاليد وأنماط السلوك كلها يصيبها التحول والتغير ، ومهما حاولت أى قوة أن تبقى تلك الأوضاع على حالها دون أن يصيبها التغير ، ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

فالتغير الاجتماعى يعنى أساسا تلك العمليات من التحولات والتطور والتقدم والنمو الذى يحدث فى المجتمع وتنظيمه الاجتماعى ، وقد يحدث فى بناء المجتمع ، أو فى وظائف هذا البناء أو فيها معا (١) .

حقا ان معدل التغير قد يختلف من مجتمع الى آخر فى اتجاهه أو معدله : فإذا كان المجتمع سريع التغير فهو مجتمع دينامى ، وإذا كان التغير يحدث بمعدلات بطيئة نسبيا ، فيوصف المجتمع بأنه « استاتيكى » ، وكلما كانت درجة التغير أكبر تكيفا ، كلما كانت درجة المستوى الثقافى للمجتمع أكثر تقدما (٢) .

ولاشك أن للتغير آثاره الاجتماعية الواضحة ، وغير المحدودة ، أيا كانت معدلات هذا التغير ، فآثاره تمتد لتشمل كل نشاط الحياة الاجتماعية ، وما تنطوى عليه من علاقات ومؤسسات وروابط من الناحيتين البنائية والوظيفية : فيمكننا أن نلمس مثلا التغير الذى يحدث لمجتمع ما نتيجة تغير نظامه التعليمى أو الاقتصادى أو غيرها ،

(١) عبد الهادى الجوهري وآخرون « دراسات فى علم الاجتماع » مكتبة الطليعة

بأسيوط ١٩٧٩ ، ص ٣٧ .

(٢) كمال دسوقى « الاجتماع ودراسة المجتمع » مرجع سابق ، ص ٣٧٣ .

فإن آثار هذا التغير تمتد إلى الأسرة ، وإلى النظام الإداري ، والنظام السياسي . .
والقيم الأخلاقية والصحية وما إليها ، وذلك لأن ظواهر المجتمع ونظمه متماسكة
ومتراصة ومتداخلة ومتكاملة في بنائها التركيبي والوظيفي ، فإذا أصاب التغير عنصرا
واحدا أو جانبا واحدا من جوانب الحياة الاجتماعية لابد وأن ينعكس ذلك على باقي
العناصر والجوانب الأخرى بدرجات متفاوتة .

التغير الاجتماعي والتغير الثقافي :

ينظر بعض المختصين للتغير الاجتماعي على أنه تغير ثقافي ، ويطلق البعض
مصطلح التغير الاجتماعي الثقافي على التغير وذلك باعتبار أن الحركة الدافعة لعملية
التغير تكون عادة التغير الثقافي — بمعنى استحداث سمة ثقافية أو مركب ثقافيتين
جديدين ، وأما لأن التغير الثقافي الكامل قد يطلق سلسلة من التغيرات الاجتماعية
بحيث يهيئ كل تغير اجتماعي فيها إلى تغير اجتماعي آخر وهكذا (١) . ويمكن القول
بأن التغير الاجتماعي جزء من تغير أوسع وأشمل هو التغير الثقافي ، لأن الأول يتضمن
تغيرا في بناء المجتمع ووظائفه ، أما الثاني فيشمل كل أنواع التغير نظم المجتمع (بناء
وظيفة) وكذلك التغيرات التي تحدث في العلم — الفلسفة — الفنون الجميلة —
التكنولوجيا . . . الخ .

التغير الاجتماعي عند بعض علماء الاجتماع :

شغل موضوع التغير عقول المفكرين الاجتماعيين القدامى والمحدثين ، وإن كان
هناك اختلاف كبير بين هؤلاء القدامى والمحدثين ، سواء في الغرض من دراسة التغير
أو في طريقة البحث . فمن ناحية الغرض : كان القدماء يتجهون إلى البحث عن أحسن
وسيلة تحقق السعادة ، وتقيم مجتمعات مثالية ، ومدنا فاضلة (أفلاطون — أرسطو
— الفارابي . .) وكانت طريقة هؤلاء القدماء تعتمد على التأمل والخيال الفلسفي .
وأما المحدثون فقد اتجهوا إلى دراسة حقائق التغير كما هي لا كما يجب أن تكون ،
لأنهم أدركوا أن التغير لا يسير وفق إرادة الإنسان مهما بلغ من القوة والعزم ، وإنما
يسير وفقا لقوانين ثابتة مثل باقي الظواهر ، ولكنهم مع ذلك يؤكدون أهمية التدخل
لإزالة معوقات التغير ، ومن أجل تغيير شكل العلاقات الاجتماعية . واتجه المحدثون

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٧٤ .

في دراستهم للتغير الى الدراسات العلمية الوصفية المنظمة ، وسوف نشير الى آراء بعض العلماء في التغير الاجتماعى .

آراء بعض العلماء فيه :

١ — ابن خلدون : وهو من أول المفكرين الذين أدركوا حقائق التغير التى تلحق بالمجتمعات عندما حلل حياة البدو والحضر ، وكشف عن التغير الذى يلحق المجتمع البدوى اذا زادت فيه خصائص الحضارة ، وحين انتبه الى أهمية دراسة الظواهر الاجتماعية فى حالتى الثبات والتغير .

٢ — أوجست كونت : فقد قسم كونت علم الاجتماع الى فرعين : فرع يدرس التغير الاجتماعى « الديناميك » ، وفرع آخر يدرس نظم المجتمع فى حالة ثباتها « الاستاتيك » ، وجعل موضوع الفرع الأول دراسة الاجتماع الانسانى من ناحية تطوره وانتقاله فى كلية من حال لآخر . وجعل موضوع الفرع الثانى دراسة الاجتماع الانسانى من ناحية استقراره وثباته .

وبعد النتائج التى طرحتها الثورة الفرنسية فى المجال السياسى ، والثورة الصناعية فى انجلترا ، أصبح البحث عن نظرية للتغير الاجتماعى ، والكشف عن قوانين الحركة والتغير فى المجتمعات ، يمثل النقاط المحورية فى اهتمام علم اجتماع القرن التاسع عشر ، كما كان ظهور المجتمع الرأسمالى والحركات الثورية الاجتماعية التى صاحبته كالنمو الحضرى ، وتطور الاتجاه الصناعى ، وتنقل الأفراد والأفكار والجماعات هو الدافع الأساسى للتحليل السيسولوجى للتغير (١) .

٣ — كارل ماركس : تنقسم نظريته فى التغير بالطابع الثورى ، حيث أكدت أن نظام الانتاج ، هو العنصر الأساسى فى المجتمع « البناء التحتى » والذى

(١) محمد عاطف غيث : « قاموس علم الاجتماع » مرجع سابق ، ص ٤١٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤١٤ .

والتعليمية ... التى تكون « بناءات فوقية » . وكلما تقدمت وسائل التكنولوجيا ، سنحت الفرصة لاستخدام نظم جديدة للانتاج ، مما يؤدى الى اقدم طبقات جديدة على اغتصاب بعض السلطة أو القوة السياسية والاقتصادية من الطبقات الحاكمة الموجودة . وعلى ذلك يرى ماركس أن تاريخ المجتمعات ما هو الا تاريخ النضال الطبقي(٢) .

٤ — ماكس فيبر : فقد اتخذ من نظرية ماركس نقطة البدء فى دراسة للتغير الاجتماعى فذهب الى أن تطور البرجوازية الغربية قد سبقه بالضرورة تقوم فوقه وعلى أساسه النظم الأخرى السياسية والدينية والأسرية ظهور المذهب « الكالفينى » (نسبة للفيلسوف المسيحى حنا كالفين) Calvin الذى نادى بأن قدر الانسان محتوم ولا حيلة له فى تغييره) . وأن نظرية ماركس قد ذهبت الى أن البرجوازية النامية تحاول باستمرار اغتنام الفرصة المواتية لتراكم رأس المال ، وما يترتب على ذلك من تعاضم طبقة البروليتاريا المعدمة ، وقد قبلها فيبر الا أنها رأى أن الشروط المادة رغم أهميتها الا أنها غير كافية ، فيجب أن يكون معها أخلاقيات ومعنويات على نحو ما بين فى كتابه « الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية » .

٥ — أصحاب النظريات التطورية : وهم الذين رأوا أن المجتمعات تمر بأدوار تطورية ارتقائية ويمكن أن نذكر منهم : هربرت سبنسر الذى تصور تطور المجتمع على أنه انتقال من مجتمع بسيط وصغير فى بنائه ووظائفه الى مجتمع يتسم بالتباين والاختلافات على نطاق واسع (المجتمع المركب) وصاغ فى ذلك نظريته عن التطور فوق العضوى ، وكذلك دارون صاحب نظرية « أصل الأنواع » ، ومنهم أيضا لويس مورجان عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى الذى صاغ نظرية تطورية لنمو الثقافة خلال مراحل ثلاثة هى : مرحلة الوحشية ومرحلة البربرية ، ثم مرحلة الحضارة أو المدنية .

(١) المرجع السابق ، ص ٤١٤ .

(٢) انظر فى ذلك :

(2) Wilbert Moore, Social change, 1963.

ومع مطلع القرن العشرين تركزت الجهود حول دراسات أكثر تعمقا وتفصيلا لموضوع التغير للكشف عن حقيقته وأسبابه ومعدلاته ، وتمت دراسات مختلفة لمجتمعات محلية ، ولنظم معينة استخدم فيها المنهج العلمى من ملاحظة ، ومسح ، وقياس ... الخ . ومع ذلك فلا يوجد حتى الآن نظرية واحدة أمكن الاتفاق عليها بين المفكرين الاجتماعيين ، بل توجد نظريات عديدة ، تهتم كل منها بمظاهر ونتائج معينة ومحددة للتغير (١) .

على أنه يمكن تلخيص الملامح الرئيسية للتغير فى المجتمع المعاصر على النحو التالى (٢) :

١ — أن التغير الاجتماعى ظاهرة موجودة ، وتحدث فى كل المجتمعات وفى كل الأوقات ، وفى كل الثقافات بوضوح واستمرار ، ولا يمكن إيقاف التغير بأية وسائل .

٢ — ان أية ناحية من نواحي التغير ، تؤثر فى النواحي الأخرى ، وأن التغير يؤثر على الفرد كما يؤثر على نظم المجتمع ، ومعنى ذلك أنه ليست هناك ناحية واحدة من الحياة بمنأى عن توقع حدوث التغير فيها .

٣ — لا يمكن عزل التغيرات من حيث الزمان أو المكان — خصوصا بعد تعدد وسائل الاتصال وتقدمها — لأنها تحدث فى سلسلة متعاقبة ومتصلة الحلقات (تغير تلقائى) كما قد تحدث بشكل أقل على شكل تغيرات مقصودة ، ومخطط لها تؤدى الى الاسراع بخطى التغير ، والتحكم فى توجيهه مما يؤدى الى اعادة البناء .

٤ — أن نتائج التغيرات المعاصرة يمكن أن تنتشر بسرعة ، وتنتقل الى أى مكان مؤثرة فيه ، وأن أسباب هذه التغيرات متعددة ، ويصعب رد التغير الى سبب بعينه .

٥ — ان علاج المشكلات الناجمة عن التغيرات الاجتماعية ، يصعب علاجها بدون احداث تغير آخر مقصود .

٦ — ان حجم التغيرات الاجتماعية المعاصرة ، سواء أكانت مقصودة ومخطط لها ، أو كانت تلقائية أى تمثل نتائج ترتيب على التجديدات والاختراعات الحديثة ، أكبر بكثير من التغيرات التى كانت تحدث من قبل ، ولعل نظرة متأنية لحجم وسرعة التغيرات التى حدثت فى النصف قرن الأخير ، ربما تصل أو تفوق فى حجمها وسرعتها أضعاف انجازات التغيرات التى حدثت عبر عشرات القرون السابقة .

٧ — ان نطاق التكنولوجيا المادية ، والاستراتيجيات الاجتماعية قد ازداد واتسع وسيظل يزداد ويتسع مفضيا الى نتائج وآثار تراكمية .

٨ — ان هناك عدة مستويات للتغير الاجتماعى . فهناك تغير على المستوى الفردى ، وتغير على مستوى المجتمع المحلى ، وتغير على مستوى المجتمع القومى ، وتغير على المستوى الدولى أو العالمى . ولعل التغير على المستوى الفردى أسهل ملاحظة ودراسة وعلاجاً من المستويات الأخرى .

ويعزى الفضل الى وليم أوجبرن W. Ogburn فى انتشار مصطلح التغير الاجتماعى ، وتخليصه من المصطلحات الغامضة التى أطلقت عليه « كالتقدم » والتطور وغيرهما عندما نشر كتابه « التغير الاجتماعى » وميز فيه بين نوعين من الثقافة (ثقافة مادية وثقافة لامادية) وأن سبق أو تأخر أى نوع منهما عن الآخر يؤدي الى ما أسماه بالتخلف الثقافى Cultural Lag (١) .

التغير والتطور والتقدم والتنمية :

استخدم بعض المفكرين الاجتماعيين قبل هذا القرن العشرين بعضاً من هذه المصطلحات للتدليل على تغير المجتمعات الانسانية (مثلما استخدم أوجست كونت نظريته فى التقدم التى لخصها فى قانون الأدوار الثلاثة التى قطعتها البشرية فى أدوار تطورية ارتقائية من الدور الثيولوجى اللاهوائى الى الدور الميتافيزيقى وأخيراً الوصول

(١) انظر فى ذلك :

(1) William Ogburn, Social Change, New York, 1962

الى دور العلم الوضعى) وكذلك استخدام هربرت سبنسر لمصطلح التطور بهذا المعنى
الا أن التقدم عنده ليس ارتقائيا بصفة مطلقة ، ولكنه يتوقف عند نقطة يأخذ بعدها
فى التراجع والضعف حتى الفناء (نظريته التى تنطوى على حقيقتين أساسيتين هما :

١ — النشوء والارتقاء .

٢ — الاضمحلال والفناء مثلما يحدث للكائن الحى .

واستخدم أوجبرن لفظ التغير الاجتماعى ، أما مصطلح النمو فقد استخدم بطريقة
مختلفة تماما فى معظم الكتابات السيسولوجية الحديثة . فما هو الفرق بين هذه
المصطلحات ؟

Change

التغير

اصطلاح يدل على نوع من التغير أو التحول المستمر فى الحركة ، وقد يكون
حركة التغير الى الأمام أو الى الخلف ، الى أعلى أو الى أسفل . ارتقاء وتقدما ، أو
تكوصا وتخلفا ، ذلك أن المجتمعات قد تشهد ارتقاء فى جانب ، وتأخر فى جانب آخر ،
وليس هناك تقدم أو تحسن مضطرد أو مطلق ، بل هناك تحول وتغير ، وقد يكون هذا
التغير تلقائيا وقد يكون مخططا ، بطيئا فى سرعته ، أو ثوريا جذريا وسريعا . والتغير
الاجتماعى جزء من التغير الثقافى (وبعض المفكرين لا يفرقون بينهما) لأن الأول — كما
ذكرنا — يحدث فى النظم والعلاقات الاجتماعية بينما الثانى كل فروع الثقافة
من علوم وفنون وآداب وفلسفة ونظم ، وقوانين ، وعلاقات .. الخ .

Progress

التقدم

تحول تدريجى نحو الأحسن ، أى أنه تغير ينتجه الى الأمام دوما ، والتقدم هو
كل عمل ناجح يساعد الانسان على حفزه للعمل فى حرية وتعاون من أجل تحقيق هدف
مشترك هو رقى المجتمع ، وبالطبع لا يحدث ذلك الا بسيطرة الانسان على بيئته
واستخراج مواردها واستغلالها استغلالا أمثل ، وكل مرحلة تتم فى هذا المدهار يعتبر

(1) Nordshog, Social Change, Me Grawftill, N. Y., 1960, pp. 123-125.

تقدما . والتقدم مسألة نسبية ترتبط بالزمان والمكان ، ولهذا يصعب اخضاعها لمقياس موحد فقد تضع بعض المجتمعات في ظروف ما مقياسا معنويا روحيا للتقدم ، وقد تضع في ظروف أخرى مقياسا ماديا ، وما يعتبر تقدما اليوم في مجتمع ما ، قد يكون تخلفا في مجتمع آخر . فالتقدم بهذا المعنى لا وجود له الا كحكم تقييمي شخصي ، وأنه كقيمة يتوقف على وجهة نظر الملاحظ له (١) .

وبيضيف هرتسلر Hertzler أن التقدم يحدث نتيجة توافر عدة عوامل هي :
التعقل والمعرفة ، العلم والاختراع ، الأفراد الخارقون للعادة ، البرامج الإرشادية الهادفة للمثاليات ، التنشئة الاجتماعية ، الرأي العام المستنير ، الحكومات الصالحة الديمقراطية (١) .

التطور Evolution

التطور هو الحالة الطبيعية للجماعة الانسانية ، حقيقة قد يكون التطور في جماعة أوضح منها في جماعة أخرى ، لكن المؤكد أنه لا يخلو مجتمع من التطور ، والتطور يشبه التغير من حيث أنه قد يكون تقدما ارتقائيا ، وقد يكون تقهقرا وضعفا . والتطور يختلف عن التغير من حيث أن الأول يتم تدريجيا وفق مراحل معينة دون تدخل أو تخطيط مقصود ، بينما التغير قد يكون مثل التطور تلقائيا ، وقد يتم عن طريق التخطيط مما يجعله يخرج عن تلقائيته ويصبح مرسوما ومقصودا .

النمو : Growth

هو تحول الى الزيادة عن طريق الاضافة ، فنمو الطفل مثلا هو زيادة سنوات عمره ، ونمو المدنية هو اضافة سكان ومبانى ومساحة اليها ، فالنمو هو تغير ارتقائي تقدمي عن طريق التطور التدريجي التلقائي ، أما اذا حدث تدخل للاسراع بعمليات النمو أصبح النمو تنمية development .

أنواع التغير الاجتماعى :

يمكن أن نميز عدة أنواع للتغير الاجتماعى كالآتى :

١ — تغير تلقائى : وهو التغير الذى يسير سيرا طبيعيا دون ما تدخل لقوى

خارجية تسرع بهذا التغير أو تؤخر حركته ، ومن أمثله في حياتنا الاجتماعية التغير الذى طرأ على شكل الأسرة من أسرة كبيرة أو ممتدة الى أسرة زواجية ، وتطور الحياة الاقتصادية من الانتاج البدائى البسيط (لفرض الاستهلاك) الى الانتاج الصناعى الضخم ، ومن نظام المقايضة والمبادلة الى نظام المصارف والبنوك وهكذا .

٢ — التغير الرجعى : وهو التغير الذى يحدث فى اتجاه نكوصى ، فتسوء الحالة ، وتدهور ، ومن أمثله تدهور حالة الدول التى يصيبها الحرب بالتمزق والتفكك ، أو تعرض بعض المجتمعات للأزمات السياسية أو الهزات الاقتصادية ، أو لكوارث طبيعية كالأوبئة والزلازل ... الخ .

٣ — التغير الارتقائى المقصود : وهو تغير الى الامام والى الأفضل ، وهو يهدف الى تحقيق أغراض مخطط لها تخطيطا علميا ، قائما على الدراسة الموضوعية ، والبحث العلمى . ومن أمثله تقدم وارتقاء العلوم والمعارف والتكنولوجيا .. فما لا شك فيه أن العلم فى تقدم وكل يوم تثبت البحوث والتجارب المزيد من ارتقائه وتقدمه فلو أخذنا جانبا علميا واحدا كوسائل المواصلات للاحظنا تقدمها فقديما كانت الفيل والبغال والحمير ، فالعجلات التى تجرها الحيوانات والمراكب الشراعية البسيطة الى أن دخل الانسان عصر البخار وصنع القاطرة والسيارة وبعدها الطائرة وأخيرا سفن الفضاء .

٤ — التغير الجذرى : وهو التغير الذى يتم عن طريق ثورة شاملة تطيح بمعظم النظم القائمة ، وتضع بدلا منها نظاما مستحدثة تمثل اما تقدما وتحسنا فى الأوضاع الاجتماعية واما تدهورا ونكوصا . ويتميز هذا النوع من التغير بالقوة والعنف والسرعة فى الانجاز .

٥ — قد يكون التغير جزئيا ، وهو التغير الذى يتناول مجالات معينة تتصل ببعض النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . ويدخل فى هذا النوع من التغير ، التغيرات التى تصيب أوضاع بعض الظواهر الاجتماعية من حيث الدرجة degree ، والشدة Tension فمثلا قد يحدث تغير فى علاقة اجتماعية كالتنافس ، فقد تزيد درجته فيصبح صراعا أو تخف شدته فيصبح تعاونا . وقد يحدث تغير فى ظاهرة التكافل الاجتماعى فقد تسود وتزداد ، فيقل تبعاً لذلك أسباب الحسد الاجتماعى ويسود المجتمع عواطف الخير والحب والمشاركات الوجدانية ، وقد تقل ولا يعبأ الأغنياء بالفقراء ، فيزداد الحسد وقد يتحول الى توتر ينذر باندلاع ثورة داخلية طبقية ... وهكذا .

١٤١٠ هـ
١٤١٠ هـ
١٤١٠ هـ

عوامل التغير الاجتماعى :

هناك عوامل كثيرة تحدث التغيرات الاجتماعية ، وسنشير هنا الى أهم العوامل التى تسبب التغير ، وتكسبه صفة الدوام فى المجتمعات الانسانية :

١ — العوامل الطبيعية :

فالطبيعة لها أثرها الملموس فى احداث التغير ، فكل ما تجود به الطبيعة على الانسان من خيراتها أو قساوتها يدفع بالمجتمع الى التعديل والتكيف ، ويؤثر على كل مجالات العمل والحياة لقد كان الانسان قديما يقف عاجزا أمام الطبيعة ، ولكن بتقدم العلوم والتكنولوجيا أصبح الآن يتحداها ويسخرها لمعيشته وكل أغراضه ، وكلما أقبل الانسان على الطبيعة وحور فى شكلها ازدادت استفادته منها : فحفر بئر فى صحراء كئيل بأن يحيل تلك البقعة الى مكان محبب للإقامة والحياة ، واكتشاف بئر بترولية قد يغير كثيرا من أوضاع الناس وظروفهم المختلفة ، والحصول على مناجم غنية بالمعادن .. كل ذلك يحدث تغيرا تلقائيا فى المنطقة ، ويؤدى الى أنماط جديدة فى حياة الأفراد أى تغير اجتماعى ، ولماذا نذهب بعيدا ان اكتشاف البترول فى بلد كالمملكة العربية السعودية مثلا قد أحدث آثارا على جميع جنبات الحياة فى ذلك البلد الشقيق وأصبحت المملكة تمثل ثقلا اقتصاديا وسياسيا بالغ الأهمية ، لا بالنسبة للمنطقة وحدها وإنما فى العالم أجمع .

وكما يحدث التغير نتيجة كرم الطبيعة وجودها بما عليها أو في بطنها من خيرات ، فإنها يمكن أن تحدث التغير نتيجة ضراوتها فكم من زلازل دمرت مدنا زاهرة ، وكم عواصف واعاصير سخرت على أقوام فأبادتهم ، وكم من أمطار تحولت الى سيول جرفت أمامها النبات والبيت والحيوان والانسان .. وكل هذا من العوامل المسببة للتغير الاجتماعى . لأن الحياة تنحسر عن تلك البقاع ، وقد يهجرها ساكنوها الى بيئة أخرى ، فيواجهون ظروفًا جديدة تسليزمن تغيرًا فى نوع أعمالهم ، وطرق تفكيرهم .

٢ — العوامل السكانية :

ونقصد بها الهيكل السكانى لآى مجتمع من حيث :

- (أ) حجم السكان .
- (ب) توزيعهم على مساحة ما .
- (ج) خصائص السكان .

ولا شك أن لهذه الجوانب الثلاث أهميتها من حيث رفاهية المجتمع وتقدمه أو من حيث تخلفه وتأخره ، فكثر السكاني فى مجتمع قد تكون مصدر هيئته فى القتال والحروب وقد تكون عبئًا على موارده ان كانت محدودة . وكثافة السكان فى مكان ما تحدث الكثير من التغيرات الاجتماعية فى نمط المساكن والمرافق والتماسك الاجتماعى ، ويدخل فى توزيع السكان مسألة الهجرة .. سواء كانت هجرة طبيعية أو تهجيرًا وما تحدثه الهجرة بنوعيتها من تغيرات سواء فى المجتمع المهاجر منه أو فى المجتمعات المهاجر إليها . أما عن خصائص السكان التى يقصد بها الديموجرافيون تركيبهم من حيث السن ، والنوع ، والزواج ، والمهنة ، والتعليم ، والدخل ، ... فهى أيضا لها دورها فى زيادة السكان أو نقصهم ، وما يرتبط بذلك من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية لها أهميتها فى احداث التغيرات الاجتماعية .

٣ — العوامل الأيديولوجية :

يرتبط الفكر ارتباطًا وثيقًا بنظم المجتمع ، وبناء هيئاته ومؤسساته ، فكلما حدث تغير للفكر ، كلما حدث تغير للنظم الاجتماعية — غالبًا — والتاريخ حافل بالشواهد فالفكر الذى جاء به الدين الإسلامى مثلاً قد أحدث تطورًا وتقدمًا ليس فى الجزيرة العربية فحسب وإنما فى جميع أنحاء العالم .

والأيديولوجية هي قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية ، وفقاً لسياسة متكاملة ، تتخذ أساليباً وأشكالاً هادفة ، وتساندها عادة تبريرات اجتماعية ، أو نظريات فلسفية ، أو أحكام عقائدية ، أو أفكار تقليدية . ومن هنا ترتبط الأيديولوجية بالحركة الاجتماعية ، فهي ليست مجرد مجموعة أفكار ومعتقدات واتجاهات يؤمن بها جمع من الناس سواء كان هذا الجمع أمة من الأمم ، أو طبقة اجتماعية ، أو مذهباً من المذاهب ، أو حزباً من الأحزاب ، أو مهنة من المهن . . . ، وإنما هي حركة فكرية هادفة لها فعالية ايجابية في البنية الاجتماعية وفي العلاقات الاجتماعية وتنعكس روحها على النشئة الاجتماعية بما يحدث من تغيرات في قيم الجماعة ، وفي النظرة الى الطبقات الاجتماعية ، وكذلك الحال فيما يتصل بالعمليات الاجتماعية (١) .

ولا شك أن انتشار التيارات الفكرية المتعددة ، والمذاهب الاجتماعية المختلفة ، والأديان ورسالاتها تؤدي الى أوضاع وتشريعات ونظم جديدة ، والى تحديد لعلاقة الفرد بغيره ، وبالجماعات التي ينتمى اليها ، وبالمؤسسات التي يتفاعل معها . ومن هنا تكون الأفكار الجديدة ، والآراء المستحدثة عاملاً محركاً لكثير من التغيرات في المجتمع . وتصبح الأيديولوجية بحق قوة فكرية قاهرة ، تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقاً لسياسة وأهداف محددة .

٤ - العوامل الثقافية :

ويقصد بها الاتجاهات الأخلاقية والعادات والتقاليد والأعراف . . . التي تمثل قوالب الفكر السائد ، ونمط العمل ، وقد ذهب بعض الاجتماعيين (فيبر) الى اعتبار العوامل الثقافية أساس التغيرات الأخرى كالاقتصادية والتكنولوجية وما ينشأ عنها من تغيرات اجتماعية . والثقافة تؤثر في وسائل الانتاج ونوعه ، وفي طرق الاستهلاك وفقاً لعاداتنا ومعتقداتنا ، ويختلف تقبل الناس لعناصر الثقافة (المادى واللامادى) باختلاف طبقات المجتمع وفئاته ، حيث ثبت أن الطبقات الفقيرة في المجتمع تميل الى تقبل الأشياء المادية بسرعة تفوق الطبقات الغنية ، بينما تميل الطبقات الغنية الى تقبل الأشياء اللامادية (الأنماط الثقافية والسلوكية) بسرعة أكبر جداً من الطبقات

(١) عبد الهادي الجوهري وآخرون « دراسات في علم الاجتماع » مرجع سابق ص ٣٨ ، ٣٩ .

الفقيرة وذلك بسبب حرصها على تدعيم هيبتها ومكانتها الاجتماعية لسلوك معين يميزها عن الطبقات الدنيا .

وبطبيعة الحال فإن الاحتكاك الثقافي ، والانتشار الثقافي ، وزيادة فاعليتهما بفضل تقدم وسائل الاتصال المتعددة والمتقدمة الى تغيير كثير من أفكار الأفراد في المجتمعات خصوصا اذا تبنى هذه الأفكار قيادات لها تأثيرها ، وتنتشر بواسطتهم عن طريق التقليد حتى تصبح جزءا من ثقافتهم المجتمعية .

٥ — العوامل الاقتصادية :

ويقصد بها أشكال النظم الاقتصادية وأثرها في الانتاج والتوزيع والاستهلاك والظواهر الاقتصادية السابقة ما هي الا ظواهر اجتماعية (علم الاجتماع الاقتصادي) ومما هو معروف عن تلك الظواهر أنها متداخلة ومتراصة ويؤثر كل منها في الآخر . وتأسيسا على ذلك فإن العوامل الاقتصادية تؤثر على سائر الظواهر الاجتماعية . فنلاحظ مثلا نشأة بعض المدن على لارتباطها ببعض الصناعات ، أو لأنها سوق هامة ، أو لاكتشاف بعض المواد الخام التي يؤدي استخراجها الى ايجاد انتعاش اقتصادي يسمح بقيام مجتمع دائم .

ولا شك أن الوفرة الاقتصادية تؤدي الى تغييرات في نواحي الحياة الأخرى من انشاء للخدمات والمرافق ، ومن توفير الاسكان المناسب والمواصلات الميسرة ، وطرق الحياة الأكثر رفاهية ، ويرتبط ازدهار الفنون والآداب والعلوم بالاقتصاد لما تتطلبه من ثروة معينة لكي تزدهر ، وأثر العوامل الاقتصادية في التغيرات الاجتماعية حقيقة لا يقارنها شك اذا ما تأملنا لبعض الأقطار النفطية وكيف تغيرت معالم الحياة في كثير منها .

٦ — العوامل السياسية :

لا يستطيع أحد أن ينكر دور السلطة والتكوين السياسي والقيادة والدبلوماسية الى جانب الروح المعنوية للشعب في عمليات التغير والاعداد له والمساعدة فيه .

فالحكومة الصالحة ، والحاكم العادل الديمقراطي يجران مجتمعاتهما الى تغير محمود ومقبول في جميع الجوانب سواء كانت مادية أو لا مادية ، فالحكومات الرشيدة تسهر لتوفير الأمن والأمان لمواطنيها ، فلا تسمح بتجاوز أو ظلم ، وتنتشر التعليم ، وتقرب الفوارق بين الناس عن طريق تثبيت أسس التكافل الاجتماعى ، أو فرض قوانين عادلة للضرائب أو اعادة توزيع الملكيات ... الى غير ذلك حسب النظام السياسى الذى تتبعه الدولة ، ولا شك أن عمل الحكومة والنظام السياسى فى أى دولة يمتد ليعطى كل جنبات الحياة خصوصا اذا اتبعت نظام التخطيط الشامل أو الجزئى للاسراع بخطى التغير ، للوصول الى الأهداف المنشودة فى أسرع وقت ممكن .

٧ — الحروب :

ويمكن اعتبار الحروب من عوامل التغير الاجتماعى ، فقد تحدث دمارا يصيب العمران فيحيله الى خراب ، ويفتك بالانسان فيفنيه أو يعيقه ويشوهه وقد يمتص أطفالا ، ويرمل نساء ، مما يترتب عليه هجرات أو تهجير لها ما لها وعليها ما عليها ، ويترتب على الحروب أيضا خلل فى تركيب السكان خصوصا من حيث النوع والسن والزواج والمواليد والوفيات .. وأخيرا قد يترتب على الحرب تمزيق لرقعة الدولة باحتلالها أو باحتلال جزء من أراضيها ناهيك عن سباق التسلح ، وما يرتبط به من فقر اقتصاد الدولة وضعفه .

٨ — القادة :

للقادة دور كبير فى احداث التغير الاجتماعى فى كل المجتمعات سواء كانت تلك المجتمعات محلية أو قومية وسواء كان هؤلاء القادة شعبيين أو رسميين ، وبطبيعة الحال يزداد دورهم خطورة كلما كانوا فى مراكز السلطة والحكم ، وكلما كانوا وطنيين محبوبين من شعوبهم .

٩ — العوامل الفنية (التكنولوجيا) :

التكنولوجيا هى وسائل الصناعة الحديثة ، والتقدم الآلى ، وكل ما ابتكره الانسان من أجل اشباع حاجاته ، وكل ما أوجده فى مجال التطبيق العملى للعلوم . فاخترع أى وسيلة من وسائل اشباع الحاجات الجديدة لها أثرها الكبير على التغير الاجتماعى ، فالسيارة مثلا أحدثت اتصالا للبيئات المعزولة ، ووسعت دائرة العلاقات

نتيجة كثرة التنقل من مكان الى آخر ، واتسعت المدن ، وارتفع مستوى المعيشة لبعض الناس ، وكان لكل ذلك أثره رد فعل في بناء العلاقات الاجتماعية ووظائفها .

ولو القينا نظرة على التغيرات التي أصابت المجتمع الأوربي أثر عصر النهضة الصناعية لوجدنا أن أثر تلك الثورة الصناعية ، قد امتد ليشمل النظم السياسية ، ومناهج التعليم ، والاقتصاد ، والأسرة ، وأوجد كيانات اجتماعية جديدة لم تكن معروفة من قبل كالنقابات العمالية والمهنية ، وأنهى كثيرا من الصناعات اليدوية ، وكان لكل اختراع جديد كالراديو والتلفزيون والفيديو ، والمحركات (سيارات — قطارات — طائرات — بواخر — سفن فضاء) أثره في العلاقات الاجتماعية .

وقد شمل التغير كثيرا من الاتجاهات والتقاليد والمعتقدات ، وانقلبت أوضاع اجتماعية كما حدث لوضع المرأة ومكانتها ، وحدث حراك اجتماعي سريع ، ونمت المدن الصناعية وجذبت الكثير من أهل الريف الى غير ذلك من ملامح التغير الاجتماعي الثقافي .

علم اجتماعي
معوقات التغير الاجتماعي :

من الممكن أن يقابل التغير بعقبات تقلل من سرعته أو توقفه لفترة من الزمن ، فقد يحدث مثلا أن يظهر اختراع ، أو ينتكر جهاز ولا يقبل عليه الناس بل يتقاومونه بشتى الطرق فعندما ظهرت السيارة قاومها رجال المال ومربي الخيول لاقتناعهم بأنه لا يوجد شيء يمكن أن يحل محل الحصان من حيث سرعته ، وقوته ، وتمكنه من السير في طرق ضيقة أو غير مهدة ، والى الآن لا زال البعض يقاوم اختراع الطائرات ويرفض ركوبها بحجة مخاطرها . ولم يكن الأمر بالنسبة للميادين الفكرية الا بأصعب وأشد مقاومة فالدعوة الى تعليم البنات أو تشغيل المرأة لاقت ولا زالت تلاقى في بعض المجتمعات مقاومة عنيفة ، وتعرضت رسالات الله نفسه جل وعلا لمقاومة شديدة من الأتوام التي نزلت عليهم ، وقوبل أنبياء الله ورسله لمختلف أنواع الاضطهاد والتعسف والعناد ، حتى من قبل أن تتبين الأتوام من مقدار الفائدة من تلك الدعوات السامية .

وهذا شيء طبيعي في ناقوس الحياة ، نقولها لكل مصلح اجتماعي ، قد يغضب من مقاومته أو يضيق صدره مما يصادفه من عقبات ، لأن في كل مجتمع بعض الفئات

التي لا تطمئن الى التغير ، او لا ترتاح اليه لما في ذلك من اطلاق على مصالحها أو قضاء عليها نهائيا .

وعلى اى حال فان دراستنا لعوائق التغير ، سوف تزيد فهما لعملية التغير ذاتها ، لهذا سنشير الى أهم العوامل الأساسية المعوقة للتغير الاجتماعى والثقافى بصفة عامة :

١ — ركود الاختراعات ونذرة الابداع :

الاختراع هو كل شئ مستحدث لا فى مجال الصناعة والتكنولوجيا الفنية فحسب وانما فى مجالات العلوم والفنون والنظيم الاجتماعية . ومن المعلوم ان الاختراعات توجد حيث يتوفر المناخ المساعد . فأهل الأماكن المعزولة جغرافيا مثلا يعيشون بنفس الطريقة التى كان يعيش عليها أجدادهم بسبب عدم توافر الاختراعات ، وبسبب العزلة التى تحول دون وصولها ، وبسبب عدم توافر المفكرين والعلماء ، وخامات الصناعة ... الخ . وحتى لو أمكن أن يصلهم اختراع فانه من الصعب أن ينتشر بسرعة . ولو حللنا جميع الظروف التى تتصل بالاختراع والقدرة عليه وجد انها :

(أ) توافر الامكانيات المادية .

(ب) الحاجة الى الاختراع ، فقديما قيل الحاجة أم الاختراع ، بمعنى أن المجتمع اذا أحس ماسة الى اختراع لكان ذلك دافعا رئيسيا للتفكير فى هذا الاختراع الذى يشبع هذه الحاجة ، ولكن مجرد الاحساس بالحاجة الى الاختراع لا تكفى لتحقيق الاختراع وظهوره حقيقة .

(ج) القدرة على تنفيذ الابتكار : اذ لا يكفى مجرد التفكير بالحاجة ، والاحساس بها الى وجودها فكم من أم تحس وطأة مشكلاتها ولديها أفكارها ، ولكنها تعانى منها الويلات فالخبرة الفنية والقدرة العلمية والعقلية شئ أساسى لايجاد الابتكارات الملاحظة أو المحسوسة من الأفكار والتمنيات أو بمعنى آخر فان المقدرة العقلية والعلمية مطلب أساسى للابتكارات والاختراعات . ولهذا يرى « أوجبرن » Ogburn أن المثل الذى سبق ذكره « الحاجة أم الاختراع » يتضمن نصف الحقيقة فقط ، ومن الأصح أن نقول « أن

الثقافة أم الاختراع » لأن العقل الانسانى لا يستطيع الوصول الى أشياء كثيرة ذات معنى ، اذا كان الوسط الثقافى متخلفا .

ويمكن أن نعدد من عوامل تعويق ظهور الاختراعات الكثير مثل : عدم تقدير المخترعين ومكافأتهم أو عدم حفظ براءات الاختراع ، وعدم انتشار التعليم العالى العالى المتخصص ، وعدم انشاء مراكز للبحوث سواء العلمية أم الاجتماعية ، وعدم الاستقرار السياسى ... الخ .

٢ — اعراض المجتمع عن تقبل الاختراعات :

ان عدم توافر العوامل المساعدة على الاختراع ، تفسر لنا ندرة المخترعات فى العصور ما قبل الحديثة ، كما أن توافر هذه العوامل فى الدول الصناعية المتقدمة أدى الى تسميتها بهذا الاسم ، وفيما يلى نستطيع أن نورد أهم الأسباب التى تؤدى الى عدم انتشار المخترعات فى بعض الجماعات ، وقد أرجعها أوجيرن الى (١) :

- ١ — صعوبة تغيير العادات المتأصلة فى الأفراد والجماعات .
- ٢ — ارتفاع التكاليف الاقتصادية للاختراع ، بما لا يسمح للجماعة بإمكانية تقبله واقتنائه .
- ٣ — الخوف من التغيير ، ومن الشيء الجديد الذى لم يجرب بعد .
- ٤ — الخلخلات والاهتزازات الخطيرة التى ربما تحدث نتيجة لبعض الابتكارات
- ٥ — الحقوق المكتسبة ، وامكان تعرضها للسحب أو التخفيض .
- ٦ — عزلة المجتمع الجغرافية والثقافية .
- ٧ — الضيق بأوجه النقص فى بدء ظهور الاختراعات .
- ٨ — عدم التجانس فى تركيب المجتمع .
- ٩ — الضغوط الاستعمارية ، اذ قد يحول الاستعمار دون تغير مستعمراته قدما للأمام .

١٠ - الجهل وارتفاع نسبة الأمية .

ومع ذلك يمكن أن يخطئ من ينادى بمحاربة كل قديم ، والجري وراء كل جديد سواء في عالم المخترعات (المادية) أو في عالم الابتكارات (اللامادية بالذات) ، فالفضائل الدينية ، والمثل العليا التي جاءت بها الأديان السماوية الراقية وخاصة خاتمها الاسلام تعتبر قمة التطور الاجتماعى الارتقائى رغم مرور أكثر من أربعة عشر قرنا على نزوله وظهوره .

الفصل التاسع

علم الاجتماع
د. فؤاد

(التخطيط الاجتماعى)

Social Planning

لقد أضحت التخطيط ضرورة لا غنى عنها كأسلوب لرفع مستوى حياة الشعوب — أيا كانت — فى العصر الحديث . فتحقيق معدلات سريعة ومنظمة من التنمية مرهون بشرط أساسى ألا وهو التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ، مهما كان النظام السائد فى المجتمع (رأسماليا أو اشتراكيا) ومهما كانت درجة المجتمع من التخلف أو التقدم . فروسيا وجميع دول أوروبا الشرقية تتبع أسلوب التخطيط ، كما اتبعته معظم دول أوروبا الغربية كفرنسا وهولندا وبريطانيا وغيرها بعد الحرب العالمية الثانية لاعادة بناء ما دمرته الحرب ، وكذلك تجربة الصين واليابان وغيرها ، هذا بالإضافة الى أن معظم الدول النامية — لا سيما — تلك التى حصلت على استقلالها حديثا قد بدأت كذلك فى اتباع أسلوب التخطيط كمخرج أساسى ووحيد لتحقيق تقدمها .

التخطيط مرتبط بفلسفة المجتمع السائدة (١) :

اننا لو تأملنا حياة المجتمعات الانسانية عبر تاريخها الطويل ، لوجدنا أن تنظيمها لشئون حياتها ما هى الا ممارسات تخطيطية مستترة ، أو غير مدركة ، وأن هذه الممارسات كانت تتمشى مع مقتضيات الحياة والفلسفة الاجتماعية التى أملتتها ظروف تلك المجتمعات .

فقد قامت فلسفة العصور الوسطى على العمل نحو تثبيت دعائم الحياة الاجتماعية التى استمدت محتواها من النزعة الدينية ومن النظام الاقطاعى ومن ترتيب الطبقات الاجتماعية ترتيبا هرميا يبدأ بالبابا والامبراطور والملك فى القمة ، ويتدرج الى

(١) د . حامد عمار : « أسس التخطيط الاجتماعى فى النطاق القومى والمحلى »
سرس الليان منوفية — مصر ، ١٩٦٥ ص ص ٩ — ١١ .

الأشراف والفرسان ثم ينتهى بطبقة العبيد ، وكان ترتيب العلاقات بين أفراد المجتمع تعتمد على عوامل الوراثة والموطن الجغرافى والمهنة التى يحترفها الفرد كمعامل أساسية فى تنظيم المجتمع ، وكان الاتجاه الذى يسير فيه المجتمع هو الحفاظ على تلك الأوضاع الطبقيّة ، وتحديد العلاقات بين تلك الطبقات تحديداً دقيقاً حتى تلزم كل فئة مكانها فى مدارج البناء الاجتماعى ، وبطبيعة الحال استلزم الأمر تنظيم المرافق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تنظيماً يتفق وهذه الفلسفة الاجتماعية السائدة ، والتى حالت دون تذويب الفوارق بين الطبقات ، وجعلت لكل طبقة طريقها المحدد الواضح .

ولو القينا بنظرنا بعد ذلك على المجتمعات الرأسمالية لوجدنا أيضاً أنها تقيم فلسفتها الاجتماعية على ما يسمى بالنظرة الليبرالية Liberalism التى واكبت نظرية التطور الداروينية فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر والتى نادى بأن البقاء للأصلح وكان محور تلك الفلسفة الاجتماعية هو التأكيد على أهمية التنافس بين الأفراد كقاعدة أساسية من قواعد الحياة ، وتأسيساً على ذلك فقد أطلق العنان للتنافس الحر ، وأزيلت القيود والحدود الجامدة بين الطبقات ، وانعكس ذلك كله فيما اتخذته المجتمع من تطبيقات عملية لآقرار الملكية الخاصة وصيانتها والحفاظ عليها ، وظهرت الشركات والاستثمار الحر لرأس المال وما ارتبط بهذا كله من السعى وراء الحصول على أكبر عائد من الأرباح .

ثم ظهرت الفلسفات الاشتراكية كرد فعل على عيوب النظام الرأسمالى الحر خاصة ما يتصل به من جوانب الاستغلال والاحتكار ، وكانت الغايات الاجتماعية التى جاءت بها تلك الفلسفات تهدف الى الاهتمام بالمجتمع كله دون تمييز بين فئاته ، وجاءت تطبيقات تلك الفلسفات مؤكدة ملكية الدولة لوسائل الانتاج وطرق الاستهلاك ، وأصبحت التنظيمات التعاونية قواعد أساسية لتكتل الجهود ، وأساليب أساسية للحياة فى المجتمعات الاشتراكية .

وخلاصة القول أن تجارب الانسان خلال تاريخه الطويل توحى بأن تنظيمه لشئون حياته (الممارسات التخطيطية فيما بعد) يستند الى فلسفة اجتماعية لها

غايات وأهداف معينة تختلف من فترة تاريخية الى أخرى ، وأن هذه الفلسفة تدفع
بسير النشاط الانساني في اتجاه يوصل الى تحقيق تلك الغايات ، والتي يستلزم
بلوغها ايجاد تنظيمات تقوم بتطبيق ما ارتضته تلك الفلسفة الاجتماعية ، بحيث تصبح
الأخيرة واقعا يعيشه الانسان ويحيا به وله .

ولقد كانت أول تجربة للتخطيط وعماها التاريخ القديم هي تلك التي قام بها يوسف
عليه السلام عند تفسيره لحلم فرعون مصر وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله
تعالى « يوسف أيها الصديق أفئنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر وآخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون سبع
سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبلة الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع
شداد يأكلن ما قدمتم الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس
وفيه يعصرون » (١) . ولما اقتنع الملك بتفسير يوسف لحلمه استخلصه لنفسه
وجعله أمينا على خزائن ملكه ، وربما كانت هذه المحاولة مبنية على أساس الالهام
من الله جلت حكمته ليوسف عليه السلام .

والتخطيط كعلم اتضحت قواعده ، وأصبحت له أصوله ونظرياته وأساليبه لم
يظهر الا في القرن الحالى ولم تبدأ ممارسته من جانب الدول الا في عام ١٩٢٨ عندما
بدأ الاتحاد السوفييتى أول خطة خمسية للتنمية ، ثم تتابعت الممارسات التخطيطية في
بقية دول العالم .

ماهية التخطيط الاجتماعى :

اختلف العلماء في تعريف التخطيط الاجتماعى ، باختلاف انتماءاتهم الفكرية
والايدولوجية كما جاءت تعريفاتهم انعكاسا للمدارس العلمية التى يتشيعون لها .
ونورد فيما يلى بعض تعريفات هؤلاء العلماء :

١ — تعريف لويس ويرث Wirth يقول ان التخطيط يعنى الحرية لأن
عملياته تخلق ظروفا مجتمعية تسمح لكل فرد أن يبذل قصارى جهده
لتحقيق الأغراض الجماعية المشتركة ، كما أن عمليات التخطيط تثير
القوى الكامنة في نفوس الأفراد وتجعل منها قوى ديناميكية يستطيع

المجتمع بفضلها أن يحصل على كامل حريته في تقرير نوع الحكومة الذى يراه مطابقا لرغباته ومتفقا مع ميوله واتجاهاته ومحققا لاحتياجاته كما ترسمها سياسة التخطيط ، ويرى أن الحكومة الديمقراطية هى أفضل أنواع الديمقراطيات لأنها الأقدر على مساندة وملاحقة ديناميات التخطيط ثم ان المجتمع لابد أن يعمل من أجل تحقيق أغراض ديمقراطية بوسائل وطرق ديمقراطية (١) .

٢ — يرى البرت W. Alpert أن التخطيط محاولة تتميز بالاستمرارية والانتظام لتحقيق أهداف محددة في ضوء الموارد المتاحة . . ويرى أن التخطيط موجود في كل المجتمعات سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية ، وأيا كان حجمها دولة (أو أمة) أو مدينة أو اقليما . . كما قد يكون التخطيط طويل الأمد وقد يكون قصير الأمد (٢) .

٣ — أما شارل بتلهيم Bettelheim فيعتبر التخطيط نشاطا اجتماعيا يحدد به المجتمع « الاشتراكي » أهدافه في مجال الإنتاج والاستهلاك وذلك بطريقة منسقة تراعى القوانين الاقتصادية الموضوعة من جانب ، وخصائص التنمية الاجتماعية من جانب آخر ، وتؤدي هذه الأهداف بالمجتمع الى وضع أفضل مما عليه الحال .

وقد شارك كثير من العلماء العرب في تعريف التخطيط ، فعلى سبيل المثال عرفه الدكتور عاطف غيث بأنه أداة من أدوات التغير الاجتماعى على اعتبار أنه محاولة لضبط اتجاه التغير نحو الارتقاء والتقدم ، وتوجيهه نحو الأهداف التى تحقق صالح الجماعة العليا (١) .

(1) L. Wirth, Planning Means Freedom, Chicago press, 1947.

(2) Waterston Alpert, Development Planning, the Jones press. 2ed, 1958, pp. 8-9.

(3) Charles Bettelheim, Planning & Development

(٣) شارل بتلهيم « التخطيط والتنمية » ترجمة د . اسماعيل صبرى عبد الله ،

دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ ص ص ١٠ — ١١ .

ويعرف د . حامد عمار التخطيط بأنه رسم وتوقع وتدبر للصورة الشاملة للمجتمع في حياته المستقبلية ، وفي المراحل التي يجتازها وهو في طريقه الى مدارج القوة والنماء وهو أيضا تحديد للقرارات التي ينبغي اتباعها في توجيه النشاط البشرى لتحقيق نتائج معينة في فترة زمنية محددة ، ويتطلب هذا توضيح الغايات التي ينشدها المجتمع وتحديد نظرته الى قيمة الفرد والعلاقة بينه وبين غيره من الأفراد ، ومصدر السلطة وتوزيع المكانة الاجتماعية وما يتصل بهذا كله من القيم والاتجاهات الانسانية . . بمعنى أن التخطيط عنده هو تحديد للاتجاه الذى تسير عليه مختلف الأنشطة الانسانية لتحقيق أهداف المجتمع (٢) .

ويذهب الدكتور عبد الباسط حسن الى رأى مشابه حيث يرى أن التخطيط ما هو الا أسلوب تنظيمى يهدف الى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية خلال فترة زمنية محددة ، وذلك عن طريق حصر امكانيات المجتمع وموارده المادية والبشرية وتعبئتها وتحريكها نحو تحقيق أهداف المجتمع وفلسفته الاجتماعية التى ارتضاها اطارا لوجوده ونموه .

اما الدكتور على لطفى فيرى أنه اعداد وتنظيم برنامج اقتصادى واجتماعى متناسق ، معتمدا على شئ من المركزية فى الاعداد واللامركزية فى التنفيذ ، متضمنا تنبؤات للأهداف المرتقبة خلال فترة زمنية لتحقيق تنمية سريعة ومنتظمة لجميع فروع الانتاج وجميع مناطق الدولة (٤) .

ولا شك أن هذه التعاريف وغيرها متباينة فى صياغتها وربما مضامينها ، ولكننا نستطيع أن نخرج منها بعدة خصائص أساسية تتمثل فيما يلى :

(١) د . محمد عاطف غيث : « التغير الاجتماعى والتخطيط » دار المعارف — مصر ، ١٩٦٦ ، ص ١٣٩ .

(٢) د . حامد عمار المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) د . عبد الباسط محمد حسن : « التنمية الاجتماعية » ، مكتبة وهبة — القاهرة ، ١٩٧٧ .

(٤) د . على لطفى : « التخطيط الاقتصادى » المبحث الثالث بكتاب التنمية والتخطيط الاقتصادى اعداد قسم الاقتصاد كلية التجارة جامعة عين شمس ، ص ٢٦ .

١ — ان التخطيط له مقومات أساسية أهمها :

(أ) **التنسيق :** أى التنسيق بين أهداف الخطة من جانب ، والتنسيق بين السياسات والوسائل والإجراءات اللازمة لتنفيذ الخطة . فمن المعلوم أن لكل خطة هدف عام هو تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، لتحقيق هذا الهدف لابد من تحقيق أهداف جزئية كزيادة انتاج بعض القطاعات وتحسين الخدمات بنسبة معينة . . . الخ . ومن الواضح أنه يصعب تحقيق الهدف العام الا اذا كان هناك تنسيق بين هذه الأهداف الفرعية . وأما بالنسبة للوسائل والإجراءات ، فان التنسيق بينها يعتبر أمرا ضروريا ، اذ يصعب تحقيق أهداف الخطة دون التنسيق بين مكونات السياسة الاقتصادية والاجتماعية كسياسة الأسعار ، وسياسة الأجور وسياسة الاستثمار والسياسة الصحية والتعليمية . . . الخ .

(ب) **مركزية اعداد الخطة ولا مركزية تنفيذها :** حيث أن الخطة السليمة يجب أن تعتمد على المركزية فى اعدادها واللامركزية فى تنفيذها ، وذلك لأن هيئة التخطيط المركزية تستطيع بما يتوافر لديها من بيانات واحصاءات أن تنسق بين أهداف الخطة وبين الإجراءات والوسائل والسياسات اللازمة لتنفيذها ، فهىئة التخطيط المركزية هى وحدها التى تستطيع أن تحدد الحجم الكلى للاستثمار خلال فترة الخطة بما يضمن تحقيق التوظيف الكامل ، وهى وحدها التى تستطيع أن تقوم بدراسات التنبؤ بما ستكون عليه حالة الطلب على مختلف السلع والخدمات خلال الخطة . ومن ثم تحديد الكميات التى يلزم انتاجها حتى تضمن التوازن بين الانتاج والاستهلاك هذا علاوة على أن الاعداد المركزى للخطة سيضمن تحقيق العدالة الاجتماعية بين مناطق المجتمع المختلفة عند توزيعه للسلع والخدمات على أنحاء البلاد . . أما عن تنفيذ الخطة فلا بد أن تكون لا مركزية لأن مركزية التنفيذ تؤدي الى اطالة الإجراءات وتأخير العمل ، وتحول دون الدراسة العميقة لأن للطاقة البشرية حدودا ، وتؤذن بعدم الثقة بين المخططين والمنفذين ، وتحصر الخبرة فى قلة من الناس مما يعوق النمو الإدارى ، لهذا نرى اعطاء التائمين بالعمل فى الوحدات الانتاجية والخدمات — فى مرحلة التنفيذ — سلطة لاتخاذ القرارات اللازمة لتنفيذ الأهداف المحددة فى الخطة دون الرجوع الى الهيئة المركزية فى كل صغيرة وكبيرة .

(ج) **التنبؤ** : غالطخطيط يقوم على التنبؤ العلمى بما سيكون عليه الحال فى المستقبل ، وفى العصر الحديث نجد أن طول فترة اعداد الانتاج الحديث ، وطول فترة استهلاك الآلات والسلع المعمرة لا يسمحان بتحقيق توازن الانتاج والاستهلاك الا اذا كانت هناك تنبؤات عن الاستهلاك المتوقع خلال فترة الخطة لكل فرع من فروع النشاط الانتاجى . فالانتاج الحديث يتميز بطول الفترة اللازمة لاعداده ، وقد تطرأ تغيرات على حالة الاستهلاك خلال تلك الفترة التى تصل فى بعض فروع الانتاج الى عدة سنوات ، ومعنى ذلك أن التنبؤ يعمل على تحقيق التوازن بين الانتاج والاستهلاك .

٢ — ان للتخطيط احتياجات ضرورية لابد منها وهى :

(أ) توافر البيانات والاحصاءات : فجميع مراحل التخطيط تستلزم توافر بيانات واحصاءات عن موارد الدولة البشرية والمادية حتى يمكن تعبئتها نحو تحقيق أهداف الخطة ، كما لا يمكن متابعة الخطة أو تقويمها الا عن طريق تجميع بيانات واحصاءات عن مدى تقدم العمل فى انجاز الخطة ومدى تحقيقها للأهداف المنشودة .

(ب) المشاركة الايجابية للمواطنين : فمشاركة الأهالى فى جميع مراحل الخطة سواء فى اعدادها أو تنفيذها أو متابعتها .. يجعلها (أى الخطة) واقعية ومحقة لأهداف المجتمع ، كما يساعد على بلوغ درجة أفضل فى انجازها بحماس وارتياح ، ويوطد العلاقة بين الحكام والمحكومين ومن هنا يقال ان الخطة التى يشارك فيها المواطنون تعتبر خطة ديموقراطية . فان أى خطة مهما كانت أهدافها لا يمكن أن تنجح ما لم يؤمن بها أفراد المجتمع وجماعاته ، وما لم يشاركوا مشاركة ايجابية وفعالة فى تنفيذها عن طريق تعاونهم مع بعضهم البعض ، وتعاونهم مع السلطات العامة . ومن هنا تبدو بوضوح أهمية الدور الذى يجب أن يلعبه المسئولون عن التخطيط لخلق ما يسمى بالوعى التخطيطى لدى أفراد المجتمع وهيئاته .

(ج) توافر الاستقرار السياسى : مما لا شك فيه أن عدم توافر الاستقرار السياسى ، واختفاء الأمن والأمان فى المجتمع ، يؤدى الى القلاقل الاجتماعية

والى تغليب المصالح الفردية على المصالح العامة ويغيب الشعور بالمسئولية الوطنية ، والمسئولين عن الحكم لن يستطيعوا القيام بواجبهم نحو تحقيق التقدم ، وينتهى ذلك كله الى هبوط معدلات الانتاج ، والتسيب فى انجاز الأعمال ، ويقل الادخار ويهرب رأس المال مما يعوق تنفيذ أى خطط أو حتى مجرد التفكير فيها .

٣ — ان التخطيط عملية ارادية منظمة وموجهه لتحقيق أهداف محددة تنقل المجتمع الى وضع اقتصادى واجتماعى أفضل خلال فترة معينة .

٤ — ان عملية التخطيط تحيط بها صعوبات لعل أهمها يمكن ملاحظته فيما يلى (١) :

(أ) ان موقف المجتمع أو المشروع قبل بدء عمليات التخطيط تتكون من عناصر مادية واجتماعية لها قدرة معينة على العطاء والانجاز ، بينما يتميز الموقف المستهدف بالتخطيط بعناصر مادية واجتماعية ذات قدرة أعلى على الانجاز ومن ثم تبرز احدى صعوبات التخطيط وهى كيفية احداث التغير المطلوب وضبط حركته ، دون أن يؤدى ذلك الى اثار جانبية .

(ب) ان الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والطبيعية وغيرها سوف تختلف عنها بعد اتمام عمليات التخطيط وأثناءها ، ومن ثم تبدو الصعوبة الثانية فى التخطيط وهى امكانية التنبؤ بالظروف المحيطة المتوقعة فى المستقبل ، واتخاذ الاجراءات المناسبة للتعامل مع تلك الظروف ، ومحاولة توظيفها لتحقيق الاهداف المحددة .

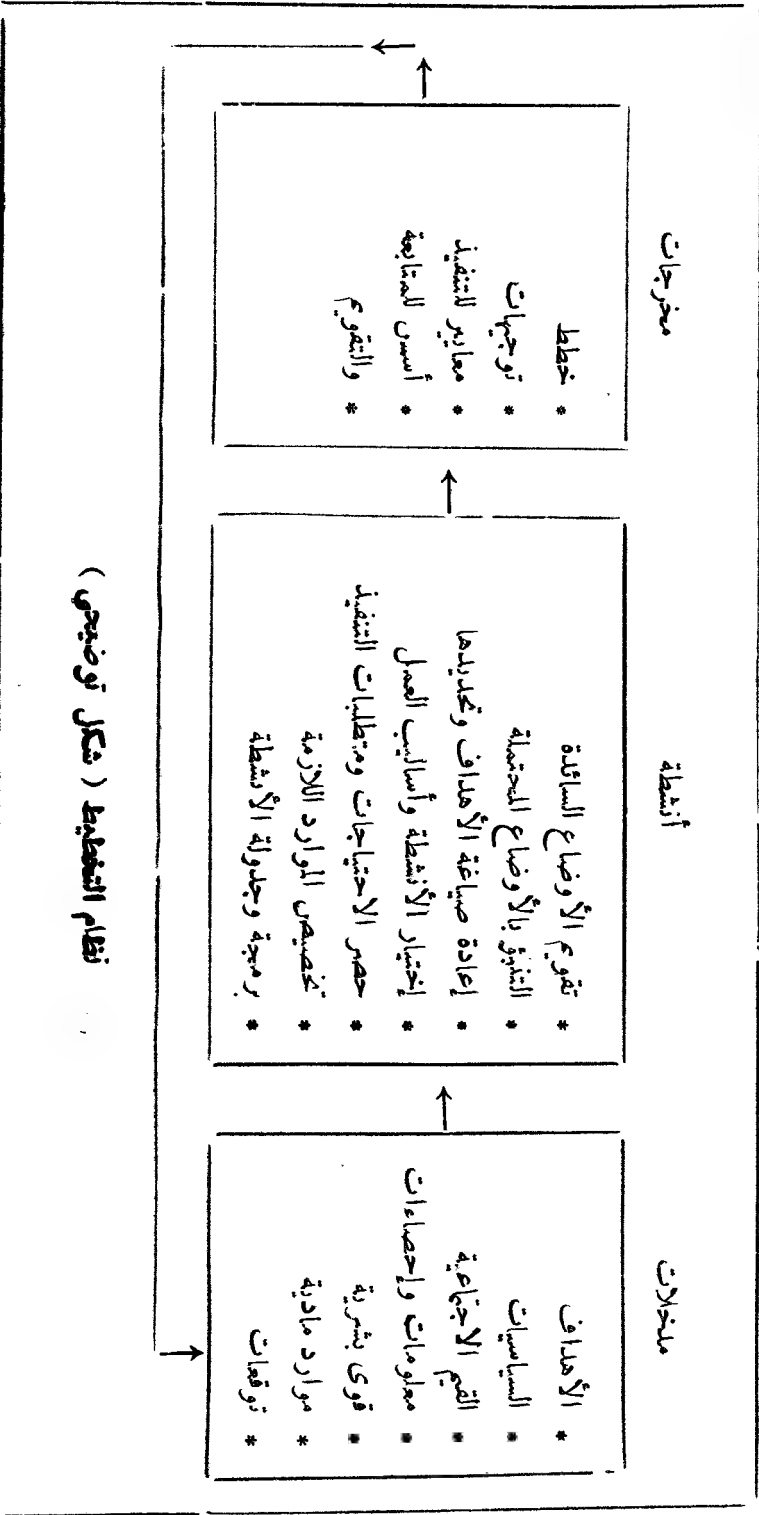
(ج) وتكمن الصعوبة الثالثة فى كيفية ايجاد أكبر درجة من التوافق بين متطلبات التخطيط وعناصره ، وبين ظروف المجتمع ، بمعنى آخر محاولة تكيف الخطة مع الظروف الخارجية وفى نفس الوقت محاولة تطويع تلك الظروف والمناخ المحيط بصفة عامة لتناسب مع خصائص الخطة .

(١) د . على السلى « التخطيط والمتابعة » ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(د) وتتضح الصعوبة الرابعة والأخيرة في أن الخطة يتم اعدادها وتنفيذها ومتابعتها بواسطة الناس ، ولهذا فان السلوك الانسانى يضطلع بدور هام في جميع خطواتها ، ومن المعلوم أن هذا السلوك يتسم بدرجات مختلفة من التغير وعدم الاستقرار ، وبناء عليه فان قدرا كبيرا من عدم التأكد يسيطر على المواقف الحالية والمتوقعة ، لهذا يتطلب الأمر قياس الاحتمالات ، وأخذها في الاعتبار التخطيطية .

وتأسيسا على كل ما تقدم يمكن أن نقول ان التخطيط هو عملية تغير اجتماعى مقصودة تستهدف الارتقاء بأوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية عن طريق تحديد أهداف محددة يستلزم تحقيقها خلال فترة معينة ، تعبئة موارد المجتمع المادية والبشرية وتوجيهها نحو تحقيق هذه الأهداف التى أقرها المجتمع حسب فلسفته الاجتماعية .

ويظهر الشكل التالي نظام التخطيط بكل عناصره وأبعاده المختلفة :-



اهمية التخطيط وضرورته للدول النامية :

يجمع كل العلماء والخبراء الاقتصاديون والاجتماعيون على أهمية التخطيط لجميع أنواع المجتمعات فقيرها وغنيها ، رأساليها واشتراكيها ، شرقها وغربها فكلها تقريبا تتبع أسلوب التخطيط أو تحاوله بدرجة أو بأخرى ، وذلك لأن اتباع التخطيط يحقق للمجتمع ما يلي :

١ — حصر مشكلات المجتمع وتحديدها ، ثم العمل على حلها ، وتوفير الاحتياجات اللازمة في ضوء المتغيرات الحضارية المستمرة في عالم دينامي متغير حتى لا يتخلل المجتمع عن درجة تقدمه اذا كان متقدما ، ولا تتسع الهوة بينه وبين من سبقه اذا كان متخلفا .

٢ — ضمان العدالة الاجتماعية ، واعمال مبدأ تكافؤ الفرص في توزيع الموارد والخدمات والمرافق بين أجزاء الدولة الواحدة من جهة ، ولضمان اعطاء المواطنين حقوقهم ، وتحديد واجباتهم .

٣ — التوازن المطلوب في التنمية المتكاملة الجوانب عن طريق التنسيق بين الجهود على كافة المستويات المحلية والاقليمية والقومية ، وذلك لايجاد المجتمع القوى المتناسك الذي لا تحكمه تناقضات . ولا تتسرب اليه الاحقاد .

٤ — قياس فعالية برامج الانتاج والخدمات القائمة عن طريق متابعتها وتقويمها للتعرف على مدى تحقيقها لاهدافها ، وتصحيح مساراتها وتطويرها بما يتلاءم والاهداف المنشودة منها ، وتوجيهها وفق حركة التغير المطلوبة .

٥ — تحقيق أهداف المجتمع المحددة بطريقة مثلى في أقصر وقت ممكن وبأقل تكاليف وجهد .

واذا كانت المجتمعات عامة تتبع أسلوب التخطيط لرفع مستوى الحياة اجتماعيا واقتصاديا وتحقيق رفاهية شعوبها ، فان المجتمعات النامية مطالبة بضرورة اتباع

متجه التخطيط اذا كانت تريد حقا أن تخرج من تخلفها ، وتحقق معدلات سريعة ومنظمة من التنمية .

وقد يعارض البعض بالقول ان النهضة الحديثة التي كانت الثورة الصناعية الكبرى التي حدثت في الغرب ، بدء من ١٧٦٠ م بـانجلترا ثم في فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها في القرن التاسع عشر وحتى الآن ، قد قامت على اكتاف رجال الأعمال في ظل « اقتصاد السوق Market Economy . ودون تخطيط . ولكن يجب أن نعلم أن الظروف والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت مراحل النمو في الدول الغربية تختلف كلية عن تلك التي تسود اليوم في الدول النامية ، ويمكن حصر أوجه الخلاف وتلخيصها فيما يلي (١) :

١ — هناك فرق كبير بين الوضع الاقتصادي الذي ساد دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية قبل قيام الثورة الصناعية (حتى منتصف القرن ١٨) وبين الحالة شبه البدائية التي يتميز بها اقتصاد كثير من الدول النامية ، ولا سيما بعض الدول التي كانت مستعمرات في أفريقيا بالذات وآسيا وأمريكا اللاتينية فتدُلنا دراسة التاريخ الاقتصادي أن الدول الأوروبية كانت قد مارست نشاطا تجاريا واسع النطاق ، وكانت تسود فيها اقتصاديات نقدية ، وكانت تنتشر فيها الصناعات الحرفية ، لذلك استطاعت هذه الدول أن تتقدم سريعا عندما قامت الثورة الصناعية .

٢ — ان الدول الغربية الصناعية قد استفادت خلال المراحل الأولى للتنمية من بقية دول العالم خاصة (مستعمراتها) حيث كانت تحصل منها على ما تحتاج اليه صناعاتها من مواد خام ، كما كانت تستفيد منها كأسواق لتصريف منتجاتها تامة الصنع ، ولعل تاريخ بريطانيا التي كانت امبراطورية لا تغيب عنها الشمس خير مثال واضح عن ذلك . أما الدول النامية فان وضعها يختلف اليوم تماما ، لأنها عندما تتجه الى التصنيع مثلا لا تجد

أمامها إلا دولا عريقة في الصناعة ، لا يمكن أن تقوى على منافستها من حيث جودة الانتاج أو انخفاض التكاليف كما أنها لا تملك أسواقا واسعة تبعا لذلك ، ولا تستطيع أن تحصل على المصانع ولا التكنولوجيا اللازمة لبناء نهضتها إلا من خلال الدول المتقدمة .

٣ — ان طبقة المنظمين ورجال الأعمال ، أو ما يسمى بالكوادر الفنية والادارية اللازمة لتشغيل وحدات الانتاج والخدمات وادارتها لا وجود لها اليوم في دول العالم الثالث التي تسودها طبقتين اثنتين في أغلب الأحوال ، هما طبقة الأغنياء ، وطبقة الفقراء (النظام الاقطاعي) أما الطبقة المتوسطة (البرجوازية) فهي غير موجودة أو قليلة بحيث لا يمكنها الاضلاع بمسؤوليات عمليات التنمية .

٤ — ان الدول الغربية قد حققت تقدمها خلال فترة طويلة حتى وصلت الى ما هي عليه الآن ، ونعتقد أن الدول المتخلفة لا يمكنها الانتظار طويلا مثلما انتظر الغرب لعدة أسباب لعل منها :

(أ) التقدم العلمى والتكنولوجى وما يحدثه من ثورة سريعة ، بحيث لم يعد العالم بقادر على أن يتابع حركة الاختراعات والاكتشافات الجديدة ، والسكوت عن ملاحقة هذه الحركة سوف يزيد من هوة التخلف ودرجاته .

(ب) ان شعوب الدول النامية يعيشون في بؤس وفقر وجهل ومرض ، ولا يمكن لهم أن يظلوا على هذا الحال وسط عالم مترابط بأجهزة الاتصال الحديثة والمعقدة ، ووسط مبادئ تنادى بحقوق الانسان وكرامته « ولقد كرمنا بنى آدم » .

(ج) انه لا يوجد طريق آخر سوى العمل على تحقيق معدلات سريعة ومنظمة للنمو الاقتصادى والاجتماعى في هذه الدول سوى اتباعها لاسلوب التخطيط .

ان حتمية التخطيط الاقتصادى والاجتماعى للدول النامية تبدو بوضوح عند دراسة فروع النشاط الاقتصادى والاجتماعى في هذه الدول .

فبالنسبة **للزراعة** مثلا : نجدها متأخرة في معظم الدول النامية ، وغلتها المحصولية ضعيفة وغالبا ما تتميز ملكية الأرض بسوء التوزيع مما يترتب عليه آثار سيئة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، هذا علاوة على استخدام الأساليب البدائية في الزراعة ، وعدم امكانية استخدام التكنولوجيا والميكنة الزراعية بسهولة ، ومن الواضح أن التغلب على هذه المشكلات الزراعية لا يمكن أن يتم الا في اطار خطة تهدف الى رفع انتاجية الأرض أفقيا ورأسيا ورفع معيشة المزارعين والاهتمام بصحتهم وارشادهم وتعليمهم ...

وبالنسبة **للصناعة** : نراها متخلفة جدا في معظم الدول النامية ، وغالبية العاملين في مجالها يمثلون نسبا بسيطة للغاية من مجموع السكان ، ومع ذلك فانك تجدهم رغم قلتهم يعملون في صناعات خفيفة أو أولية بدائية كجمع الثمار والصيد وبعض انتاج السلع الاستهلاكية البسيطة وبالطبع تنقص فيها رعوس الأموال اللازمة للتصنيع ، كما يعوزها المهندسون والفنيون والعمال المهرة .. وبالتأكيد أنه لكي تحدث هزة صناعية فلا بد من اتباع منهج التخطيط في مجال الصناعة حتى يمكن اقامة الصناعات الأساسية الثقيلة اللازمة لبدء الصناعات الأخرى واعداد المهندسين والمنظمين ، واستقدام الخبراء الأجانب الازمين للمساعدة في مراحل بناء التنمية الصناعية ، وفتح الأسواق الجديدة امام السلع المحلية وهكذا .

وبالنسبة **للتجارة الخارجية** : فنجد أن الميزان التجاري في غير صالح الدول النامية لأنها لا تصدر الا منتج أو اثنين على الأكثر وغالبا ما يتم التصدير للمنتج بشكله الأولي (كالقطن البذرة — أو الزيت الخام — أو بعض الفواكه والخضروات دون تعليبها أو حفظها) في حين تقوم هذه الدول باستيراد معظم حاجياتها الاستهلاكية والصناعية والكمالية من الدول الأكثر تقدما ، وما يترتب على ذلك من خضوع اقتصاد الدول النامية الى الدول المتقدمة ، ووقوعها تحت تأثيرات تقلبات الاقتصاد العالمي وأسعاره المتزايدة ، وهنا تصبح الحاجة ملحة الى وجود خطة اقتصادية تهدف الى الحد من استيراد السلع الكمالية التي تستنفذ جزء كبيرا من حصيله العملات الصعبة كما تعمل على تشجيع الصادرات واعادة توزيعها جغرافيا ..

وبالنسبة **للخدمات كالصحة والتعليم والاسكان** وغيرها نجدها متأخرة في الدول النامية وتتميز بسوء توزيع صارخ بين المدن والمناطق الريفية والبدوية ، لذلك فلا بد

من توفير خطة اجتماعية تعمل على توفير عدد كاف من المدارس والأطباء والمستشفيات ... الخ . وتضمن توزيعها على أقاليم الدولة المختلفة ، توزيعا عادلا .

وبالنسبة لرأس المال اللازم للتنمية تجده ضئيل وهزيل في الدول النامية مما يستلزم وجود خطة تضمن تكوين رأس مال مناسب عن طريق تشجيع الادخار الفردي ، والقضاء على الاكتناز ، والادخار السلبي ، وجذب رأس المال الوطنى والأجنبى للاسهام في عمليات التنمية المطلوبة الى غير ذلك .

يضاف الى كل ما تقدم أن بعض الدول النامية غير متمتعة بالاستقرار السياسى ، وتكثر فيها الانقلابات العسكرية والثورات نتيجة ظروفها الصعبة ، واحساس الناس بخشونة الحياة وجفافها ، ونتيجة لذلك يفرحون بكل تغير سياسى ، عله يأتى بما هو أفضل ، لهذا فان نضج الشعوب النامية ، وتحقيق مطالبها في حياة أفضل ، واشباع حاجاتها لن يتأتى الا من خلال خطط اقتصادية مدروسة بعناية ، وواقعية حقيقية . وبناء على كل ما تقدم يمكننا أن نؤكد أن الظروف والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تعيشها الدول النامية حاليا تختلف عن ظروف مراحل النمو التى مرت بها الدول الغربية وأمريكا ، وأنه لا مفر من ضرورة اتباع الدول النامية لمنهج التخطيط كأسلوب تنظيمى وحيد يحقق لها معدلات منتظمة وسريعة في المجالات الاقتصادية أولا والاجتماعية ثانيا ، فتخرج بهذا الأسلوب من تخلفها ، وتنتهى فيها الدائرة المفرغة للفقر .

أنواع التخطيط :

تقسم الخطط تقسيمات مختلفة ، ويمكن أن تتنوع تبعا للمعيار المستخدم في التفرقة بينها ، وعلى أية حال فان هناك بعض المعايير والأبعاد التى يمكن لنا الاعتماد عليها لتباين أنواع الخطط وتقسيماتها وهذه المعايير والأبعاد هى :

- | | |
|-------------------|--------------------|
| ١ — البعد الزمنى | ٢ — البعد الجغرافى |
| ٣ — البعد النوعى | ٤ — درجة الشمول |
| ٥ — درجة المركزية | |

وفيمما يلى نتناول بالدراسة والتحليل أنواع التخطيط التى يمكن أن تدرج تحت هذه المعايير الخمسة :

أولا : تبعا للبعد الزمني :

أى بالنسبة للفترة الزمنية المحددة لانجاز الخطة ويمكن ان نميز أنواع الخطط التالية :

١ — خطة طويلة الأجل : وعادة ما يكون مداها الزمني (١٠ سنوات فأكثر) وغالبا ما تكون على شكل تنبؤات عامة بما يجب أن تكون عليه الاتجاهات الرئيسية في الاقتصاد القومي كمستوى العمالة وحجمها ، ورصد ميزان المدفوعات وما الى ذلك ، وتقل درجة التفصيل في هذا اللون من الخطط وتستخدم عادة كمرشد في اعداد الخطط الأقل مدى .

٢ — خطة متوسطة الأجل : ويتراوح بعدها الزمني عادة من (٣ — ٧ سنوات) ، وتحتوى على درجة أكبر من التفصيل بالمقارنة بالخطة طويلة الأجل ، وتتعرض لهيكل القطاعات واختيار المشروعات وتفضيل هيكل العمالة ... الخ .

٣ — خطة سنوية : وبعدها الزمني عام مالى واحد ، وترتبط هذه الخطة بالموازنة العامة للدولة وتستلزم هذه الخطة أن تكون معدة قبل بداية السنة المالية للدولة بوقت كاف ، والخطة السنوية أكثر تفصيلا حيث أنها تتبع تنفيذ المشروعات المختلفة والتي قد يستغرق تنفيذ بعضها أكثر من عام .

وليس من الضروري أن يكون للدولة الواحدة خططا من الأنواع الثلاثة السابقة فقد يكتفى بخطة متوسطة وفى أحيان أخرى بخطط سنوية فقط .

ثانيا : تبعا للبعد الجغرافى :

ويمكن أن نميز تبعا لهذا البعد بين أنواع من الخطط هى :

١ — خطة قومية : أى تتضمن الدولة بجميع أجزائها الجغرافية وجميع فئات سكانها .

٢ — خطة اقليمية : ويقصد بها اعداد خطة لمنطقة ادارية واحدة بالدولة ، حيث تختلف أقاليم البلد الواحد (التقسيمات الادارية كالمحافظات أو الولايات أو الامارات أو الالوية أو ما شابه ذلك) فيما بينها من حيث الموارد والظروف الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ويهدف التخطيط الاقليمي الى تحقيق درجة من التوازن في نمو الأقاليم ، ويستتبع ذلك ضرورة دراسة امكانيات كل منها ، وتخصيص أفضل الاستثمارات ملائمة له ، وبذلك يستفيد الاقتصاد الوطنى بدرجة أكبر نتيجة تحقيق وفورات خارجية عن كل اقليم على حدة ومزايا اقتصادية في هذه الأقاليم الى جانب المزايا الاجتماعية المتحققة من زيادة درجة التجانس بين أقاليم الدولة الواحدة ، وقد اهتمت مصر بهذا النوع من التخطيط في السنوات الماضية فبدأت تنفيذ مشروع التخطيط الاقليمي لأسوان والاستفادة من السد العالى ، كما تم تقسيمها في سنة ١٩٧٧ الى ثمانى أقاليم اقتصادية .

٣ — خطة محلية : وهو التخطيط الذى يهتم بالوحدات الصغيرة للمجتمع كالقرية مثلا ، ويهدف الى تحقيق الاستخدام الأمثل لموارد المجتمع المحلى ، والاستفادة من مشاركة الأهالى فى اعداد وتنفيذ ومتابعة الخطة .

٤ — تخطيط المدن .

٥ — تخطيط الريف .

ويمكن أن يتسع هذا البعد ليشمل أنواعا أخرى من التخطيط أكثر اتساعا من حيث المدى الجغرافى كالتخطيط لأقاليم دولية (كخطط دول الخليج مثلا — أو كخطة لدول البحر المتوسط ..) أو كالتخطيط فى المستوى الدولى وعادة ما تقوم به منظمات أو هيئات تابعة لهيئة الأمم المتحدة مثل منظمة العمل الدولية ، والبنك الدولى للإنشاء والتعمير ، وصندوق النقد الدولى ، ومؤسسة الأغذية والزراعة ، وهيئة الصحة العالمية ، ومنظمة اليونسكو وغيرها .

وتجدر الإشارة الى أن التخطيط الاقليمي والخطط المحلية قد تكون مستقلة عن التخطيط القومى وقد تكون ضمن اطار الخطط القومية ، ومن أمثلة التخطيط الاقليمي المستقل الخطة التى وضعتها ايطاليا للنهوض بالجنوب حيث المناطق المتخلفة نسبيا ،

والخطط التى وضعتها المملكة العربية السعودية للنهوض بالمشاعر المقدسة والمدن الخاصة بها لتلبية حاجات المسلمين والحجيج المتزايدة كل عام ومن أمثلة التخطيط الإقليمى داخل إطار الخطط القومية الخطة التى وضعتها مصر لمحافظة أسوان عام ١٩٦٥ على الرغم من وجود خطة قومية للتنمية .

ثالثا : تبعا للبعد النوعى :

ويمكن أن نميز أنواع التخطيط التالية تحت هذا البعد :

١ — التخطيط الإجبارى والتخطيط الاختيارى : ويقصد بالتخطيط الإجبارى أن تكون جميع المؤسسات والهيئات والشركات ملزمة بتنفيذ ما تقتضى به الخطة من حيث حجم الاستثمار وكمية الانتاج وأسعار السلع ، وحجم العمالة ... الخ . أما التخطيط الاختيارى فيتلخص فى أن الدولة تقوم بأعداد الخطة ويترك للهيئات والشركات حرية تنفيذها ، وبالطبع فإن النوع الأول نراه واضحا فى الدول الاشتراكية حيث تملك كل المؤسسات والتنظيمات ، أما التخطيط الاختيارى فهو لصيق بالدول الرأسمالية .

ويرى بعض الاقتصاديين أن التخطيط يلزم أن يكون إجباريا ، بينما يرى البعض الآخر أن التخطيط يمكن أن يكون اختياريا بشرط أن تعتمد الحكومات على توفير الحوافز والدوافع والمغريات المالية لتوجيه عناصر الانتاج بما يتفق وأهداف الخطة .

٢ — التخطيط المادى والتخطيط المالى : ويقصد بالأول حصر جميع موارد المجتمع الطبيعية والمادية والبشرية ومحاولة استخدامها أحسن استخدام لأشباع أكبر قدر ممكن من حاجات أفراد المجتمع . أما التخطيط المالى فيقصد به تدبير الأموال اللازمة بالعملة المحلية والأجنبية (لتنفيذ الاستثمارات الواردة فى الخطة وتنقسم مصادر التمويل اللازمة للخطة إلى قسمين :

(١) مصادر تمويل داخلية : وهى مثل الادخار ، الضرائب ، القروض ، التمويل التضخمى .

(ب) مصادر تمويل خارجية : وهى مثل : فائض الميزان التجارى (التجارة الخارجية) ، رموس الأموال الأجنبية ، المساعدات المالية والفنية من الدول المتقدمة ، المساعدات من المنظمات الدولية .

٣ — التخطيط الهيكلى والتخطيط الوظيفى : ويقصد بالاول الخطط التى تهدف الى تغيير الفلسفة الاقتصادية والاجتماعية والنظام المبنى على تلك الفلسفة ويعنى ذلك أن التخطيط الهيكلى يغير فى بناء المجتمع اجتماعيا واقتصاديا لانه يستلزم تغييرات جذرية لاقامة هيكل اقتصادى واجتماعى جديد يغير تماما الهيكل الاقتصادى والاجتماعى السابق ، ويحتاج هذا النوع من التخطيط الى اصدار سلسلة من القوانين والتشريعات ذات الطابع السياسى الاستراتيجى ، ومن أمثلة ذلك التأمين وقوانين الضرائب ، والاصلاح الزراعى ، ومجانية التعليم ... الخ .

أما التخطيط الوظيفى فيقصد به محاولة ترميم البنيان الاقتصادى والاجتماعى القائم ومحاولة اصلاح بعض جوانبه دون احداث تغييرات جوهرية للأسس الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع ، وهو يستهدف كما يتضح من اسمه احداث بعض تغييرات طفيفة فى الوظائف التى يؤديها النظام الاقتصادى والاجتماعى دون المساس بالهيكل الخاص بالنظام نفسه .

رابعاً : تبعاً لدرجة الشمول :

ونميز فى هذا المعيار ثلاث أنواع من التخطيط :

١ — خطة شاملة : أى تشتمل على جميع فروع النشاط الاجتماعى والاقتصادى من انتاج زراعى وصناعى وتجارة خارجية وخدمات ، ويحتاج هذا النوع من التخطيط الى اجراء دراسات متعددة لمعرفة طبيعة العلاقات القائمة بين فروع النشاط الاقتصادى المختلفة ، ومدى ترابطها وتأثيرها فى بعضها فمثلاً اذا كانت الخطة تهدف الى زيادة حجم الانتاج الصناعى بنسبة معينة خلال سنوات الخطة ، فلا بد من توفير العدد اللازم من المهندسين والمنظمين وتدريب الفنيين ، ومعنى ذلك ضرورة تخصيص قدر معين من الاستثمارات

لقطاع التعليم والتدريب ، وهكذا نرى طبيعة العلاقة بين قطاع الانتاج وقطاع الخدمات .

٢ — أما الخطة الجزئية : فنعنى بها أفراد خطة لفرع معين من فروع النشاط الاقتصادى أو الاجتماعى كتخطيط الانتاج الزراعى ، أو تخطيط الانتاج الصناعى أو تخطيط الخدمات ، وفى بعض الأحيان قد يشمل التخطيط الجزئى (وقد يسمى قطاعا) نوعا واحدا من أنواع النشاط التى يضمها فرع النشاط .

٣ — خطة مشروع : وهى أصغر خطة لوحدة انتاجية أو خدمية تعد وتنفذ على مدى فترة محددة . كاعداد وتنفيذ خطة لمشروع محطة تسمين دواجن ، مشروع اصلاح منطقة محددة من الارض الزراعية أو مشروع انشاء مبنى وهكذا .

خامسا : تبعا لدرجة المركزية :

وينقسم التخطيط وفقا لهذا البعد الى خطة مركزية وأخرى لامركزية وترجع اسس التفرقة بين النوعين الى مقدار الاوامر التى تصدرها الهيئة التخطيطية للوحدات الاقتصادية وأن القرارات التى تتخذها كل وحدة متعددة فمنها ما هو بعيد الأمد ومنها ما هو يومى ، ومعيار التفرقة بين التخطيط المركزى واللامركزى هو عبارة عن مقدار التعميمات والاوامر والتعليمات والتوجيهات التى تصدرها الهيئة التخطيطية الى المشاريع المختلفة بصورة مباشرة ، فكلما قلت تلك الاوامر الى الوحدات وتركت لها حرية اتخاذ القرارات فى ضوء ظروفها المختلفة ، وكلما قلت مرات رجوع الوحدات الى الهيئة التخطيطية فى كل صغيرة وكبيرة كلما كان هذا التخطيط لامركزيا والعكس صحيح .

ويعتبر الاتحاد السوفييتى أول دولة مارست التخطيط المركزى فى القرن العشرين ، ولكنه عاد فعُدل عن المركزية المتصلة وبدأت الهيئة المركزية للتخطيط (الجوسبلان) تقلل من درجة المركزية وذلك بهدف اعطاء بعض الحرية فى اتخاذ بعض القرارات للحصول على كفاءة أفضل فى الاداء والانتاج .

مبادئ التخطيط

للتخطيط أيا كان نوعه مبادئ يجب مراعاتها كقواعد أساسية في عمليات التخطيط حتى تستكمل تلك العمليات المقومات اللازمة لها ، وحتى يصبح التخطيط بحق منهج أساس من مناهج التغيير الاجتماعى المرغوب ، وأهم هذه المبادئ هى :

١ — الواقعية : ونقصد بها اتفاق الأهداف المطلوب تحقيقها ، وكذلك الوسائل والإجراءات المستخدمة للوصول إليها ، مع إمكانات المجتمع وظروفه السائدة والمتوقعة .

فقد تلجأ بعض القيادات السياسية الى طلب خطط طموحة ، بدافع من طموحهم فى الرغبة من تقليل الفجوة بين مجتمعاتهم ، ومجتمعات أخرى متقدمة ، ولكن مثل هذا الطموح قد لا يتحقق ، ويؤدى الى فقدان الموارد ، مما يترتب عليه تكديس الاستثمارات فى أوجه قد لا ينتفع بها ، وربما يؤدى ذلك الى ارتفاع فى الأسعار .. « ورهم الله امرء عرف قدر نفسه » .

ولهذا يقال ان التخطيط لابد أن يكون عملية قائمة على تقدير الواقع والمقبول والممكن ، وليس مجرد آمنيات يعيش الناس بها زمنا طويلا ، وربما لا تتحقق .

٢ — الشمول : أى تساند أجزاء الخطة ، وشمولها لكل قطاعات المجتمع المختلفة كالزراعية والصناعية والتجارية ، والتعليمية ، والصحية ، والثقافية ، والطبيعية ، والسكانية ... الخ . وكذلك شمول الخطة لكل مناطق المجتمع وتقسيماته الادارية الجغرافية . وذلك لأن شمول قطاعات المجتمع الوظيفية لأن هذه القطاعات متداخلة ومترابطة ويؤثر كل منها فى الآخر ، وبالتالي فان احداث أى تغيير فى قطاع معين يستلزم تغييرا مماثلا وربما بنفس القدر فى القطاعات الأخرى وخاصة المتصلة به اتصالا وثيقا ، فمثلا التوسع فى التعليم وفتح المدارس والمعاهد المختلفة يستلزم بالضرورة تغييرا محددا فى قطاع التشييد والبناء حتى يمكن إقامة الابنية

اللازمة لدور التعليم كما يستلزم أيضا ايجاد مجالات جديدة للعمل يمكنها أن تمتص الأيدي العاملة التي يخرجها قطاع التعليم للمجتمع ، ويستلزم ذلك تغييرات كثيرة في قطاعات الانتاج والخدمات وهكذا .

وغنى عن البيان أن الخطة ينبغي أن تتم على مستوى جميع الوحدات الجغرافية المكانية في الوطن الواحد ، حتى يمكن تجنب النمو الغير متوازن للمناطق الجغرافية ، ونعنى بالنمو اللامتوازن وجود بعض المناطق الجغرافية في المجتمع الواحد تعاني الكثير من الضائقات والمشكلات بينما تنعم بعض المناطق الأخرى في نفس المجتمع بالتقدم والرفاهية ، كما هو الحال في تخلف القرى عن المدن مثلا أو تخلف بعض الأحياء في المدينة ، وتقدم بعضها .

ومما لا شك فيه أن تغطية الخطة لجميع اجزاء المجتمع الجغرافية يساعد على حشد وتعبئة جميع فئات المجتمع ومرافقه ، كما يساعد بلا جدال على تحقيق تكافؤ الفرص بين الوحدات الادارية للمجتمع ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين أبنائه المتساوين في اداء واجباتهم لوطنهم وبالتالي تجب المساواة بينهم في الحقوق .

٣ — الاستمرارية والتجدد : معظم دول العالم — ان لم تكن جميعها الآن — تأخذ بفكرة التخطيط الدائم ، أى كلما أنهت خطة أيا كان مستواها شاملا أو جزئيا أو حتى خطة مشروع كلما بدأت الدخول في خطة أخرى ، أو جددت هذه الخطة لتنفذ في جزء آخر من الوطن ومن ثم فان خاصية الاستمرار والدورية واضحة تماما في نظام التخطيط ، فحين تنتهى الدولة مثلا من اعداد خطة خمسية للتنمية تبدأ مرحلة جديدة من العمل في اتجاهين : الاول متابعة تنفيذ الخطة الموضوعة ، والثانى للاعداد للخطة التالية ، وفي ضوء معلومات المتابعة وما يستجد من تطورات يستمر العمل التخطيطى بلا توقف ، لهذا يمكن القول يقينا بأنه ما أن يبدأ العمل التخطيطى في دولة ما أو مشروع معين ، فانه لا يتوقف بعد ذلك أبدا فقد تقل كفاءته ، أو فعاليته ، أو تنخفض سرعة استجابته للظروف المتغيرة ولكنه مع ذلك يظل مستمرا (انظر الرسم التوضيحي لعملية التخطيط ص ١٤٧) .

٤ — اضطراد التنمية : فمنهج التخطيط ينبغي أن يعمل على كفالة تنمية مضطردة للاقتصاد الوطنى اذ من المعروف أن ارتفاع مستوى المعيشة فى مجتمع ما انما يقاس فى نهاية الأمر بقدره هذا المجتمع على استمراره فى توفير السلع والخدمات اللازمة للمواطنين ، وأيضا بقدره هؤلاء المواطنين على استهلاك متزايد من تلك السلع والخدمات الأساسية التى تحقق لهم المستوى المطلوب من الاشباع والرفاهية . وقطعا ان رفع مستوى الخدمات وتوفير السلع لا يتم الا عن طريق تكوين رعوس الأموال ، وزيادة الدخل القومى ، وخاصة عن طريق انشاء القاعدة الصناعية والزراعية القوية التى تكفل التغذية المستمرة لجهاز الانتاج بما يحتاجه من معدات ووسائل انتاج لتجديد الطاقات الانتاجية أو توسيعها . وهكذا تصبح زيادة الدخل القومى واطراد وخلق القيم والمشاريع الاجتماعية المرغوب فيها والتى تساند زيادته — عاملا أساسيا لرفع مستوى المعيشة .

ويصبح اطراد التنمية عن طريق التخطيط ضرورة لازمة لتوفير السلع والخدمات لأفراد المجتمع ، ومن الضرورى أن نؤكد هنا على ضرورة الاستمرار فى السياسة التى تحقق الزيادة المستمرة فى الدخل الوطنى على مراحل وفترات متتابعة حتى يصل حجم الانتاج الى الدرجة التى تؤمن عليه فيها من الانكماش أو الانحدار .

٥ — التوازن بين برامج الانتاج وبرامج الخدمات : يجب أن تتضمن الخطة (القومية) مشروعات للتنمية الاقتصادية الى جانب مشروعات للخدمات العامة ونحن هنا لا نود أن ندخل فى مناظرة حول ما يجب أن يستحوذ عليه كل من برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع ، ولا أيهما أولى بالبده به ، لكن ما نرى تأكيده الآن هو أن أمر زيادة الانتاج ضرورة لازمة للاستهلاك ورفع مستوى المعيشة ، والوصول الى مستوى أفضل يزداد سنة بعد سنة فى مجال الخدمات ، اذ ان كل زيادة فى الانتاج لابد وأن تؤثر فى نهاية الأمر فى مستوى الرفاهية ودرجة اشباع حاجات الأفراد .

بيد أنه من المعلوم أن الاستهلاك والخدمات تقتطع جزء من الدخل العام ، وأنه في حالة الدول النامية ذات الدخل المحدود فلا ينبغي أن يتجاوز نصيب الاستهلاك والخدمات نسبة معينة حتى تضمن التغذية المستمرة لجهاز الانتاج ، واستمرار نمو الدخل القومي وإطراده . وهنا يرى بعض المفكرين الاجتماعيين بصدد الموازنة بين الانتاج والخدمات ، أنه إذا حسبنا ما تنفقه الدولة على الفرد الواحد في الخدمات + ما ينفقه الفرد على نفسه للحصول على المستوى المناسب من ضروريات الحياة لأصبح المجموع مساويا لمتوسط الإنفاق الاستهلاكي بالنسبة للفرد وذلك بعد أن تصل برامج الخدمات الى أهدافها المحددة . وهذا المتوسط يجب مقارنته بمتوسط الدخل القومي بالنسبة للفرد ، وهذه المقارنة ستكون هي الحكم في تحديد البرامج المختلفة ومراحل التنفيذ .

والحقيقة التي نود تأكيدها هي أنه لا يجب أن تصل الخدمات والاستهلاك الى الحد الذي يزيد عن متوسط الدخل القومي للفرد ، ولا حتى الى الحد الذي يساويه ، اذ يجب أن تكون هناك نسبة من الدخل تخصص للمشروعات الانتاجية ، كما يجب أن يكون هناك هامشا احتياطيا ينبغي الاحتفاظ به لمواجهة أى مطالب أخرى للأفراد .

ومهما يكن الأمر فإن توفير الخدمات الاجتماعية الى جانب البرامج الانتاجية أصبح من المسلمات في التخطيط الشامل ، وانما الذى يمكن الاختلاف عليه هو طبيعة العلاقة بين الجانبين الاجتماعى والاقتصادى ومداهما ونسبة التوازن بين الخدمات والانتاج ، ومرجع هذا الخلاف الى طبيعة الفلسفات الاجتماعية ، والمذاهب الاقتصادية التى تتحرك فيها عمليات التغير الاجتماعى .

٦ — التوافق المنطقى : وكما أن نظام التخطيط يميل الى أن يكون في حالة توازن مستمر — كما سبق التوضيح — فإنه أيضا ينبغي أن يعمل على ايجاد أعلى درجة من التوافق بين مكوناته الداخلية من معلومات وأفراد وأساليب وأدوات ، فاذا حصل جهاز التخطيط مثلا على حاسب الكترونى مع افتقاره الى الخبراء الذين يستطيعون تشغيله اختل توازنه وكان لزاما عليه استعادة هذا التوازن مرة أخرى اما بالتخلص من هذا الحاسب أو بالحصول على الخبراء اللازمين . وايضا ينبغي أن يكون التخطيط

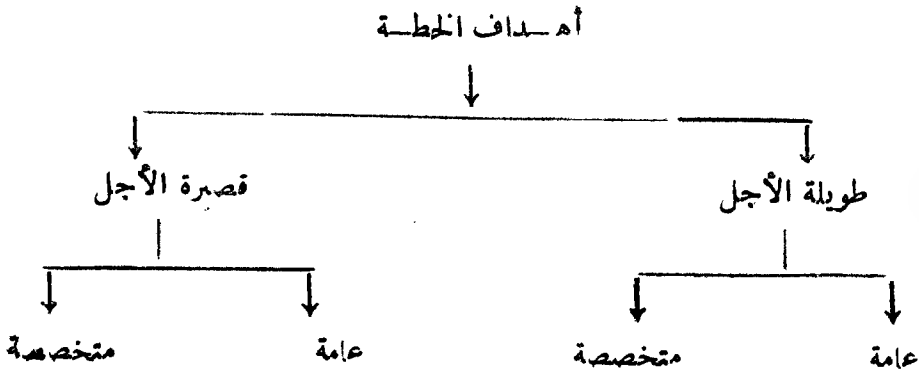
متوازنا مع المجتمع والمناخ العام المحيط به وتكيف نفسه بما يتوافق مع كل هذا ، ولعل المثل الواضح في مصر على هذا المظهر التوازني هو اتجاه نظام التخطيط القومي الى دعم حركة التخطيط الاقليمي استجابة لاتجاه الدولة نحو الحكم المحلي * .

٧ — التنسيق : ويكون التنسيق على مستويين :

(١) التنسيق بين أهداف الخطة .

(ب) التنسيق بين الوسائل والاجراءات والسياسات اللازمة لتنفيذ الخطة .

فمن المعروف ان لكل خطة أهداف محددة تحاول الخطة تحقيقها ، ووضوح الهدف يساعد في تحديد أنواع الأعمال والأنشطة المرغوبة ، كما يسهم في توضيح الامكانيات والمستلزمات الضرورية . من ناحية أخرى فان تحديد الأهداف يتخذ أساسا للرقابة والتقييم . اذ يعتبر الهدف معيارا لتقييم ما تم من انجازات ، وتحديد كفاءة النشاط . ولكل خطة أهداف بعضها طويل الأجل وبعضها قصير الأجل كما أن هذه الأهداف (طويل الأجل وقصير الأجل) تنقسم بدورها الى أهداف عامة ومخصصة وهكذا كما يتضح من الآتي :



(*) صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٩٥ لسنة ١٩٧٧ متضمنا تقسيم جمهورية مصر العربية الى ثمانية أقاليم اقتصادية واستتبع هذا انشاء هيئة تخطيطية اقليمية تتبع وزارة التخطيط ، ويصدر بتنظيمها ، وتحديد العلاقة بينها وبين ادارة التخطيط بالمحافظات قرار من وزير التخطيط بعد الاتفاق من الوزير المختص بالحكم المحلي .

ويستلزم تحقيق تلك الأهداف التنسيق بينها ، بحيث لا تتكرر الجهود دون ما حاجة الى ذلك ، او ربما تتداخل الأهداف الى الحد الذى يعوق حركتها ، أو تتضارب .

والتنسيق لازم أيضا بالنسبة للوسائل والاجراءات والأدوات المطلوبة لتنفيذ الخطة وتحقيق أهدافها .

٨ — تقدير الظروف الخارجية : لا يصح أن تقتصر الدراسات والمعلومات المتصلة بتقدير الموقف والتنبؤ بما سيكون عليه الحال مستقبلا بظروف الخطة داخل المجتمع أو المشروع ، وإنما يجب تقدير الموقف الخارجى للمجتمع ، فيلزم أن يوضع فى الحسبان الظروف السياسية والتجارية . الخ . إذ أن اقتصاد أى مجتمع وأنواع الخدمات قد لا يمكن أن تتوافر كلها داخليا ، وإنما ترتبط بدرجات متفاوتة بالأسواق الخارجية لتصريف المنتجات أو استيراد المواد والآلات أو الأدوية . الخ . أو الاستعانة بالخبرة الفنية ، ولكل ما يتصل بمسائل التصدير والاستيراد ، وتوازن الميزان التجارى مما يكون له فى بعض الأحيان أبلغ الأثر فى أنواع المشروعات التى تتضمنها الخطة .

٩ — المرونة : التخطيط عمل يتعلق بالمستقبل ، والتخطيط خاصة الشامل عملية متشابكة ومتراطة نظرا لتشابك وترابط النشاط الإنسانى ، ولهذا فإن المخطط قد يتعرض لخطأ غير مقصود خصوصا فى البلاد النامية التى عادة ما تكون أجهزة البحث والاحصاء فيها غير دقيقة ودون مستوى الكفاءة المطلوبة . وتلافيا لمثل هذه الصعوبات ينبغى أن تكون الخطة مرنة بحيث تكون عناصرها قابلة للتغيير بناء على ما قد يحدث من مفاجئات قد يصعب التنبؤ بها ، والمرونة تعنى أيضا مرونة زمنية لمقابلة التغيرات التى تحدث فى المجتمع أثناء فترة تنفيذ الخطة ، كما تعنى مرونة مكانية بمعنى أن تكون الخطة القومية قابلة للتنفيذ على المستويات المحلية ، بإدخال بعض التعديلات الطفيفة التى تقتضيها ظروف المجتمعات المحلية ، وبالمثل يمكن للخطة المحلية مراعاة أوضاع المجتمع الكبير ، وتساند خطته القومية وفلسفته الاجتماعية .

المراجع العربية

- ١ — القرآن الكريم .
- ٢ — ابن خلدون : المقدمة ، الكتاب الأول .
- ٣ — المؤلف (بالاشتراك) فصل بعنوان التنمية الحضرية .. ومشكلاتها بكتاب « مدخل لدراسة المجتمع » القاهرة ١٩٨٠ .
- ٤ — السيد محمد بدوى ، دكتور ، « مبادئ علم الاجتماع » دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٨ .
- ٥ — اليوت ت . س : « ملاحظات نحو تعريف الثقافة » ترجمة شكرى محمد عياد ، وزارة الثقافة المصرية ، بدون .
- ٦ — اميل دوركايم : « قواعد المنهج فى علم الاجتماع » ترجمة د . محمود قاسم ومراجعة د . السيد محمد بدوى ، النهضة المصرية . ١٩٥٠ .
- ٧ — حامد عمار ، دكتور ، « أسس التخطيط الاجتماعى فى النطاق القومى والمحلى » سرس اللبان ، مصر ١٩٦٥ .
- ٨ — حسن الساعاتى ، دكتور ، « التصنيع والعمران » ، الاسكندرية ، ١٩٦٣
- ٩ — حسن سغفان ، دكتور : « أسس علم الاجتماع » دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- ١٠ — شارل بتلهام ، « التخطيط والتنمية » ترجمة د . اسماعيل صبرى عبدالله دار المعارف ، مصر ١٩٦٦ .
- ١١ — عبد الباسط محمد حسن ، دكتور : « أصول البحث الاجتماعى » ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ١٢ — عبد الباسط محمد حسن . دكتور : « التنمية الاجتماعية » ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧٧ .

- ١٣ — عبد الحميد لطفى ، حسن الساعاتى ، دكتورين : « دراسات فى علم السكان » ، دار المعارف ، الطبعة السابقة ، ١٩٨١ .
- ١٤ — عبد الرحمن بدوى ، دكتور : « مناهج البحث العلمى » ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- ١٥ — عبد الهادى الجوهري وآخرون ، دكتور : « دراسات فى علم الاجتماع » ، مكتبة الطليعة ، أسىوط ، ١٩٧٩ .
- ١٦ — عبد الهادى الجوهري ، دكتور : « مدخل لدراسة المجتمع » ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ١٧ — عبد المنعم شوقى ، دكتور : « الاجتماع الحضرى » ، مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة ، ١٩٦١ .
- ١٨ — على عبد الواحد وافى ، دكتور : « عبد الرحمن ابن خلدون » ، سلسلة أعلام العرب .
- ١٩ — على السلمى ، دكتور : « التخطيط والمتابعة » ، مكتبة غريب ، القاهرة . ١٩٧٨ .
- ٢٠ — على لطفى ، دكتور : البحث الثالث من كتاب « التنمية والتخطيط الاقتصادى » ، جامعة عين شمس ، بدون .
- ٢١ — فتحى أبو عيانة ، دكتور : « جغرافية السكان » ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٢٢ — كمال دسوقى ، دكتور : « الاجتماع ودراسة المجتمع » ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ .
- ٢٣ — ليفى بريل : « فلسفة أوجست كونت » ترجمة د . محمود قاسم ، د . السيد محمد بدوى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- ٢٤ — محمد عاطف غيث ، دكتور : « قاموس علم الاجتماع » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .

- ٢٥ — محمد عاطف غيث ، دكتور : « الموقف النظرى فى علم الاجتماع المعاصر »
دار الكتب الجامعية بالاسكندرية .
- ٢٦ — محمد عاطف غيث ، دكتور : « التغير الاجتماعى والتخطيط » ، دار المعارف
بمصر ، ١٩٦٦ .
- ٢٧ — محمد الجوهري وآخرون ، دكتور : « علم الاجتماع الريفى الحضرى » ،
دار الكتب الجامعية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- ٢٨ — محمد مصطفى زيدان ، دكتور : « السلوك الاجتماعى للفرد » ، عكاظ
للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨١ .
- ٢٩ — مصطفى الخشاب ، دكتور : « دراسة المجتمع » ، مكتبة الانجلو المصرية
١٩٧٤ .
- ٣٠ — مصطفى الخشاب ، دكتور : « علم الاجتماع ومدارسه ، تاريخ التفكير
الاجتماعى وتطوره » ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨١ .
- ٣١ — مصطفى الخشاب ، دكتور : « علم الاجتماع ومدارسه » (المدخل الى علم
الاجتماع) ، مكتبة الانجلو المصرية ، بدون .
- ٣٢ — نشرات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، القاهرة ، سنوات
مختلفة .

المراجع الأجنبية

- 1 — Alpert, Waterspn, Deuelopment Planning, The Jonespress, 1947.
- 2 — Anderson & Parker, Society, Its Organization, Van Nostrand E. W. 1966.
- 3 — Biesanz & Biesanz; Modern Society, 3ed., Prentice Hall, 1964.
- 4 — Cooley, Charles, Social Organization, Chapters 30 — 32.
- 5 — Firth, R., Elements of Social Organization, London, 1951.
- 6 — Giddings; Principles of Sociology, Macmillan, N. Y., 1913.
- 7 — Hertzler, Social Progress, Appeleton Century, N. Y., 1928.
- 8 — Krech David & Richard; Theory and Problems of Social Psychology, London, 1948.
- 8 — Mclver & Page, Society : An Interductory Analysis, Mac Millan, London, 1955.
- 9 — Mclung, Alfred, Sociology, 3ed, 1969.
- 10 — Mead, Margret, Cultural Patterns & Techniedchange, Unesco, 1954.
- 11 — Moore, wilbert, Social Change, 1963.
- 12 — Nordshog, Social Change, Mc Graw Hill, N. Y., 1960.
- 13 — Ogburn, W., Social Change, New York, 1962.
- 14 — Ogburn, W. & Nimcoff, A. Hand book of Sociology.

- 14 — Ralf, Linton, *The Tree of Culture*, New York, 1962.
- 15 — Spencer, H.; *Principles of Sociology*, vol., Chapter, 1874.
- 16 — Taylor, E. B., *Primitive Culture*, London, 1871.
- 17 — Whitney, F., *The Elements of Research*, New York, 1945.
- 17 — Wirth, L. *Planing Means Freedom*, Chicago Press, 1947.
- 18 — Young, *Scientific Social Surveys and Research*, N. Y., 1947.
- 19 — United Nation, *Population Bulletin*, No., 1963, N. Y., 1965.
- 20 — United Nation, *Demographic Year book*, 1948, N. Y., 1949.
- 21 — United Nation; *Demographic Yearbook*, 1973.
- 14 — Ross, Edwar, *Social Control*, N. Y., 1951.

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة الكتاب ٣

✓ الفصل الأول

(نشأة علم الاجتماع واستقلاله)

- أولا : نبذة تاريخية عن نشأة العلم ٦
- ثانيا : استقلال علم الاجتماع ١٦
- المعارف الانسانية ووضع علم الاجتماع بينها ١٦
- خصائص الظاهرة الاجتماعية ١٩
- أهم الاختلافات بين قوانين العلوم الاجتماعية ، والطبيعية . . . ٣١

✓ الفصل الثاني

علم الاجتماع

(موضوعه — أغراضه — ميادينه — علاقته بالعلوم الأخرى)

- (أ) الاتجاهات المختلفة في تحديد موضوع العلم ٢٣
- (ب) أغراض علم الاجتماع ٢٦
- (ج) علاقته ببعض العلوم الأخرى ٣١

✓ الفصل الثالث

(مناهج البحث في علم الاجتماع)

صفحة

٢٧	١ — المسح الاجتماعي
٤١	٢ — المنهج التاريخي
٤٢	٣ — المنهج التجريبي
٤٤	٤ — المنهج الاحصائي
٤٧	٥ — منهج دراسة الحالة
٥٠	٦ — القياس الاجتماعي

الفصل الرابع

↗ (السكان في المجتمع)

٥٣	اولا : الايكولوجيا الاجتماعية
٥٥	ثانيا : العلاقات العنصرية
٥٨	ثالثا : النمو السكاني
٥٩	نظرية مالتس في السكان
٦١	(١) العوامل المؤثرة في نمو السكان
٦٣	(ب) العوامل الاجتماعية
٦٣	١ — تركيب السكان من حيث النوع

صفحة

٦٥	٢ — تركيب السكان من حيث السن . . .	×
٦٦	٣ — مدى انتشار وسائل منع الحمل . . .	×
٦٨	٤ — تركيب السكان من الناحية الزوجية . . .	×
٦٩	(ج) حلول خطر الانفجار السكاني . . .	×
٧٠	الهجرة : —	×
٧١	أنواع الهجرة	×
٧١	قياس الهجرة	×
٧٢	نتائج الهجرة	×
٧٣	(أ) تغير حجم السكان	×
٧٤	(ب) تغير خصائص السكان	×
٧٤	(ج) اختلاط السكان في المهجر	×
٧٥	(د) الجوانب الاقتصادية	×

الفصل الخامس

(الثقافة)

٨٠	عناصر الثقافة
٨٠	تعريف الثقافة
٨٢	أهم تقسيمات الثقافة
٨٤	مميزات الثقافة
٨٩	الهوية الثقافية

الفصل السادس

(العمليات الاجتماعية)

- أولا : العلاقات الايجابية
- ٩١
- ٩١ ١ - التعاون
- ٩٢ - أنواعه
- ٩٤ - دوافعه
- ٩٥ ٢ - التنشئة الاجتماعية
- ٩٦ ٣ - عملية التكيف
- ٩٧ ٤ - عملية التمثل
- ٩٩ ثانيا : العلاقات السلبية
- ٩٩ ١ - التنافس
- ١٠٠ - أنواعه
- ١٠١ ٢ - الصراع
- ١٠٢ ثالثا : المبادئ العامة المستخلصة من دراسة العمليات الاجتماعية

الفصل السابع

(الضبط الاجتماعى)

- ١٠٦ الضبط الاجتماعى مطلب فردى ومجتمعى
- ١٠٧ طرق الضبط الاجتماعى

- ١٠٨ . . . طرق الضبط التي يمارسها المجتمع
- ١١٠ . . . ١ — الدين
- ١١٢ . . . ٢ — القانون
- ١١٥ . . . ٣ — التعليم
- ١١٦ . . . ٤ — الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية
- ١١٧ . . . وسائل الضبط غير الرسمية

الفصل الثامن

(التغير الاجتماعي)

- ١٢٢ . . . آراء بعض العلماء فيه
- ١٢٥ . . . التغير والتطور والتقدم والتنمية
- ١٢٧ . . . أنواع التغير الاجتماعي
- ١٢٩ . . . عوامل التغير الاجتماعي
- ١٣٤ . . . مميزات التغير الاجتماعي

الفصل التاسع

التخطيط الاجتماعى

١٣٨

١٣٨ التخطيط يرتبط بفلسفة المجتمع السائدة .

١٤٠ ماهية التخطيط الاجتماعى

١٤٨ أهمية التخطيط وضرورته للدول النامية

١٥٢ أنواع التخطيط

١٥٨ مبادئ التخطيط

١٦٥ المراجع العربية

١٦٨ المراجع الاجنبية

رقم الإبداع ٢٠٩٨ / ١٩٨٣